



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

نوح عبد الخالق إبراهيم قفيشة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1433هـ - 2011م

الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

إعداد

نوح عبد الخالق إبراهيم ققيشة

بكالوريوس في الدعوة وأصول الدين من جامعة القدس - أبو ديس -
فلسطين.

المشرف: د. محمد سليم محمد علي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات
الإسلامية المعاصرة، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس.

1433هـ - 2011م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج دراسات إسلامية معاصرة

إجازة الرسالة

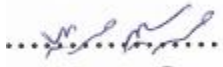


الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

الطالب: نوح عبد الخالق إبراهيم قفيشة

الرقم الجامعي : 20714016

المشرف : د. محمد سليم محمد علي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2011/11/30م من لجنة المناقشة المدرجة
أسمائهم وتواقيعهم:

- | | | |
|--|---------|---|
|  | التوقيع | 1. رئيس لجنة المناقشة : د. محمد سليم محمد علي |
|  | التوقيع | 2. ممتحناً داخلياً : د. عروة عكرمة صبري |
|  | التوقيع | 3. ممتحناً خارجياً: د. محمود فواقه |

القدس - فلسطين

1433هـ - 2011م

الإهداء

إلى روح والدي الحبيبين غفر الله لهما ورحمهما.

إلى نبع الحب والحنان من قاسمتني عناء هذا البحث زوجتي الغالية أم حمزة حفظها الله.

إلى أبنائي الأعراء التوأم طيبة ويمنى، وحمزة ومنة الله.

إلى رمز التضحية إلى الأسرى البواسل هناك خلف القضبان خاصة القدامى منهم، الذين عشت معهم خمسة عشر عاما في الأسر.

إلى كل العاملين لنصرة الإسلام ورفع لوائه

الباحث

نوح عبد الخالق إبراهيم قفيشة

إقرار

أقر أنا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الدراسة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

نوح عبد الخالق ققيشة

التاريخ: 2011/11/30

شكر و عرفان

إعترافاً بالفضل لأهله، أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الجليل، للدكتور الفاضل محمد سليم محمد علي، على تكرمه بقبول الإشراف على رسالتي، وعلى ما بذل من جهد، وما قدم من إرشادات قيمة، فله مني كل شكر وتقدير، وأسأل الله تعالى أن يجزل له بالمشيئة والجزاء.

ثم أتوجه بالشكر لكل أساتذتي في جامعة القدس، سواء من تتلمذت على أيديهم في مرحلة الماجستير، أو في مرحلة البكالوريوس قبل أكثر من عشرين عاماً، ولا أنسى أن أتوجه بالشكر لكل من علمني أثناء دراستي الثانوية والإعدادية والابتدائية.

وأتوجه بالشكر إلى موظفي مكتبة بلدية الخليل العامة لمساعدتهم لي، وإلى كل من أعارني كتاباً، أو وجه نصيحة أو ملاحظة معينة.

كما أتوجه بالشكر لإخواني الأسرى لتشجيعهم لي ومؤازرتهم المستمرة، وأشكر زوجتي التي وقفت بجانبني ووفرت لي سبل الراحة والنجاح، والشكر أخيراً لجامعة القدس على ما تقدم من برامج دراسية.

الباحث

نوح عبد الخالق إبراهيم قفيشة

ملخص

تقوم هذه الرسالة على البحث في الفكر التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي، وتكمن أهمية الرسالة في أنها تسلط الضوء على حياة العالم المفكر الشيخ محمد الغزالي، وآثاره العلمية.

واتبع الباحث في رسالته على المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، وذلك من خلال رصد الفكر التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي، ومن ثم تحليل المعطيات والمعلومات والمفاهيم الواردة في كتبه وآثاره العلمية.

وتهدف هذه الدراسة إلى الاطلاع على حياة الشيخ الغزالي وما يتعلق بها من ميلاده ونسبه وشيوخه وتراثه العلمي، ثم الكشف عن فكره التربوي الإسلامي.

هذا وقد أظهرت الدراسة أن الشيخ الغزالي ذو فكر تجديدي، وسطي، وأن فكره التربوي يمكن الاستفادة منه في نظامنا التربوي المعاصر، كما أبرزت الدراسة المكانة العلمية المرموقة التي تبوأها، كما وركزت الدراسة على معالم وأساليب التربية عند الشيخ الغزالي.

وقد تضمنت هذه الدراسة الكثير من النتائج والتي من أهمها: أن الشيخ الغزالي كان مفكراً كبيراً، ومن الجوانب التي عالجها بفكره الجانب التربوي، وأن التربية عند الشيخ الغزالي تنوعت أساليبها، وأن الشيخ الغزالي أحدث جدلاً واسعاً بطرح بعض الأفكار الجريئة مدافعاً عنها بكل قوة.

ويوصي الباحث بضرورة العناية بمؤلفات الشيخ الغزالي والاستفادة منها، وذلك بتضمين بعض مؤلفاته في المناهج الدراسية، وإجراء دراسة عن المستشرقين وجهود الشيخ الغزالي في الرد عليهم، وبيانه لما لهم وما عليهم.

Abstract

This thesis is based on the Islamic educational view of Al-Sheikh Mohammad Al-Ghazali. The importance of the study comes from the fact that it highlights the life of an Islamic scholar and his achievements in the field of education.

The researcher followed the inductive, descriptive and the analytical approaches in studying the Islamic education approach according to Al-Sheikh's books and published papers.

The study reveals the historical background of Al-Sheikh, education, publications, and his views on education according to Islamic religion.

Al-Sheikh presented a modern approach and his philosophy on education is suited for our contemporary educational system. He introduced new methods and suggested different approaches far from traditional ways.

The study included several results such as the fact that Al-Sheikh Al-Ghazali was a courageous thinker and he presented strong persuasive arguments in the field of education. His arguments and bold ideas created an immense controversy among thinkers and leading educationalist at the time.

The researcher recommends a larger exposure to Al-Sheikh's books to maximize benefits from it, and encourages the use of his books in college. In addition more research is needed on Alghazali's work to understand his controversy arguments on education.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: M: 4 5 6 7 8 9 ; < = > ? L¹.

وقال تعالى: M: ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4
5 6 7 8 ; < = > L².

وقال تعالى: M: u v w x y z | { } ~ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا L³.

أما بعد:

فلقد منَّ الله عز وجل على أمتنا الإسلامية بعلماء ومفكرين على مرِّ تاريخنا الإسلامي العريق، جدّوا واجتهدوا ليحفظوا للأمة أمر دينها، وأثروا الحياة الدينية والفكرية بأرائهم المتجددة، فكان لهم الأثر الجلي على الباحثين وطلاب العلم عامّة، فكانوا نجوم السماء يهتدي بهم الناس إذا ضلوا الطريق، ومنارات عالية في سماء العلم والدفاع عن الدين وتوضيحه للناس.

¹ سورة آل عمران: 3 / 102.

² سورة النساء: 4 / 1.

³ سورة الأحزاب: 33 / 70 - 71.

ولقد كان من هؤلاء المفكرين عَلمَ شامخ ومفكر كبير، جدير بالدراسة والاهتمام، إنه المفكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وحتى نعطي للشيخ الغزالي بعضاً من حقه علينا، كان لابد من دراسة جانب من جوانب فكره، ونظراً لأثره الواضح في الفكر التربوي، فإنني ارتأيت أن يكون عنوان رسالتي في الماجستير هو : " الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي " .

مشكلة الدراسة وأسئلتها

يعتبر الفكر التربوي أحد أهم المجالات الهامة الذي يمكن عن طريقه التأثير المباشر في معتقدات الناس واتجاهاتهم، وتعرض مجتمعاتنا اليوم لتبعية فكرية، يحسبها البعض أنها نوع من التقدم الحضاري والفكري.

لذلك نجد أن من حق الأمم أن تقرأ سير ونتائج مفكراتها وعظماؤها، وعلى أساس ذلك يحاول الباحث تسليط الضوء على جانب مهم من تاريخ وتراث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ممثلاً بما تركه من أفكار، وآراء تربوية متميزة، لها تأثير في عقول الجيل ونفوسهم.

والدراسة سوف تجيب على الأسئلة التالية:

- (1) ما المقصود بالفكر التربوي الإسلامي ؟
- (2) ما هي الآراء التربوية لدى الشيخ محمد الغزالي ؟
- (3) ما هي أبرز معالم الفكر التربوي لدى الشيخ محمد الغزالي؟
- (4) كيف يمكن تطبيق هذه الأفكار في حياتنا العملية؟

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

يرجع السبب في اختياري لهذا الموضوع هو أن الشيخ محمد الغزالي علم من أعلام الفكر الإسلامي، كما كان له الدور البارز في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة والغازية لبلاد المسلمين، كما أنه ترك تراثاً فكرياً زاخراً، وبصمات واضحة على العقل الإسلامي لا يمحوها اختلاف الليل والنهار.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية:

- 1- إظهار الفكر التربوي الإسلامي عموماً، والفكر التربوي الإسلامي لدى الشيخ محمد الغزالي خصوصاً.
- 2- هذا البحث يقف على المدى الذي بلغه الشيخ محمد الغزالي في فهم أبعاد الفكر التربوي الإسلامي فهماً صحيحاً، والتعرف على ما احتواه فكره من مبادئ تربوية تحتاج إلى بحث ودراسة.
- 3- أنها تسلط الضوء على حياة العالم المفكر محمد الغزالي، وإسهاماته وآرائه التربوية، ومنطلقاته الفكرية، وآثاره العلمية، بحيث يمكن الاستفادة منها في إثراء نظامنا التربوي المعاصر، ومما يساعد طالب العلم على التعرف على الفكر التربوي الإسلامي لهذا العالم الجليل، الذي يستحق من كل مسلم تحية وتقديراً، ولن نوفيّه حقه .
- 4- إبراز آراء الشيخ محمد الغزالي، ودوره في التوعية الفكرية للأمة العربية والإسلامية، من أجل المحافظة على الشخصية الإسلامية .

حدود الدراسة

تشمل هذه الدراسة بالبحث التراث الفكري للشيخ محمد الغزالي من مؤلفات ومسموعات، والتي امتدت على مدى عمره من مولده سنة 1917م إلى وفاته سنة 1996م.

الدراسات السابقة

ظهرت عدة دراسات، تتحدث عن بعض الجوانب الفكرية والتربوية عند الشيخ محمد الغزالي، أهمها:

- (1) (الخطاب الديني عند الشيخ محمد الغزالي ، دراسة لغوية تحليلية) رسالة دكتوراة للباحث ياسر السيد رياض، تعرض البحث من ناحية لغوية للخطاب الديني عند الشيخ محمد الغزالي، ولم يتعرض الباحث للجانب التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي، وإنما اهتم بالجانب اللغوي فقط .
- (2) (الشيخ محمد الغزالي مفكرا وداعية) رسالة ماجستير للأستاذ إبراهيم نويري، قدمت لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 1999م، ركزت الرسالة على الجوانب المختلفة لفكر الشيخ الغزالي بشكل عام ، وتناولت الغزالي الداعية، غير أنها لم تسلط الضوء بشكل مفصل على الجانب التربوي الإسلامي في عنده من خلال تتبع آثاره ومؤلفاته ومسموعاته المختلفة.
- (3) (تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي) للدكتورة لطيفة حسين الكندري والدكتور بدر محمد ملك، وهو بحث منشور في مجلة (العلوم التربوية) الصادرة عن معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة سنة 2003 م، يتعرض هذا البحث لجانب هام في مشروع الغزالي، وهو تربية المرأة، وركز على مفهوم التربية والتعليم والثقافة، ومنطلقات الغزالي في رؤيته لتعليم المرأة، والتحديات التي تواجه تعليمها، والمقترحات لاجتياز هذه التحديات، وكما هو واضح فإن هذا البحث يركز على تربية المرأة في فكر الشيخ محمد الغزالي، ويهتم بهذا الجانب فقط .
- (4) (الفكر السياسي عند الشيخ محمد الغزالي) مذكرة من إعداد خالد حباسي، نوقشت بجامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، للسنة الجامعية 2002م _ 2003م. وقد تناول الباحث في دراسته، الأفكار والآراء السياسية للغزالي فقط، بغية تقديم دراسة متكاملة تبرز كل الأفكار السياسية الناضجة في فكره، وتتقد غيرها من الأفكار، وفق منهجية الفكر السياسي.
- (5) (ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي) لمؤلفه محمد وقيع الله ، صدر هذا البحث سنة 1996م في نشرة (إسلامية المعرفة) في واشنطن، تناول الباحث في 32 صفحة ملامح الفكر السياسي عند الشيخ محمد الغزالي، فبيّن في البداية أن جهوده هي الثمرة الناضجة لجهود المدرسة الإصلاحية التي بدأت على يد جمال الدين الأفغاني، ثم يتناول البحث اهتمام الشيخ الغزالي بالشأن السياسي،

مبرراً كيف يدمج السياسي بالاقتصادي بالتربوي بالروحي في إطار عقائدي معرفي إسلامي، كما يبين موقفه من قضية العلاقة بين السياسة والدين، ورده السلطة إلى الدين، وردوده على الشيخ علي عبد الرازق، والشيخ خالد محمد خالد، بهذا الخصوص، ثم يتعرض للشورى ومناخ التداول السياسي، والنشاط الحزبي، مبيناً حرصه على أسلمة التوجهات القومية، مع التعريف بأطروحاته بخصوص العلاقات الدولية والثقافة السياسية للأمة، هذه الدراسة كما نرى اهتمت بالجانب السياسي في فكر الشيخ محمد الغزالي، أما دراستنا فتركز على الفكر التربوي عند الشيخ الغزالي .

(6) (مرتكزات تربوية في فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله) للدكتور عدنان مصطفى إبراهيم خطاطبة، وهو بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت المجلد 26، عدد 86، سبتمبر 2011م، هدفت الدراسة إلى بحث رؤية الشيخ محمد الغزالي التربوية في إطار رؤيته الإسلامية الكلية، وضمت محاور الدراسة: أصول التربية ومصادرها، وأسس العملية التربوية، وناقشت التحديات التي تواجه عملية إصلاح المحتوى التعليمي، كما تناولت الوسائل والأساليب لتحقيق الأهداف التربوية. هذا البحث كما نرى أنه يهتم بالتوجهات والرؤية التربوية عند الشيخ الغزالي ويقدمها كعلاج لإصلاح المنهاج التربوي وبناء المحتوى التعليمي وتأسيس للمربي الإسلامي، ولا يتعرض بالتفصيل والتحليل الشامل لمجموع الفكر التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي، وهو الذي تركز عليه دراستنا هذه.

وهذه الدراسات والأبحاث نجد أنها لم تهتم بالجانب الفكري التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي تفصيلاً وشرحاً، من هنا يتميز بحثي هذا بالعمق والشمول، من خلال العرض والتحليل والمناقشة لهذا الجانب المهم في فكر الشيخ محمد الغزالي، وتراثه الغني .

منهج الدراسة

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والوصفي، من خلال رصد الفكر التربوي الإسلامي عند الشيخ محمد الغزالي، ومن ثم تحليل المعطيات والمعلومات والمفاهيم الواردة في كتبه وآثاره العلمية.

وستقوم الدراسة بتتبع موضوع فكر الشيخ محمد الغزالي التربوي واستقرائه من مظانه - أي كتب الشيخ محمد الغزالي وآثاره العلمية - وجمع المعلومات المتعلقة بذلك، من خلال تتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات، وقد التزمت بالإجراءات الآتية في توثيق المعلومات وطريقة البحث، على النحو الآتي:

- 1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وبيان رقم السورة ورقم الآية وذلك في الهامش.
- 2- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.
- 3- توثيق النصوص والنقولات من مصادرها الأصلية، موضحاً رقم الجزء والصفحة.
- 4- الترجمة للأعلام الذين أرى أن في ترجمتهم فائدة علمية.

خطة البحث

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ومسارد، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: فقد عرفت فيها بموضوع البحث، وأهميته وسبب اختياره، والدراسات السابقة فيه، والمنهج العلمي الذي سرت عليه، وخطة الدراسة.

الفصل الأول: الفكر التربوي الإسلامي

وفيه ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم الفكر التربوي الإسلامي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفكر لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: معنى التربية لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: معنى الفكر التربوي

المطلب الرابع: أهمية التربية في الإسلام

المبحث الثاني: مصادر الفكر التربوي الإسلامي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: السنة النبوية

المطلب الثالث: الإجماع

المطلب الرابع: الاجتهاد

المبحث الثالث: أسس الفكر التربوي الإسلامي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ربانية المصدر والوجهة

المطلب الثاني: مفهوم العبادة الشامل

المطلب الثالث: شمول الإسلام لكل زمان ومكان

المطلب الرابع: كمال الإسلام وختمه للرسالات السماوية

المطلب الخامس: تجديد أمر الدين بتجديد متغيرات الحياة

المطلب السادس: تغيير ما في الواقع بتغيير ما في الأنفس

الفصل الثاني: تعريف بالشيخ محمد الغزالي وحياته العلمية

وفيه أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: ميلاده ونسبه ودراسته ووظائفه ووفاته

وفيه خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: مولده وتسميته

المطلب الثاني: نسبه وأسرته

المطلب الثالث: شيوخه

المطلب الرابع: دراسته

المطلب الخامس: الوظائف التي تولاها

المطلب السادس: وفاته

المبحث الثاني: آثاره العلمية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المطبوعات

المطلب الثاني: الخطب

المطلب الثالث: المحاضرات

المطلب الرابع: اللقاءات

المبحث الثالث: الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الشيخ محمد الغزالي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة الثقافية

المبحث الرابع: الشيخ محمد الغزالي وحركة الإخوان المسلمين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة من خلال حركة الإخوان المسلمين

المطلب الثاني: الشيخ محمد الغزالي والإمام حسن البنا

المطلب الثالث: الشيخ محمد الغزالي وحسن الهضيبي

الفصل الثالث: معالم الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نظرتّه للكون والحياة

المطلب الثاني: نظرتّه للإنسان

المطلب الثالث: نظرتّه للمجتمع

المطلب الرابع: الوسطية

المطلب الخامس: الأصالة والمعاصرة

المبحث الثاني: مواقف الشيخ محمد الغزالي الفكرية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موقف الشيخ محمد الغزالي في التعامل مع القرآن الكريم

المطلب الثاني: موقفه من حديث الأحاد في السنة النبوية

المطلب الثالث: موقف الشيخ محمد الغزالي من الاشتراكية

المطلب الرابع: موقف الشيخ محمد الغزالي من الديمقراطية

المطلب الخامس: موقف الشيخ محمد الغزالي من المرأة

المبحث الثالث: الشيخ محمد الغزالي المربي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص المربي الناجح ومقوماته عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه ستة فروع:

الفرع الأول: حسن الصلة بالله

الفرع الثاني: إصلاح النفس

الفرع الثالث: ذكاء العقل ونقاء القلب

الفرع الرابع: الإخلاص

الفرع الخامس: الثقافة الواسعة

الفرع السادس: الجرأة والشجاعة

المطلب الثاني: أساليب التربية عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه ثمانية فروع:

الفرع الأول: التربية بالقدوة الصالحة

الفرع الثاني: التربية بالقصة

الفرع الثالث: التربية بالوعظ والتذكير والتلقين الواعي

الفرع الرابع: الترغيب والترهيب

الفرع الخامس: التربية بالمواقف والأحداث

الفرع السادس: التربية بشغل أوقات الفراغ

الفرع السابع: أسلوب التدريب والممارسة العملية

الفرع الثامن: أسلوب التربية بالعادة

المطلب الثالث: الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: العدل الاجتماعي

الفرع الثاني: مقاومة الاستبداد السياسي

الفرع الثالث: توحيد الأمة

الفرع الرابع: محاربة الفهم غير الصحيح للدين

الفرع الخامس: المحافظة على التراث الإسلامي وتنقية الثقافة الإسلامية

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة.

وأما المصادر: فقد اشتملت على ما يأتي:

- أ- مسرد للآيات
- ب- مسرد للأحاديث
- ت- مسرد للأعلام
- ث- مسرد للمراجع
- ج- مسرد للمحتويات

وختاماً أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم، أن يكون هذا الجهد المبذول في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يغفر لي زلاتي وهفواتي، وأن يحشرنني مع زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كما وأسأله سبحانه أن أكون قد ساهمت ولو بشيء يسير في خدمة هذا الدين العظيم ورفعته، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الرموز الواردة في الرسالة

| الرمز | معناه |
|-------|-----------------|
| م.س | مرجع سابق |
| ج | جزء |
| ص | صفحة |
| د.ت.ط | دون تاريخ طباعة |
| د.د.ن | دون دار نشر |

الفصل الأول: الفكر التربوي الإسلامي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الفكر التربوي الإسلامي

المبحث الثاني: مصادر الفكر التربوي الإسلامي

المبحث الثالث: أسس الفكر التربوي الإسلامي

المبحث الأول: مفهوم الفكر التربوي الإسلامي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الفكر لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: معنى التربية لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: معنى الفكر التربوي

المطلب الرابع: أهمية التربية في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم الفكر التربوي الإسلامي

المطلب الأول: الفكر لغة واصطلاحاً

الفكر لغة:

التفكير التأمل، والاسم الفكر، والفكرة، وأفكر في الشيء، وفكر فيه بالتشديد، بمعنى واحد¹، وفكر وتفكر، وهو فكير كسكيت، وفكير كصيقل، كثير الفكر².

والفكر تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبراً³.

نستنتج مما سبق ما يلي:

(1) أن الفكر يعني التأمل وإعمال النظر.

(2) وأنه التردد القلبي في الشيء.

¹ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مادة فكر، دار الكتاب العربي، ط1، 1398هـ - 1967م، بيروت، لبنان، ص509.

² الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط1419، 6هـ - 1998م، مادة فكر، ص458.

³ ابن زكريا، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، د.ت.ط، ج4، باب الفاء والكاف، ص446.

الفكر اصطلاحاً:

أما الفكر بالمعنى الاصطلاحي:

(1) هو ما يترتب في الذهن من معلومات تجاه الواقع، للوصول إلى معرفة حقائق الأشياء¹.
والمعرفة حكم على الواقع، تنتظم باللغة وأساليبها، فاللغة وأساليبها تعبير عن الفكر وهي ليست فكراً.

ويتأتى الفكر بإدراك المعاني عن طريق تفسير ما يتمثل من واقعها في الذهن بالحكم عليه، أي باستعمال العقل في ربط الواقع المحسوس بالمعلومات السابقة. ولا يطلق الفكر إلا على ما كان له واقع محسوس، ويمكن أن يتأتى الإحساس به، بوساطة الحواس إلى الذهن، أو يتأتى الإحساس بوجوده من خلال الإحساس بأثره الدال عليه².

(2) والفكر كذلك عملية عقلية، يقوم بها الإنسان من أجل حل مشكلة من المشاكل التي تواجهه في حياته اليومية³.

والفكر بهذا المعنى الاصطلاحي، هو خاصية إنسانية، تنزهه الله سبحانه وتعالى عن أن يوصف به، فالله من صفاته العلم، وليس من صفاته الفكر، فهو عالم وليس مفكراً⁴.

نستنتج من التعاريف السابقة الأمور التالية:

أ- الفكر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها.

¹ إسماعيل، محمد محمد: قراءة في كتاب الفكر الإسلامي، تحقيق عز الدين هشام الموصلي، دار السلام ودار الكتاب الثقافي، 1425هـ - 2005م، الأردن، ص81.

² إسماعيل، محمد محمد: م.س، ص81.

³ ناصر، إبراهيم: التربية الدينية المقارنة، دار عمان للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ، 1996م، عمان، ص61.

⁴ عمارة، محمد: معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، ط1، 1412هـ - 1991م، القاهرة، ص87.

ب- يطلق الفكر على ما كان له واقع محسوس، ويعمل العقل بربط هذا الواقع بالمعلومات السابقة.

ت- الفكر هو نشاط نوعي يتميز به الإنسان، وتنزه الله عن الوصف به.

المطلب الثاني: معنى التربية لغة واصطلاحاً

التربية لغة:

التربية مشتقة من مادة " رَبَوَ " وهي تأتي بمعانٍ عدة منها:

أولاً _ النماء والزيادة . يقال: أربيتَه: بمعنى نميته، ومنه قوله تعالى: M U T V W

ثانياً _ العظمة والانتفاخ والزيادة، ومنه أربى عليه في السباب إذا

زاد عليه ، ومنه قوله تعالى: M (* + - L² . أي زائدة .

ثانياً _ العظمة والانتفاخ والزيادة : ومنه قوله تعالى: M أَهْرَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِهَيْج

L³ أي زادت وانتفخت وعظمت .

ثالثاً _ التغذيةية : يقال : رببته تربية : أي غدوته .

رابعاً _ العلو : يقال: ربوتُ الرابية: أي علوتها.

خامساً _ الرفةة: ومنه الرابية: أي كل ما ارتفع من الأرض، ويقال: أربى الرجل: إذا قام على رابية.

سادساً _ النشأة: يقال: رببتُ في حجره ورببت: أي نشأت⁴.

¹ سورة البقرة: 2 / 276.

² سورة الحاقة: 69 / 10.

³ سورة الحج: 22 / 5.

⁴ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، د. ت. ط، ج 14، ص 306، دار صادر، بيروت، لبنان. فيروز أبادي: القاموس المحيط، م.س، ج 4، ص 332 . الرازي: مختار الصحاح، م.س، ط1، ص231، مادة (رَبَا)، بيروت، 1967.

نستنتج من التعريفات اللغوية، أن التربية تدل على نماء الشيء وزيادته، وإخراجه من حاله التي هو عليها بالاعتناء به، والعمل على إعلاء شأنه، ورفع قيمته وقدره.

التربية اصطلاحاً:

تعددت الأقوال فيها، تبعاً لتعدد المذاهب الاعتقادية والفكرية لعلماء التربية، نورد منها ما يلي:

أولاً : تعريف علماء المسلمين

(1) يقول الإمام البيضاوي¹ في تفسير قوله تعالى (M) (L²) ، في سورة الفاتحة: الرب في الأصل : مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل، كما أنه نعت، من ربه يرهبه فهو رب، كقولك: نم ينم فهو نم، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويرببه³.

¹ (... _ 685هـ) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، ولي قضاء شيراز مدة، وصرف عنه، فرحل إلى تبريز وتوفي فيها، من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ويعرف بتفسير البيضاوي، وطوالع الأنوار، في التوحيد، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط16، 1425هـ، 2005م، ج4، ص 110.

² سورة الفاتحة: 1 / 2.

³ البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ، 1955م، مصر، ص3.

(2) هي وعاء وأساليب وإجراءات، ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، وبوساطتها تتطور الحضارة، عن طريق العلوم المتفجرة، والمعارف المتزايدة، على نسق ينسجم مع نظرة الأمة ورسالتها في الحياة¹.

ثانياً: تعريف التربويين العرب

(1) التربية هي المؤثرات المختلفة، التي توجه وتسيطر على حياة الفرد².

(2) التربية هي عملية صياغة الإنسان وفق تصورات معينة، وأهداف معينة محددة، بوسائل معينة³.

(3) التربية عملية مقصودة اصطفاهما المجتمع، لتنشئة الأجيال بطريقة تسمح بتممية طاقاتهم وإمكانياتهم إلى أقصى درجة ممكنة، ضمن إطار ثقافي معين، قوامه المناهج والأفكار والنظم، التي يحددها المجتمع الذي تنشأ فيه، مما يجعلهم على وعي بوظائفهم في هذا المجتمع⁴.

(4) التربية عملية مقصودة، هادفة، موجهة، يقوم المربون من خلالها بخلق مواقف تربوية، يكون من حصيلة تفاعل الفرد معها، تغييرات في السلوك الإنساني⁵.

¹ الفرحان، إسحق: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، 1403هـ، 1982م، عمان، ص14

² عبد العزيز، صالح: طرق التدريس، دار المعارف، ط1، 1400هـ، 1979م، مصر، ص13.

³ رفاعي، فتحية عمر: دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المدينة المنورة، كلية التربية، قسم طرق التدريس، 1414هـ، 1993م، ص41.

⁴ أبو العينين، علي خليل: فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، ط2، 1408هـ، 1987م، القاهرة، ص52.

⁵ عبد الجواد، صلاح العرب: اتجاهات جديدة في التربية الصناعية، دار المعارف، 1383هـ، 1962م، القاهرة، ص34.

ثالثاً: تعريف التربويين غير المسلمين

- (1) التربية عملية قصدية، يتم عن طريقها توجيه الأفراد الإنسانيين¹.
- (2) التربية هي العوامل المباشرة التي تؤثر في الأخلاق وفي الملكات البشرية، عن طريق وسائل يختلف غرضها المباشر عن نتائجها المقصودة كل الاختلاف².

ونستنتج من التعاريف السابقة للتربية الأمور التالية:

- (1) اتفاق الآراء على أن التربية هي عملية مقصودة لصياغة الإنسان، وتبليغه إلى كماله الإنساني، فهي تغيير للسلوك الإنساني إلى ما هو أحسن وأفضل.
- (2) التربية هي تآثر الفرد بالأفكار والقيم والسلوك، السائد في المجتمع، أو الأسرة، أو المدرسة. وذلك التأثير التربوي في الأفراد يحدث عن طريق احتكاكهم بالمجتمع والأسرة والمدرسة يكون عن طريق احتكاك الفرد بالمجتمع، أو الأسرة، أو عن طريق التعليم والتوجيه التربوي.
- (3) وهي نقل لتراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد.

¹ فينكس، فيليب: فلسفة التربية، ترجمة محمد ألبيب النجيجي، دار النهضة العربية، 1403هـ، 1982م، القاهرة، ص22.

² كلنتون، جراتان: البحث عن المعرفة، ترجمة عثمان نوبة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1383هـ، 1962م، ص55.

المطلب الثالث: معنى الفكر التربوي

الفكر التربوي هو مجموعة الآراء والأفكار، التي تؤلف النظرية الواحدة، أو النظريات المتقاربة، والتي بدورها تعتبر المرجعية والأساس¹.

ومن المعروف أن الفكر بشكل عام، والفكر التربوي بشكل خاص، هو عبارة عن نتاج عقلي، تتحكم فيه الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والتاريخية، والدينية، وتتم معالجة كل هذه الأمور بالتفكير واستخدام العمليات العقلية الرئيسة، كالتصور، والتخيل، والتحليل، والاستنتاج، أما ميدان الفكر التربوي، فهو تربية الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه².

والفكر التربوي الإسلامي هو إسهامات قدمت من مفكرين إسلاميين، ويلاحظ في هذه الإسهامات التأثير الكبير لوجود التحدي، الذي أوجده دخول الثقافة، والعلوم الاجتماعية الغربية في ثقافات البلاد الإسلامية، وهذا التأثير ظهر بأشكال مختلفة، كان منها الاقتباس من هذه الثقافة، أو بذل الجهد الفكري لمصادمتها ومهاجمتها والرد عليها، وكان لهذا التأثير أشكالاً أخرى عديدة غير هذين الشكلين، وتدور هذه الإسهامات حول التجديدات في ميدان التربية في المجتمعات الإسلامية، وتوجيه العملية التربوية في هذه المجتمعات لتكون مؤدية لدورها في المجتمع، قادرة على إحياء القيم الإسلامية فيه، وبعيدة عن تأثير القيم المتعارضة مع الإسلام، ليكون الإسلام ديناً ومنهج حياة، وعاملاً أساسياً في بناء هذه المجتمعات وحركتها، ولتحقق فيها انتمائها للإسلام، ولتنتهي حالة اغترابها عن دينها وحضارتها وقيمها³.

¹ موقع المسلم على الشبكة العنكبوتية <http://almoslim.net/node/101298>.

² ناصر، إبراهيم: التربية الدينية المقارنة، م.س، ص61.

³ موقع حياني جبران على الشبكة العنكبوتية <http://hayani77.jeeran.com>.

ودراسة الفكر التربوي معنية بطموحات الناس التربوية وما يهدفون إلى تحقيقه من غايات دينية، وأخلاقية، واجتماعية، من خلال نظمهم، وتطبيقاتهم التربوية، أما تاريخ التربية فموضوعه ما وقع فعلا من تلك الفعاليات، وما تحقق وما لم يتحقق من تلك الطموحات والغايات.

ولقد عنيت الدراسات العربية التربوية المعاصرة، بتاريخ التربية الإسلامية أكثر من عنايتها بالفكر التربوي الإسلامي كظاهرة حضارية، وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن ما كتب حتى الآن حول التربية الإسلامية لم يمس الفكر التربوي الإسلامي، فمن العسير الفصل بين عمل المؤسسات التربوية، والمبادئ التي قادتتها وحكمتها، لكنه يعني قطعاً أن الوقوف عند هذا الفكر كان عرضياً مرتبطاً بالمؤسسات التعليمية، أو الشخصيات التربوية، التي تعامل معها الباحثون المحدثون.¹

إن التربية عند بعض المفكرين هي من أوسع الميادين التي لا يمكن أن يحيط بها البحث، فهي ليست قاصرة على مرحلة معينة في حياة الفرد بل هي عملية مستمرة من المهد إلى اللحد تجري في جميع الميادين والبيئات والأماكن.²

ولما كان الإسلام مدرسة المسلمين، وبه يمكن الشروع في تأطير الفكر التربوي الإسلامي واستقراء أبعاده ومحتواه مع اشتراط التجاوز عن المفهوم المدرسي للتربية إلى مفهومها الشامل، إن التربية بهذا المعنى هي نوع من الهندسة الاجتماعية، وهذا بالضبط هو ما حاول الإسلام فعله من خلال توجهه إلى خلق مجتمع جديد نقيض لمجتمع الجاهلية، والرسالة الإسلامية بمجملها هي رؤية تربوية كاملة لمجتمع كان أحوج ما يكون لإعادة تربية، ولإعادة تهذيب، لهذا الغرض طرح الإسلام نفسه نقيضا غير مساوم للوضع الجاهلي M أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

¹ رضا، محمد جواد: التربية الإسلامية أصولها وإعلامها ومستقبلها، تساؤلات في جدلية الإسلام والحداثة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ، 1997م، ص5.

² الدليمي، طه علي حسين، الشمري، زينب حسين: أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2003م، عمان، ص13.

يُوقِنُونَ¹، L م، c b d e f g h i j k l m n o p

q r s t u v w x y z } ~ }²، بهذه المعارضة

بين الإسلام والجاهلية يستطيع الباحث أن يلتمس جذور الفكر التربوي الإسلامي، بأن يستقصي الأوامر القرآنية على أنها نقائص للفرضيات التي كان المجتمع الجاهلي يقوم عليها³.

والخلاصة فإن الفكر التربوي يعني الجهد المقصود الذي يسعى فيه المجتمع، من خلال مجالاته المتعددة، إلى إيجاد سلوك إيجابي لدى الأجيال، أو تعديل سلوك قائم يقتضي تعديله.

¹ سورة المائدة: 5 / 50.

² سورة الفتح: 48 / 26.

³ رضا، محمد جواد: التربية الإسلامية، تساؤلات حول جدلية الإسلام والحداثة، م.س، ص13-14.

تحقيق عدالة الله تعالى في المجتمع البشري، وسخر الله لهذا الإنسان كل مخلوقاته، ليستخدمها استخداماً لا شطط فيه، ولا غرور، ولا ذل، ولا خضوع¹.

إن التربية هي الأسلوب الاجتماعي الذي يكتسب به الأفراد، طرائق الحياة وقيم المجتمع الذي يعيشون فيه، لأنها أداة رئيسة يعتمد عليها في التعبير عن إرادة التغيير، والتربية تحتل مكانة مهمة في العملية التربوية من خلال ما تتضمنه من قيم روحية، وتربوية، وعلمية، وأخلاقية، مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والاجتهاد، وهي تهدف إلى بناء شخصية متكاملة متوازنة، ولم تعد التربية مجرد مقررات تعليمية، تتصل بالدين الإسلامي وعقائده وشرائعه وأخلاقه، بل هي علم متكامل له أهدافه ومباحثه.

والتربية كذلك هي إعداد الإنسان منذ الطفولة لإنجاز مهمات الإسلام، لنيل سعادة الدارين، وبهذا انفردت التربية الإسلامية عن سائر النظريات التربوية، وأخذت حيزاً بين المناهج التربوية العالمية، منذ اللحظات الأولى للبعثة المحمدية، حيث عرف عن الدعوة الإسلامية بأنها دعوة العلم والمعرفة، فقد كانت أول آيات القرآن الكريم داعية إلى القراءة التي هي مفتاح العلم ML KM
.2L O N

والتربية الإسلامية مصنع تربوي يمكن أن يشكل الفرد، ويضعه في ضوء مثل عليا وقيم سامية، وهي تربية تهيئ له فرص النمو المتعدد، وتمده بوسائل النضج المتوازن، وتشكله على نحو يتلاءم فيها سلوكه مع معتقده وقيمه، فضلاً عن أنها تزود الأفراد بما يحميهم من الانحراف،

¹ النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط1، 1399هـ، 1979م، ص19.

² سورة العلق: 96 / 1.

وتعرفهم طريق الهدى والرشاد، وتحبب إلى نفوسهم الخصال الحميدة، وفعل الخير، وفي هذا تماسك المجتمع وقوته¹.

ومن ثم تتجلى أهمية التربية الإسلامية وضرورتها من خلال النقاط التالية:

1 - إذا كانت التربية الإسلامية تحاول صياغة الإنسان المؤمن الصالح الإيجابي الفاعل، على مستوى نفسه وأسرته ومجتمعه ودينه، فإنها ترتبط بتصوير الإسلام للإنسان، أو صورة الإنسان في الإسلام، فالإنسان خليفة الله في الأرض، قال تعالى: M ! " # \$ % & ' (*) L²، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى لعبادته وإفراده بالتوحيد والعبادة E D C M (*) L³ H G F، ومن وظائف الإنسان الانتشار وتأليف الشعوب والقبائل، والتعارف والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى O N M L K J I H G F E M، والله أوجد الإنسان على الأرض من أجل تعميرها وتنميتها M هو أنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها⁴، وقد سخر الله للإنسان كل ما خلق في السماوات والأرض ليكون في خدمته، وما ذلك إلا ليقوى ويقوى المجتمع، ويصبح قادراً على نشر دين الله، وتحقيق العبودية له.

2- التربية الإسلامية تزرع قيماً تربوية، من شأنها تقوية صلة الإنسان المسلم بربه عز وجل، إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن، في كل حركاته وسكناته، فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقاراً، ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه يستشعر الخشية والخوف منه، في نفس الوقت الذي يتوجه إليه بالرجاء، وذلك الخوف وهذا الرجاء يملآن قلبه بشعورٍ عارمٍ من التحرر من جميع المخاوف، فالحياة بيد الله، ليس لمخلوق

¹ الدليمي، طه، الشمري، زينب: أساليب تدريس التربية الإسلامية، م.س، ص13 وما بعدها.

² سورة البقرة: 2 / 30.

³ سورة الذاريات: 51 / 56.

⁴ سورة الحجرات: 49 / 13.

⁵ سورة هود: 11 / 61.

قدرة على أن ينقضها ساعة أو بعض ساعة WVM ZYX [\] ^ _
ba c Ld¹.

3- والتربية الإسلامية بما تبثه من نهج الاعتدال والوسطية، تنبه الوالدين إلى خطورة التآرجح في تربيتهم أولادهم ما بين الإفراط والتفريط، أو التسلط والتساهل، أو القسوة واللين. فعملية تقبل الوالدين لطفلها يشكل المعيار الأساسي لنجاح أسلوبها في تربيتها، هذا المعيار هو الذي يوفر عنصر الأمن الضروري لنمو شخصيته، واكتمال اندماجه الاجتماعي، إلا أن هذا البعد التربوي الأساسي عادة ما يفرغ عندنا نحن المسلمين من محتواه الحقيقي، حين ننظر إليه في إطار ومنظار التسلط أو التساهل².

4- وهناك تمازج ملحوظ بين التربية الإسلامية والأخلاق، فالغاية التي تجمعهما هي تحقيق السعادة النفسية، والطمأنينة القلبية للإنسان، وتهيئة الحياة الآمنة له، في حياته العاجلة والآجلة، والعلم بالفضائل والردائل وحده لا يكفي، بل لا بد من الجانب الفطري، أو الحاسة الخلقية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يميز بين الفضائل والردائل، وهذه الحاسة الخلقية هي التي تسمى بلغة العصر الحديث "الضمير"، وبلغة الإسلام "الخوف من الله" أو المراقبة أو محاسبة النفس، وهذا ما يفسر سمو القاعدة الأخلاقية الدينية، عن القاعدة القانونية، فهما وإن تلاقيا كثيرا، إلا أن الأولى أوسع دائرة وأكثر دقة³.

5- اهتمت التربية الإسلامية بالوسط الأسري الاجتماعي، كعامل هام في تربية الفرد، فالإنسان يولد على الفطرة، والتربية الإسلامية تؤكد على أهمية القدوة الحسنة في الوسط الأسري في تنشئة الفرد، واهتمت بتكوين العادات الحسنة منذ النشأة الأولى للطفل لمخالطته للنماذج الطيبة، وإبعاده عن قرناء السوء⁴. ولقد اهتم الإسلام بالطفل وتربيته وتعليمه وتأديبه، وقد سبقت التربية الإسلامية الحديثة في اهتمامها بالطفولة وتعليمها وتربيتها، بل لقد بلغ اهتمام الإسلام بالطفل إلى ما قبل ولادته، فأمر بحسن اختيار الأم التي ستتولى الحمل والولادة والرضاعة والتربية والتي سيكون لها دور كبير في التربية والتعليم والمتابعة،

¹ سورة التوبة: 9 / 51.

² علي، سعيد أحمد: أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1427هـ، 2007م، عمان، ص20.

³ علي، سعيد أحمد: م.س، ص21.

⁴ مرسي، محمد منير: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط2، 1412هـ، 1991م، ص67.

وتعتبر الأسرة من المؤسسات التربوية الهامة التي تسهم بشكل كبير في نقل التربية إلى الأفراد، فهي البيئة التربوية الأولى للطفل، وهي التي تشكله حسب الروح السائدة في الأفراد المكونين لهذه الأسرة¹.

والخلاصة فإن التربية في الإسلام لها مكانة عظيمة، خاصة بين شرائعه وأحكامه، حتى أنها لتنتزل في الذروة من ذلك، فلا يعطوها شيء، سواء بما يتعلق بالفرد توجيهها، وإرشادها، ووعظها، وتأديبها، على أخلاق الإسلام، ليكون بذلك فردا، مسلما، ربانيا، متخلقا بأخلاق هذا الدين، أو على مستوى الأسرة، أو المجتمع ككل، بما تبثه من قيم الفضائل الحميدة، والنهي عن الرذائل السلبية.

¹ ناصر، ابراهيم: مقدمة في التربية، دار عمار، عمان، ط8، 1417هـ، 1996م، ص149.

المبحث الثاني: مصادر الفكر التربوي الإسلامي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: السنة النبوية

المطلب الثالث: الإجماع

المطلب الرابع: الاجتهاد

المبحث الثاني: مصادر الفكر التربوي الإسلامي

تمهيد

مصادر الفكر التربوي الإسلامي، هي مصادر الإسلام نفسها، ذلك أن التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه.

وهذه المصادر هي:

المطلب الأول: القرآن الكريم¹

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول لتعاليم الإسلام، وأحكامه، وقيمه، وتوجيهاته، وهو صالح لكل زمان ومكان، ولم يترك شيئاً من الأصول والمبادئ التي تنفع الناس في أمور حياتهم وآخرتهم إلا وتضمنه، وأشار إليه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والآيات القرآنية تؤكد شمولية الإسلام وسداد توجيهاته².

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم، ليكون منبع هداية وإرشاد وتشريع، وهو كتاب عقيدة وتنظيم لسائر جوانب الحياة الإنسانية، وتتكامل فيه الحقائق التاريخية مع الحقيقة الكونية، التي تثبت عقيدة المسلم، والقرآن الكريم بهذا المعنى، يحدد منهجاً واضحاً لحياة الإنسان والكون، فهو بالتالي يمثل الإطار المرجعي للتربية الإسلامية³.

الطابع التربوي للقرآن الكريم

من أقدر من الله خالق كل شيء على تقديم الهداية الكاملة للبشر؟ وأي منهج غير المنهج الإلهي يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية، ويفي بمطالبها، ويغذي عواطفها ومشاعرها، ويتابع

¹ هو كلام الله تعالى المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بلفظه ومعناه، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعدد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس . الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، مطبعة الحلبي، د.ت.ط، مصر، ص19. الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، دار الصابوني، 1407هـ، 1987م، ط2، ص6، أبو شهبه، محمد محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار الكتب، القاهرة، ط2، د.ت.ط، ص6.

² الشيباني، عمر محمد: الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1406هـ، 1985م، طرابلس، ص104.

³ متولي، مصطفى محمد: المدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ، 1992م، الرياض، ص161، 162.

تطورها ونموها، ويستوعب قضاياها، ويلحق أزماتها، ويلتئمها في تطورها الصاعد، ويقودها على طريق الكمال بلين ورفق؟ أي منهج يفي بذلك كالمنهج الذي ارتضاه الله، وجعل فيه الشفاء من الأسقام، والعلاج من الأوهام؟ إن النفوس وهي من صنع الله لا يمكن أن تعالج إلا بعلاجه، ولا أن ترتوي إلا من نبعه { Z M } | { ~ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ }¹، إنه سبحانه وتعالى العالم بكل خلية من خلايا الجسم الإنساني، وبكل ذرة من ذرات تكوينه، وبكل خالجه من خوالج نفسه، وبكل خاطرة من خواطر حسه².

وللقرآن الكريم أسلوب رائع، ومزايا فريدة في تربية المرء على الإيمان بوحداية الله واليوم الآخر، فهو يعرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فيربي العقل والعاطفة متمشياً مع نظرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة، وإن القرآن يبدأ بالمحسوس المشهود المسلّم به، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله وعظمته وقدرته، وسائر صفات الكمال، مع اتخاذ أسلوب الاستفهام، إما للتقريع، وإما للتنبيه، وإما للتحيب، مما يثير في النفس الانفعالات الربانية، كالخضوع والشكر ومحبة الله والخشوع له. والتربية القرآنية بلغت ذروتها في توجيه النفس، واستنفاد طاقتها لخير الإنسانية، ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوي القرآني ما جاء في سورة الرحمن، إذ يذكرنا الله جل جلاله بنعمه، ودلائل قدرته إلى ما سخر الله من شمس وقمر، ونجم وشجر، وفاكهة وثمر، فقد تكرر الاستفهام مثلا { Z M } | { }³ إحدى وثلاثين مرة، وفي كل مرة يثير انفعالا يختلف بحسب الآية التي تسبقه⁴.

¹ سورة النجم: 32 / 53.

² على، سعيد أحمد: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص161.

³ سورة الرحمن: 13 / 55.

⁴ النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، م.س، ص21-22، الدليمي، طه، أشمري، زينب،

أساليب تدريس التربية الإسلامية، م.س، ص 25.

المطلب الثاني: السنة النبوية

تأتي السنة النبوية بعد القرآن الكريم، في المصدرية لأحكام الإسلام، وتشريعاته، وتعاليمه، وتوجيهاته، وتمثل السنة النبوية، في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، صلى الله عليه وسلم، بصحة ورودها عنه صلى الله عليه وسلم، وهي لا غنى عنها في تفسير آيات القرآن الكريم، وبيان أبعاده، ومقاصده ومراميه.

فقد جاءت السنة النبوية لتفصيل مجمله¹، وتقييد مطلقه²، وتخصيص عامه³.

¹ فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها، فبين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بصلاته، وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة بقوله " صلوا كما رأيتموني أصلي ". البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1414هـ، 1994م ط1، ج2، ص345، رقم الحديث 4022، ابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، ص503، 1414هـ، 1993م، رقم الحديث 2131، وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري . الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، 1395هـ، 1975م، ط3، ص47.

² كقوله تعالى: M / O 1 2 L سورة المائدة: 38 / 5. فإن قطع اليد لم يقيد في الآية بوضع خاص، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع، ولكن السنة بينت ذلك، وقيدت القطع بأن يكون من الرسغ، وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما " أتى بسارق فقطع يده من مفصل الكف ". البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، م. س، ج8، ص278، رقم الحديث 17709. الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، م.س، ص48.

³ كقوله تعالى: M edc j i h f k l سورة النساء: 4 / 11. هذا حكم عام في وراثة الأولاد آباءهم وأمهاتهم، يثبت في كل أصل موروث، وكل ولد وارث، فخصت السنة المورث بغير الأنبياء بقوله صلى الله عليه وسلم: " نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"، وخصت الوارث بغير القاتل بقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يرث القاتل". الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم دار الجليل، بيروت، ج4، ص151، رقم الحديث 4776، د.ت.ط، النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفور البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ، 1991م، ط1، ج4، ص64، رقم الحديث 6310. الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، م.س، ص48.

والسنة النبوية غنية بالمبادئ التربوية التي يمكن للمربين أن يجدوا فيها ما يثري فلسفاتهم التربوية¹.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، مربياً عظيماً، وذا أسلوب تربوي فذ، يعلم الكبار والصغار، ويخاطب الناس على قدر عقولهم²، ويراعي الفروق الفردية بين المتعلمين³.

وقد أدرك بعض العلماء أهمية السنة النبوية، ومكانتها التربوية، فصنفوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تصنيفاً تربوياً، ككتاب الترغيب والترهيب⁴، وتحفة المودود في أحكام المولود⁵.

¹ النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط1، 1403هـ، 1982م، بيروت، ص81، 82.

² من ذلك أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً اسود واني أنكرته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل لك فيها من أورك؟ قال: إن فيها لورقا، قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعاً عرق، وهذا عسى أن يكون نزعاً عرق. الأورق الذي فيه سواد ليس بصاف، والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، اعتنى به وأعدده للنشر محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط2، 1430هـ، 2009م، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم الحديث 5305.

³ من ذلك أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال أدنه، فدنا منه قريباً، فقال: أتحبه لأملك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. ثم ذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته، وفي كل ذلك يقول الفتى لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، 4 / 362، حديث رقم (5415)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ. والامام أحمد، أبو عبد الله بن محمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل، 36 / 545، حديث رقم (22211)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على هذا الحديث أن إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

⁴ المؤلف عبد العظيم المنذري.

⁵ لمؤلفه ابن قيم الجوزية.

المطلب الثالث: الإجماع

الإجماع لغة:

هو العزم على الشيء والتصميم عليه¹، قال تعالى: M 5 6 L².

الإجماع اصطلاحاً:

هو اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي³.

ومن تحليل تعريف معنى الإجماع في الاصطلاح، يتبين لنا أنه لا يتم إلا بتوافر شروط، وهي:

الأول: أن يوجد في عصر وقوع الحادثة عدد من المجتهدين.

¹ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، م.س، مادة جمع، ص 57. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، م.س، ص 710.

² سورة يونس: 10 / 71.

³ الغزالي، محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول، دار صادر، ط1، 1416هـ، 1995م، بيروت، ص204. الرازي، محمد بن عمر: المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412هـ، 1992م، ج4، ص20. الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله: البحر المحيط في أصول الفقه، تعليق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م، لبنان، ج3، ص486، 487. والآمدي، علي بن أبي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.ط، ج1، ص280.

الثاني: الاتفاق على الحكم الشرعي في الواقعة جميع المجتهدين، بصرف النظر عن بلدهم أو جنسهم أو طائفتهم.

الثالث: أن يكون اتفاقهم بإبداء كل واحد منهم رأيه صريحاً في الواقعة، قولاً بالفتوى، أو فعلاً بأن قضى فيها، وسواء منفردين كانوا، أو مجتمعين.

الرابع: تحقق الاتفاق من جميع المجتهدين، فلو اتفق أكثرهم لا ينعقد، مهما قل عدد المخالفين، وكثر عدد المتفقين، ومن الأمثلة على الإجماع: تحريم الزواج بالجدة لأنها أم، وإجماع الصحابة على توريث الجدة السدس، وإجماع الصحابة أيضاً على جمع القرآن في مصحف واحد¹.

هذا هو الإجماع الصريح، أما الإجماع السكوتي فهو أن يذهب بعض المجتهدين إلى رأي معين، ويعرف عند بقية المجتهدين في عصره فلا ينكره أحد².

حجية الإجماع السكوتي:

والعلماء اختلفوا في حجيته على قولين:

الأول: هو إجماع وهو حجة، لكن دون الإجماع الصريح، ويشترطون لذلك شروطاً منها:

- (1) أن يصل حكم المسألة إلى الساكت قطعاً.
- (2) أن تمضي مدة يمكنه فيها الإجتهد في حكم المسألة.
- (3) ألا يكون سكوته لمانع كالخوف من القول برأيه، أو عدم توصله لحكم في المسألة.

الثاني: الإجماع السكوتي ليس بحجة، لأنه لا ينسب لساكت قول، ولاحتمال أن السكوت لم يكن للموافقة بل لأمر آخر، ومن الأمثلة على الإجماع السكوتي: التكبير من غداة يوم عرفة إلى نهاية أيام التشريق¹.

¹ علي، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص 184 وما بعدها.

² شومان، عباس: مصادر التشريع الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1420هـ، 2000م، ط1، ص64.

والخلاصة فإن الأثر التربوي للإجماع هو:

- (1) إعمال الفكر في المسألة وهو تحفيز للعقل.
- (2) الالتقاء على رأي واحد والإجماع عليه، وفيه إشارة تربوية إلى وحدة الكلمة.
- (3) أن المسلمين لا يتركون حياتهم فوضى بغير أحكام تسيّر شؤونهم، والإجماع واحد من مصادر الأحكام المنظمة لشؤون المسلمين.

¹ شومان، عباس: مصادر التشريع الإسلامي: م. س، ص 65.

المطلب الرابع: الاجتهاد

الاجتهاد لغة:

مأخوذ من الجهد (بفتح الجيم وضمها) وهو الطاقة والمشقة¹، ومنه قوله تعالى: **M** وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ²، أي حلفوا واجتهدوا أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم، فهو بذل المجهود واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور، وهو لا يستعمل إلا فيما يكون فيه حرج ومشقة³.

الاجتهاد اصطلاحاً:

هو استفراغ الجهد في استنباط القضايا الدينية، شرعية أو عقدية، عقلية أو نقلية، قطعية أو ظنية، من أدلتها التفصيلية⁴.

ويفهم من المعنى الاصطلاحي للاجتهاد أنه الرافد الذي يمد الفكر الإسلامي بالحياة والتطور والازدهار، فلا بقاء لشرع ما لم يظل ملبياً لحاجات العصر، متجدداً مع تجدد الوقائع والحوادث، وهذا لا يكون إلا إذا أمده الاجتهاد بالفعالية والنشاط والقوة، لأن من مقتضيات النمو وتطور الحياة، وانتشار الشريعة في الأقطار والزمان، وإيجاد الحلول الشرعية المناسبة فتح باب الاجتهاد، خاصة

¹ الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: م.س، ص 275.

² سورة الأنعام: 6 / 109.

³ الصالح، صبحي: معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، ط4، 1403هـ، 1982م، بيروت، ص32.

⁴ الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات في أصول الشريعة، شرح وضبط محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، لبنان، د.ت.ط، ج4، ص89. الزحيلي، وهبة: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط1، 1407هـ، 1986م، ج2، ص1039.

في هذا العصر، عصر تجدد الحوادث، وتدفق المشكلات، وتعقد المعاملات، وفي وقتنا الحالي، قضايا كثيرة متنوعة ومتعددة، تستدعي حلولاً شرعية، ولا سبيل لحلها إلا بالاجتهاد¹.

والحق أن الاجتهاد حركة علمية بناءة لبيان الأحكام الشرعية، وهي من أهم مرتكزات التربية الإسلامية، وما يصل إليه الفكر التربوي الإسلامي إنما هو رأي منبثق من الشريعة وخادم لها، ومن هنا تبدو ضرورة الاجتهاد وتتجلى أهميته للتربية الإسلامية لا سيما في هذا العصر الذي يزخر بالتعقيدات²

والخلاصة فإن مصادر الفكر التربوي في الإسلام، هي مصادر التشريع نفسها، وهذه المصادر نوعان:

- 1- المصادر الإلهية (الأصيلة): المتمثلة بالمصدرين الأساسيين القرآن الكريم، والسنة النبوية، لأنهما يشتركان في كونهما جاءا وحيًا من الله عزوجل.
- 2- والمصادر البشرية (الفرعية): ويتمثل في الإجماع والقياس والاجتهاد، سواء في الماضي أو الحاضر، شريطة أن يتفق مع ما جاء في المصادر الأصيلة.
- 3- الاجتهاد يعتبر رافداً من روافد التربية الإسلامية، التي هي متجددة بعطائها، فالاجتهاد مستمر لا ينقطع حتى تقوم الساعة.

¹ العمري، نادية شريف: الاجتهاد في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ، 1985م، بيروت، ص255.

² العمري، نادية الشريف: الاجتهاد في الإسلام، م.س، ص258.

المبحث الثالث: أسس الفكر التربوي الإسلامي

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ربانية المصدر والوجهة

المطلب الثاني: مفهوم العبادة الشامل

المطلب الثالث: شمول الإسلام لكل زمان ومكان

المطلب الرابع: كمال الإسلام وختمه للرسالات السماوية

المطلب الخامس: تجديد أمر الدين بتجديد متغيرات الحياة

المطلب السادس: تغيير ما في الواقع بتغيير ما في الأنفس

المطلب الأول: ربانية المصدر والوجهة

أولاً: ربانية المصدر

من أسس الفكر التربوي الإسلامي الربانية، أي أن مصدر هذا الفكر الأول والأساسي، هو رب العالمين، فهو فكر رباني، يستمد من مصدر ثابت لا يتغير ولا يتبدل، قال تعالى: M فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ ﴿٢٠٠﴾ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا يُبَدِّلُ خَلْقَ ۗ ﴿٢٠١﴾ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ أَكْثَرَ مِنْكَ ۗ ﴿٢٠٢﴾ وهذا الفكر هو من الله عز وجل، ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره، وذلك تمييزاً له عن التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري، وتمييزاً له كذلك عن المعتقدات الوثنية، التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية².

وهو فكر مستقل متميز، وبذلك يتميز الفكر التربوي الإسلامي بأصله الرباني، وحقيقته الربانية، فالتصورات الاعتقادية التي جاءت بها الديانات قبله، قد دخلها تحريف في صورة من الصور، وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات وتأويلات وزيادات، فبدلت طبيعتها "الربانية"، وبقي الإسلام وحده محفوظ الأصول، وصدق وعد الله في شأنه $m \quad l \quad k \quad j \quad i \quad h \quad g \quad M$ ³.

ثانياً: ربانية الوجهة

فالإسلام يجعل غايته الأخيرة، وهدفه البعيد، حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على

¹ سورة الروم: 30 / 30.

² قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، 1418هـ، 1980م، ط7، ص51.

³ سورة الحجر: 9 / 15.

مرضاته، فهذه غاية الإنسان، ووجهته، ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة¹، يقول عز وجل:

.²LH G F E D C B A M

ثالثاً: ربانية الفكر الإسلامي والتربية

واتسام التربية الإسلامية بالربانية، يغرس في نفوس السائرين وفق منهجها حبها واحترامها، احتراماً نابعاً من الإيمان بكمالها وسموها وخلودها، فإن موجه هذه التربية ليس بشراً يحكمه القصور والعجز البشري، والتأثر بمؤثرات الزمان والمكان والحال، ومؤثرات الوراثة والمزاج والهوى، وإنما موجهها هو صاحب الخلق والأمر في هذا الكون، ورب كل من فيه وما فيه، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم، وما يصلح لهم ويصلحهم، M - ، - / 1 2 L³.

والربانية تتطلب توجيه النظر والقلب إلى مشاهدة الكون، وما بث الله فيها من الآئه، ودلائل قدرته، وبديع حكمته، فكل هذا إنما يهدف إلى تثبيت الإيمان وإلى الاتجاه إلى الخالق العظيم بقلب سليم، وهذا الأسلوب من أقوم أساليب التربية والتوجيه والإرشاد، تحقيقاً لقول الله تعالى: M سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ L⁴، وإن الله عز وجل أراد من عرض آياته في الآفاق " أن ترجع البشرية إلى ربها، وإلى منهجه الذي أراد لها وإلى الحياة الرفيعة الكريمة، التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان، والتي تحققت في فترة من

¹ قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، م، ص 52.

² سورة الانشقاق: 6 / 84 .

³ سورة الملك: 14 / 67 .

⁴ سورة فصلت: 41 / 53 .

فترات التاريخ، على ضوء هذا التصور، عندما أصبح واقعا في الأرض يتمثل في أمة تقود البشرية إلى الخير والصلاح والنماء"¹

وربانية التربية الإسلامية، تتطلب من الذي ينهج نهجها أن يحرص على ذكر الله والتبئل إليه، حتى لا تنسيه مطالب العيش وشئون الحياة الدنيا ما عليه الله ولنفسه من واجب يصل به إلى الخير، قال تعالى: T S R Q P O N M L K J I H G F E M : Z Y X W V U²، فإله سبحانه وتعالى يوضح لرسوله الكريم، ولباقي عباده، ما في الحياة نهارا من سعي ومشغلة تمنع من التفرغ للعبادة، ويبين ما ينبغي إزاء ذلك من علاج، وذلك بذكر الله والتبئل إليه، ومداومة التسييح والتحميد، وتلاوة القرآن الكريم³.

فالمناهج أو الأنظمة التي نراها في العالم اليوم ثلاثة فيما عدا الإسلام:

الأول - منهج مدني بشري محض، مصدره التفكير العقلي، أو الفلسفي للبشر فرداً، أو مجموعة من الأفراد.

الثاني - منهج بشري كذلك، مثل الديانة البوذية القائمة في الصين واليابان والهند، والتي لا يعرف لها أصل إلهي، أو كتاب سماوي، فمصدرها فكر بشري.

الثالث - منهج أو مذهب ديني محرف فهو وإن كان إلهيا في أصله عملت فيه يد التحريف والتبديل، فأدخلت فيه ما ليس منه، وحذفت ما هو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمة ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية، والنصرانية، بعد ثبوت التحريف في التوراة والإنجيل نفسيهما، فضلا عما أضيف إليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية، بدلت المراد من كلام الله، قال تعالى: M ! " # \$ % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5

¹ قطب، سيد: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، م.س، ص 10-11.

² سورة المزمل: 73 / 7-9.

³ علي، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص 56-62.

MIKJIH G F E DCB !@? > = < ; 9 8 7 6
.1L Q P 0N

أما الإسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريفهم، ذلك أن الله تعالى
تولى حفظ كتابه، ودستوره الأساسي بنفسه، وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته²، 7

.3L m I k j i h g M 8

¹ سورة الأنعام: 6 / 91.

² القرضاوي، يوسف: مدخل لمعرفة الإسلام، مقوماته خصائصه أهدافه مصادره، مكتبة وهبة، 1416هـ، 1996م،
ط1، القاهرة، ص 138-139.

³ سورة الحجر: 15 / 9.

المطلب الثاني: مفهوم العبادة الشامل

العبادة لغة:

تأتي العبادة في اللغة بعدة معانٍ من أهمها: الطاعة، والتذلل، والخضوع، فيقال: طريق معبد: أي مذل للسير عليه، وبغير معبد: أي سهل الانقياد¹.

العبادة اصطلاحاً:

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وعلى ذلك فجميع أعمال الإنسان التي تركز على الإيمان بالله واليوم الآخر، والتي يقصد بها وجه الله تعالى، إذا أدت على وجهها المشروع تعد عبادة²، وهي حب الله والخضوع التام له، فالصلاة والزكاة والحج والصيام والصدق وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم وابن السبيل والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة³.

والعبادة لا تكون إلا لله وحده، وقد أكد القرآن الكريم ذلك في آياته فقال تعالى $\text{لَا يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ}$ $\text{إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ}$ ، والدين الإسلامي قائم على أصليين:

الأول: أن لا يعبد إلا الله تعالى.

¹ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، م.س، مادة عبد، ج3، ص270.

² العيادي، أحمد صبحي: المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، 1427هـ، 2007م، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط2، ص260.

³ ابن تيمية، محمد بن أحمد: العبودية، المكتب الإسلامي، ط2، د.ت.ط، ص38.

⁴ سورة الكهف: 18 / 110.

الثاني: أن لا يعبد الله تعالى إلا بما شرع.

وذلك يتحقق بالشهادتين، فالأولى شهادة أن لا اله إلا الله فلا نعبد إلا إياه، والثانية أن محمداً رسول الله، فهو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق ونطيعه، فهو الذي بين لنا ما نعبد الله به، فكما أننا مأمورون بأن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا عليه، ولا نستعين إلا به، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ونطيعه ونتأسى به، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه¹.

والإسلام حرم كل ما يؤدي إلى عبادة غير الله كتحريم الركوع والسجود لغير الله، وتحريم تشييد القبور ورفعها، وتحريم الحلف بغيره، والعبادة لا واسطة فيها، فهي صلة مباشرة بين العبد وربّه، لا تحتاج إلى شفاعاة الشفعاء أو الوسطاء².

فالعبادة إذا شاملة لكل جوانب الحياة، فهي شاملة للدين كله، سواء كانت شعائر أو معاملات أو أخلاق أو فضائل أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو جهاد في سبيل الله³، وهي ليست محصورة في الصلاة والصيام والحج، وما يلحق بها من دعاء وذكر واستغفار، كما يتبادر إلى فهم الكثير من المسلمين، فهذه جزء من العبادة وليست كلها، فكل عمل نافع يعده الله عبادة، ما دام قصد فاعله الخير وليس السمعة والثناء، ومن أمثلة الأعمال النافعة: تخفيف كربة المكروب، أو سد رمق المحروم، أو شد أزر المظلوم، أو قضاء دين غارم، أو الأخذ بيد فقير، أو رفع أذى عن طريق، وقد عرف المسلمون الأوائل حقيقة معنى العبادة، فكانوا عباداً لله حقاً، وكان وصف العبودية جلياً في حياتهم وجميع أعمالهم، إذ كانوا لا يتحركون تحركاً، ولا يسكنون سكوناً، إلا ويستشعرون رضاء الله عن ذلك التحرك والسكون، حتى أصبح هذا الشعور محور تحركهم ومبعث سلوكهم، لا تشوبه شائبة، ولا

¹ ابن تيمية: العبودية، م.س، ص53.

² المبارك، محمد: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، دار الفكر، 1396هـ، 1975م، ط1، بيروت، ص170.

³ المودودي، أبو الأعلى: مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، دار القلم، 1395هـ، 1974م، الكويت، ص9 وما بعدها.

يغفلون عنه لحظة، ولما ضعف هذا المفهوم في نفوسهم، وخفت ذلك الشعور في تصرفاتهم، بعدوا عن حقيقة العبادة تدريجياً حسب بعدهم عن ذلك المحور¹.

وحيث يعقد الإنسان مقارنة بين المفهوم الشامل الواسع العميق، الذي كانت الأجيال الأولى من المسلمين تفهمه من أمر العبادة، والمفهوم الهزيل الذي تفهمه الأجيال المعاصرة، لا يستغرب كيف هوت هذه الأمة من عليائها، لتصبح في هذا الحضيض الذي تعيشه اليوم، وكيف هبطت من مقام القيادة والريادة للبشرية كلها، لتصبح ذلك الغناء الذي تتداعى عليه الأمم، تنهشه من كل جانب، كما تنهش الفريسة الذئب، ويعلم الإنسان في الوقت ذاته الطريق الذي ينبغي أن تسلكه الصحو الإسلامية، وهي تجاهد لرفع هذا الغناء من حضيضه الذي يعيش فيه، ليعود كما أراد الله M .

2 1 O / L 2 2، كان المفهوم الصحيح للعبادة في حس الأجيال الأولى، أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله، كما فهموا من قوله تعالى: M C D E F G H I L⁴³.

والعبادة بهذا المفهوم الشامل، لمجالات الحياة كلها، وباعتبارها هدفاً للتربية الإسلامية، تحتاج في تقديمها وتدريبها إلى وسائل وأساليب، يمكنها أن تحقق الغاية المرجوة منها⁵، وهذه الوسائل تشمل:

¹ البيانوني، محمد أبو الفتح: بحث بعنوان تحول العبادات إلى عادات وأثره في حياة المسلمين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد2، 1395هـ-1396هـ، 1974-1975م، ص189.

² سورة آل عمران: 3 / 110.

³ سورة الذاريات: 51 / 56.

⁴ قطب، محمد: مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، 1408هـ، 1988م، ط3، ص 113-114.

⁵ محجوب، عباس: أصول الفكر التربوي في الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، 1408هـ، 1987م، ط1، ص 170.

1. فقه العبادة لا علم العبادة: لأن الفقه يتجاوز الرؤوس والعقول، التي يتعلق بها العلم إلى القلوب والنفوس، والله تعالى جعل خير المسلم في التقه في الدين، لا في مجرد العلم بالدين، قال تعالى: *M لِيَنْفَقَهُوْا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ*¹، وقال تعالى (*M*) * + ، - ²، فالفقه شيء في القلوب والعقول يتحرك به الإنسان في واقعه قولاً وعملاً ولفظاً وسلوكاً، فيكون شاملاً لكل مجالات تربية الإنسان، والعلم في العقول فقط.
2. الرجوع إلى البساطة في عهد النبوة التي يقول فيها صلى الله عليه وسلم "صلوا كما رأيتموني أصلي"³، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه معلومات سهلة ميسرة عن الصلاة، ورؤية واقعية له وهو يصلي، من غير دراسة وتحليل وشرح للجزئيات.
3. التبسيط لا التزمت والوسوسة، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم للتبسيط فقال "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"⁴، وهو أمر فوق التبسيط، لأن التبسيط يكون في التعليم، والتبسيط يتناول العمل والأداء، فلا بد من محاربة الوسوسة والتشديد في النفوس.
4. الرجوع إلى الكتاب والسنة دون التعصب بمذهب، وإلزام الناس أن يتعبدوا بمذهب من المذاهب، ولا يقصد بهذا اتباع المذاهب حسب الأهواء، ومن غير دليل ولا حجة، بل المقصود اتباع الدليل والأحكام التي قويت حجتها، واطمأنت النفوس إليها⁵.

¹ سورة التوبة: 9 / 122.

² سورة الأعراف: 7 / 179.

³ سبق تخريج الحديث صفحة 34.

⁴ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1417هـ، 1996م، الرياض، ط1، كتاب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، حديث رقم 147.

⁵ القرضاوي، يوسف: العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، 1397هـ، 1977م، بيروت، ط5، ص 300.

المطلب الثالث: شمول الإسلام لكل زمان ومكان

لم يتوقف الإسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره، حتى في أشد أيام غزوه من القوى المعادية له، فهم يريدون له انحسارا، والله يريد له انتشارا M T U V W X Y Z [\] ^ L¹، لقد بدأت حرب جديدة وهي الحرب الفكرية التي تغزو عقول المسلمين وقلوبهم، وبعُد المسلمون بعدها عن الفهم الشامل للإسلام، كما أراده المولى سبحانه وتعالى في قوله تعالى: M ! " # \$ % & ' () * + , - . / O 1 2 3 4 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S U V W X Y Z

²، فهذه آية واحدة من آيات الله بينت الشمول في الإسلام، فهي تتضمن: العقائد، الأخلاق، والعبادات، والمعاملات.

ورسالة الإسلام لكل الأزمنة والأجيال، ليست رسالة محصورة بعصر معين أو زمن مخصوص، ينتهي أثرها بانتهائه، فليس بعد الإسلام شريعة، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي، إنها رسالة المستقبل المديد ولا شك، وهي أيضا رسالة الماضي البعيد، وهي كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة، ولا بشعب ولا بطبقة، إنها الرسالة الشاملة، التي تخاطب كل الأمم، وكل الأجناس، وكل الشعوب، وكل الطبقات، إنها ليست رسالة لشعب خاص، وليست رسالة لأقلية معينة، وليست رسالة لطبقة معينة، وهي كذلك رسالة الإنسان من حيث هو إنسان متكامل، إنها رسالة الإنسان كله: عقله وروحه، وجسمه، وضميره، وإرادته ووجدانه، قال تعالى: M r s t U V W X Y Z³، فشمول الإسلام ميزة تميزه عن كل ما عرفه الناس من الأديان

¹ سورة الصف: 61 / 8.

² سورة البقرة: 2 / 177.

³ سورة الأعراف: 7 / 158.

والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة الشمول من معان وأبعاد، شمول يستوعب الزمن كله ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله¹.

والشريعة الإسلامية بذاتها صالحة لكل زمان ومكان، لأن في معانيها ومبادئها وأحكامها ما يجعلها صالحة لهذا العموم المكاني و الزماني².

كما أنها تربي الفكر على الشمول، لأن صدور أحكامها عن الله خالق البشر جميعا، وخالق الكون والحياة والإنسان، كل ذلك يجعل الإنسان يتعلم التعميم والشمول في إصدار الأحكام³.

¹ القرضاوي، يوسف: مدخل لمعرفة الإسلام، م.س، ص153-155.

² زيدان، عبد الكريم: نظرات في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2000م، بيروت، لبنان، ط1، ص 15.

³ العيادي، أحمد صبحي: المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، م.س، ص428.

المطلب الرابع: كمال الإسلام وختمه للرسالات السماوية

إن الإسلام يستمد بقاءه من أمرين:

1. كونه من عند رب العالمين.
 2. صلاحيته لكل زمان ومكان بعد مجيئه على يد خاتم النبيين والمرسلين.
- ونبوات الأنبياء السابقين ورسالاتهم تحقق فيها الأمر الأول، وأما بالنسبة للأمر الآخر فكانت محدودة الزمان والمكان، وقد يبعث الله أكثر من نبي في وقت واحد وفي مكان واحد ON M L T S R Q P¹، وهذا تدرج طبيعي في الوصول إلى كمال الإسلام الذي كان ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، الذي استوعب برسالاته أصول الرسالات السابقة، وتحديث عن رجالاتها، وعدت الإيمان بهم من أصول الإيمان بها، فهم جميعاً يأخذون من مشكاة واحدة، ويدعون إلى إله واحد M ! " # \$ % & ') (* + , - . / L²، فالإسلام تم وكَمَّل على يد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم³.

لقد ختمت الشرائع الإلهية بالشرعية الإسلامية، التي أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بتبليغها للناس، وقد بلغها صلى الله عليه وسلم فعلاً، وجاءت أحكامها شاملة لجميع شؤون الحياة، ومنظمة لجميع علاقات البشر، سواء كانت هذه العلاقات بين الفرد وربّه، أو بين الفرد والفرد، أو بين الفرد والجماعة، أو بين الجماعة والجماعة، فهي بحق دين ودولة⁴.

وشاء الله للإسلام أن يكون الرسالة العامة الخالدة، فهو هداية الله للناس كافة، من كل الأمم، وكل الطبقات، وكل الأفراد، وكل الأجيال، فلا غرو إذا كانت نظرة الإسلام جامعة محيطه

¹ سورة فاطر: 24 / 35.

² سورة الأنبياء: 21 / 25.

³ الراوي، محمد: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، 1415هـ، 1995م، الرياض، ط1، ص39-40.

⁴ زيدان، عبد الكريم: نظرات في الشريعة الإسلامية، م.س، ص13.

مستوعبة، لأنها ليست نظرية بشر، بل وحي من أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لهذا أودع الله في هذا الدين ما يشبع كل نهمة معتدلة، وما يقنع كل ذي وجهة، و يلائم كل تطور، فمن كان مثاليا ينزع إلى الخير لذات الخير، وجد في أخلاقيات الإسلام ما يرضي مثاليته، ومن كان يؤمن بمقياس السعادة، وجد في الفكرة الإسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموعة، ومن كان يؤمن بمقياس المنفعة فردية أو اجتماعية وجد في الإسلام ما يرضي نفعيته، ومن كان يؤمن بالترقي إلى الكمال، وجد فيه ما يحقق طلبته¹.

¹ القرضاوي، يوسف: مدخل لمعرفة الإسلام، م.س، ص109، 110.

المطلب الخامس: تجديد أمر الدين بتجديد متغيرات الحياة

إن التجديد من سنن الإسلام، فقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"¹، وهو سنة إلهية تتابع على أدائها الأنبياء والرسل، ونزلت من أجلها كتب الله عز وجل، لدعوة الخلق إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وطاعة أمره وإقامة فرائضه QP ON M،² L N M LK J I HG FE D M،³ LT SR، فبعثة الأنبياء كانت لتجديد الدين في النفوس، وهداية الناس إلى صراط الله المستقيم، وإرشادهم إلى النجاح.

والفكر التربوي الإسلامي هو الفكر القائم على كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمرتبطة بثقافة المسلمين وعلومهم المنضبطة بالكتاب والسنة، فالنبوة خُتمت، والدين اكتمل، وإنما يقصد بتجديد الفكر التربوي الإسلامي ما يعيد للأمة في مجموعها هويتها الدينية، وينمي فيها الاعتزاز بدينها، وتنشط به التربية الإسلامية مرتكزة على سلامة العقيدة والوعي بمستجدات العصر، والحاجة إلى هذه قائمة ومستمرة، لأن امتداد الزمان من دواعي النسيان، وما يجد من قضايا وأحوال تستدعي التجديد والمواجهة، حتى يظل الإسلام حاكماً لأمته، ويظل المسلمون عباداً لربهم ومخلصين له، وهذا واجب تربية الأمة الإسلامية، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، دعوة للخير، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، ورداً لضلالات الباطل وأهله.⁴

¹ الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج2، ص148، الحديث أخرجه أبو داود(4291)، وقد صححه الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ، 1995م.

² سورة النحل: 16 / 36.

³ سورة فاطر: 24 / 35.

⁴ علي، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص50.

وتجديد الفكر التربوي الإسلامي بمعناه الصحيح، يستلزم أن ينهض علماء الأمة بالاجتهاد في علوم الدين والتربية على تنوعها واتساع آفاقها، كما نهض أسلافهم في مختلف العصور، ويواجهوا مشكلاتهم وقضاياهم، واضعين نصب أعينهم أنهم دعاة حق، وأن الجهد في ذلك جهد بشري محكوم بزمانه، من حيث القدرات والقضايا، ومستويات الناس العلمية والثقافية، وأن الأمة الإسلامية، بل الإنسانية كلها في حاجة إلى استخراج كنوز المعرفة من أصول تربيتنا الإسلامية منفتحين على الآخرين، ومستوعبين لإنجازات العصر النافعة، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وحتى يكتب النجاح لأي تجديد أو تعاون، أو بحث بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم، لا بد من الاتفاق على المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف المسلمين الصالح، وشيدوا على أساسه نهضتهم الإنسانية العالمية¹.

إن الناظر في الشريعة الغراء يجدها تنقسم إلى نوعين من الأحكام، الأول: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد، يخالف ما وضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع يُنوع فيها حسب المصلحة، وقد ضرب ابن القيم لذلك عدة أمثلة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ثم قال: وهذا باب واسع، اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة التي لا تتغير، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجوداً وعدمًا².

ومن هنا لم يجد المحققون من فقهاء المسلمين، في مختلف العصور أي غضاضة أو حرج في إعلان جواز تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف والأحوال، فالإسلام الذي ختم الله به

¹ علي، سعيد إسماعيل، م.س، ص 51.

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، حققه وكتبه هوامشه محمد حامد ألفقي، دار الكتب العلمية، 1412هـ، 1992م، بيروت، ج1، ص 368.

الشرائع والرسالات السماوية، أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والتطور معا، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ونستطيع أن نحدد مجال الثبات، ومجال المرونة، في شريعة الإسلام ورسالته الشاملة الخالدة، فنقول: إنه الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب، والثبات على الأصول و الكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، والثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية¹.

¹ القرضاوي، يوسف: مدخل لمعرفة الإسلام، م.س، ص176 وما بعدها.

المطلب السادس: تغيير ما في الواقع بتغيير ما في الألفس

الثاني: التغيير لغة:

تَغَيَّرَ الشيء عن حاله: تَحَوَّلَ، وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان، قال تعالى: M ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 L¹، معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله، وغير عليه الأمر: حوله، وتغايرت الأشياء اختلفت، والمغير الذي يغير على بعير أداته ليخفف عنه ويريحه، وغير الدهر أحواله المتغيرة².

التغيير اصطلاحاً:

والتغيير يأتي على وجهين:

أحدهما: تغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال غيرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كان.

الثاني: تبديله لغيره نحو: غيرت غلامي ودابتي إذا أبدلتها بغيرهما³، نحو قول الله عز وجل M

| { ~ يُغَيِّرُ مَا يَقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }⁴.

¹ سورة الأنفال: 8 / 53.

² ابن منظور: لسان العرب، م.س، ج5، ص 400.

³ الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 368.

⁴ سورة الرعد: 13 / 11.

ومن المعاني السابقة للفظة التغيير نرى أنها تأتي لمعنيين:

الأول: تغيير صورة الشيء دون ذاته، أو تبديله بغيره وهو معنى تحويله وجعله غير ما كان.

الثاني: التخفيف وإصلاح شأن الشيء، كما يخفف صاحب البعير عن بغيره من رحله ويصلح من شأنه، وهذه مسؤولية الأفراد، كل فرد على حدة، وهي مسؤولية الأقسام، والجماعات كذلك، مسؤولية تضامنية، فلا تظن جماعة ما أن الله ينزل عليها التغيير لحالها من السماء، كما أنزل المن والسلوى، بل إن التغيير الإلهي لحال البشر، لا بد أن يسبقه تغيير داخلي من جانب البشر أنفسهم، أي أن التغيير الإلهي مرتب على التغيير البشري، ترتب المسببات على أسبابها التي وضعها الله عز وجل والتي شرعها الله تعالى¹، وهنا نجد أن القرآن الكريم وضع قاعدة من القواعد الاجتماعية المهمة، وسنة من سنن التغيير الاجتماعي، وقانوناً من القوانين التي وضعها الله في هذا الكون، لأن القرآن جاء يغرس في عقول المسلمين وفي أنفسهم، أن هذا الكون يسير على سنن ثابتة، سنن كونية، وسنن اجتماعية لا تتبدل M فَنَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا²، فلا بد أن تُراعى هذه السنن، فهي سنن لا تحابي أحداً، ولا تتحيز إلى أحد، أو ضد أحد، تعمل مع المسلمين كما تعمل مع الكافرين، مع أهل التوحيد ومع أهل الشرك، من جدّ وجد، ومن زرع حصد، من أي ملة كان، فالكافر الذي يزرع يحصد، والمسلم الذي يتكاسل ولا يزرع لا يحصد، والذي يتزوج امرأة ولودا، ويأخذ بأسباب الإنجاب يولد له، والذي لا يتزوج ولا يأخذ بأسباب الولادة، ويدعو الله أن يرزقه الذرية، فأني يستجاب لهذا؟³.

ومن المفارقات، أن نتطلع بشوق إلى تغيير الواقع، دون أن يخطر في بالنا، أن ذلك لن يتم، إلا إذا حصل تغيير الأنفس قبل ذلك، ونحن مطمئنون إلى ما بأنفسنا، ولا نشعر كثيراً مما فيها، هو الذي يعطي حق البقاء لهذا الواقع الذي نريد أن يزول، ونحن نشعر بثقل وطأته علينا، ولكن لا نشعر

¹ القرضاوي، يوسف، تفسير سورة الرعد، مطبعة المدني، 1418هـ، 1998م، القاهرة، مصر، ط2، ص156.

² سورة فاطر: 35 / 43.

³ القرضاوي، يوسف، تفسير سورة الرعد، م.س، ص157.

بمقدار ما يساهم ما في أنفسنا، لدوامه واستمراره، فهذا ما يريد القرآن أن يعلمه البشر، في تفسير ما يحل بهم، حيث يلح في إظهار: إن مرد المشكلة إلى ما في النفس، وليس من الظلم الذي يحقّق بالإنسان من الخارج، بل من الظلم الذي ينزله الإنسان بنفسه، وهذا هو لب التاريخ، وسنة الاجتماع، الذي يقرره القرآن، وبإغفاله تُظلم الحياة، وتنشأ الفلسفات المتشائمة الخائفة، أو الفلسفات المتسلطة المارقة¹.

ويوجد عند شباب العالم الإسلامي اليوم استعداد لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام، ولكن قلّ أن تجد فيهم من يتقدم لبيدّل سنين من عمره ليقضيها في دراسة جادة، لينضج موضوعاً، أو يصل به إلى تجلية حقيقية، مثلاً: كمشكلة الانفصال الذي يعيشه المسلم بين سلوكه وعقيدته، إذ كثير من الأسئلة التي تطرح، ولا إجابة شافية لها، مع أنه لا يمكن التغيير من وضع إلى وضع، إلا بعد إجابة موضوعية عن هذه الأمثلة، ولا يمكن ذلك إلا بعد الدرس والتحصيل².

والخلاصة نرى أهمية التعرف على الفكر التربوي الإسلامي، والعودة إلى منابع الأصلية له، والحاجة الماسة لنا للتعرف على مصادره وأأسسه، لينهض المسلمون على مستوى الفرد والجماعة، وليرتقوا في مدارج الكمال الإنساني، وليحققوا الغاية من وجودهم على هذه الأرض.

¹ القرضاوي، يوسف: الصحوّة الإسلاميّة بين الجحود والتطرف، مؤسسة الرسالة، 1419هـ، 1998م، ط6، بيروت، لبنان، ص 194-195.

² سعيد، جودت: حتى يغيروا ما بأنفسهم، د.د.ن، 1395هـ، 1975م، ط2، ص12.

الفصل الثاني: تعريف بالشيخ محمد الغزالي، وحياته العلمية

المبحث الأول: ميلاده ونسبه ودراسته ووظائفه ووفاته

المطلب الأول: ميلاده وتسميته

المطلب الثاني: نسبه وأسرته

المطلب الثالث: شيوخه

المطلب الرابع: دراسته

المطلب الخامس: وظائفه

المطلب الخامس: وفاته

المبحث الثاني: آثاره العلمية وفيه مطالب

المطلب الأول: المطبوعات

المطلب الثاني: الخطب

المطلب الثالث: المحاضرات

المطلب الرابع: اللقاءات

المبحث الثالث: الحالة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصر الشيخ محمد

الغزالي. وفيه مطالب

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة الثقافية

المبحث الرابع: الشيخ محمد الغزالي وحركة "الإخوان المسلمين". وفيه مطالب

المطلب الأول: الدعوة من خلال حركة الإخوان

المطلب الثاني: الشيخ محمد الغزالي والإمام حسن البنا

المطلب الثالث: الشيخ محمد الغزالي وحسن الهضيبي

المبحث الأول : ميلاده ونسبه ودراسته ووظائفه ووفاته

المطلب الأول: مولده وتسميته

ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا في قرية نكلا العنب التابعة لمركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة، وهي إحدى المحافظات الكبرى بالوجه البحري بمصر، يوم السبت 5 ذي الحجة 1335هـ، 22 سبتمبر 1917م¹.

ولد الشيخ الغزالي لأسرة ريفية فقيرة ومدنية، ولقد سماه والده باسم مركب هو محمد الغزالي، تيمناً باسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتيمناً بحجة الإسلام أبو حامد الغزالي²، لنزعة صوفية لدى الوالد.

¹ عويس، عبد الحلیم: الشيخ محمد الغزالي، تاريخه وجهوده وآراؤه، دار القلم، 1420هـ، 2000م، ط1، ص7.

² (450 - 505هـ) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران، خراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز في بلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده، نسبه إلى صناعة الغزل، من كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد. الزركلي، خير الدين: الأعلام، م.س، ج7، ص22.

المطلب الثاني: نسبه وأسرته

(1) رؤيا خير

في النصف الثاني من العقد الثاني من القرن العشرين، كان يعيش أحمد السقا، وهو شاب متدين، يفيض قلبه بحب الله عز وجل وحب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، في قرية نكلا العنب، كان هذا الشاب يقضي سحابة نهاره في الكد والكدح طلباً للرزق في دكانه، ويستغل أوقات فراغه في ترتيل القرآن الكريم وتعهده بالحفظ، ثم في مطالعة الكتب الدينية، وبخاصة تلك التي اهتمت بتهديب الوجدان وترقيق النفوس، وكان من أهم ما يستهويه في قراءاته مؤلفات حجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وخاصة كتاب " إحياء علوم الدين " الذي كان أكثراً لقراءته.

وفي ليلة من الليالي، تراءى له الإمام الغزالي في المنام وأخبره أنه سيتزوج ويُنجب غلاماً، وأشار عليه أن يسميه الغزالي، لم تطل المدة على هذا المنام، حتى سعى الشاب أحمد إلى خطبة فتاة من بيت متدين، من قرينته ذاتها، وتزوجها، ولم يمر وقت طويل حتى كانت هذه الفتاة حُبلى بأول أولادها من زوجها، وكان هذا الولد ذكراً، فما كان من أبيه إلا أن سارع إلى تنفيذ وصية الإمام الغزالي التي أوصاه بها في المنام، فسمى ولده " محمد الغزالي " ¹.

(2) أب فقير يهب ولده لله

أهم ما يميز البيئة التي ولد ونشأ فيها الشيخ محمد الغزالي، أنه ولد لأب تقي ورع يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويحرص على تعلم كتاب الله عز وجل وتعليمه، إذ كان من حفظة

¹ الغزالي، محمد: خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، إعداد قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.ط، ج1، ص13، .

القرآن يتلوه وينتدبره، و يتعهد بالتثبيت في صدره¹، ولما كان رحمه الله فقيراً متديناً، فقد كان يعلق آمالاً كبيرة على ولده البكر، لذلك لم يكن غريباً أبداً أن ينشئه على ما نشأ عليه هو وأحبه وأخلص له، ألا وهو حفظ القرآن الكريم، ولذلك شرع يهتم به ويوفر الظروف اللازمة لتربيته وتهذيبه وتعليمه، فما أن بلغ الخامسة حتى أدخله الكتاب، ليحفظ القرآن الكريم مع غيره من الصبية، ولما كان هو أيضاً من الحفاظ، فقد تعاون مع فقهاء الكتاب على ألا يضيع ولده الوقت سدى²، فكان يحفظ حصته المقررة على الشيخ، ويضيف إليها حصة أخرى على والده، فما أن بلغ العاشرة حتى كان قد حفظه كله³.

4) والد شفوق وأم حانية

لقد كان للتضحيات الذي بذلها الشيخ أحمد السقا في سبيل ولده، أثرها العميق في شخصية الغزالي، حيث كان يلاحظ بدقة جهود والده في تربيته وتعليمه، ويدرك في نفسه أن هذه الجهود لا تتبع من فراغ، فهي إنما تتبع من حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والإخلاص لدينه.

فلقد حرص الشيخ أحمد على تعليم ولده تعليماً دينياً، وتحفيظه القرآن الكريم، ولم يكن يتوخى من وراء ذلك أي غرض دنيوي، خاصة وأن التعليم الديني كان ولا يزال إلى يومنا هذا غير مرغوب فيه من فئات كثيرة من الناس، وعادة ما كان المتخرجون منه مثار تجاهل الناس وازدراؤهم، ويصف الغزالي طرفاً من جهاد والده، في تحفيظه كتاب الله عز وجل، وتنشئته له تنشئة وثيقة الصلة بالله فيقول: "أبي توفر على تعليمي القرآن بحماسة لم يدركها فتور، حتى استظهرته وأنا

¹ المجذوب، محمد: الشيخ محمد الغزالي السقا، ضمن محاضرات الشيخ الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع، جمع وإعداد قطب عبد الحميد قطب، البشير للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.ط، ص17.

² الغزالي، محمد: قصة حياة: مقتطفات من مذكرات الشيخ محمد الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، رمضان 1417هـ، يناير 1997م، السنة الثانية، العدد 7، ص157.

³ المجذوب: الشيخ محمد الغزالي السقا، م.س، ص18.

صبي غَضَّ العود، وقد فعل ذلك وهو يعلم أن المتخرجين في المدارس المدنية قد استأثروا بغنائم الحياة وأشرف مناصبها، وأن علماء الأزهر يحيون مما يلقي إليهم من فئات الموائد، فمرتب الواحد منهم قد يبلغ ثلاثة جنيهات في الشهر لا يزيد.

ومع ذلك فإن الرجل ترك كل ما في القرية ونزح إلى الإسكندرية ليكون قريباً مني، وأنا أتلقى العلم الديني في أولى حلقات السلسلة الدراسية الطويلة للأزهر الشريف، إن هذا الأب مثل الألوف من المسلمين الذين شقوا بالقرآن أو أصرهم، ونذروا له أولاده، إنهم لم يربطوا حاضرهم وحسب بهذا الكتاب، بل أبقوه في أعقابهم، فيومهم وغدهم سواء في الزلفى إلى الله وطول التأمل فيه¹.

وكما يصف المعاملة الإنسانية التي كان يعامله بها أبوه هو وإخوته فيقول: "والدي كان شديد الحنو على أولاده، كريماً في الإنفاق عليهم، كان يكده من أجلنا، وكنا تسعة بين ذكور وإناث، كان يستيقظ باكراً، يقرأ بعض الأذكار من آيات القرآن الكريم، ثم يفتح الدكان ويجتهد من الفجر إلى المساء ليأتي لنا بالخيرات، وكان مسرفاً علينا لا يوفر شيئاً، يكسب وينفق كل ما يكسب"².

وكما كانت أم الغزالي "سيدة بارة صالحة محسنة، تحب الخير والإحسان للناس، وكان الغزالي يذهب إلى قريته بعد ذلك وتطلب منه والدته أن يحسن للجميع، وكان يتوقع دائماً منها هذا الطلب

¹ الغزالي، محمد: نظرات في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط6، ص225-226 .

² من حوار للشيخ مع مجلة سيدتي، نقلته عنها جريدة الشروق العربي الجزائرية، من 23 - 30 أبريل 1996م، عدد259 .

عندما يذهب إلى قريته، فكان يعد أكبر مبلغ من المال لإنفاقه في أوجه الخير والبر، أو يعطيه لأمه للإنفاق منه، ولكنها كانت دائماً تكلفه أكثر مما أعد للإنفاق"¹.

ولا شك أن هذه البيئة الأسرية التي نشأ فيها الغزالي، كان لها هي الأخرى تأثيرها العميق في مسار حياته، وفي الاهتمامات التي ملأت عليه كيانه وفكره ووجدانه، بشكل جعله يسخر حياته كلها لخدمة هذه الاهتمامات.

¹ شلبي، أحمد: الشيخ الغزالي ومعركة المصحف في العالم الإسلامي، دار الصحوة، القاهرة، 1408هـ، 1987م.

المطلب الثالث: شيوخه

إضافة إلى تأثر الغزالي بجهود والده وجهاده في سبيل تعليمه، فقد تأثر أثناء دراسته في معهد الإسكندرية الديني بعدد من الأساتذة المرموقين الذين درس على أيديهم، واستفاد منهم كثيراً، ويذكر بعض هؤلاء الأساتذة فيقول: "في معهد الإسكندرية الديني، تأثرت بالشيخ إبراهيم غرباوي، والشيخ عبد العزيز جلال، وكانا يشغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية، لأن للألقاب العلمية طيننا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود بالدين"¹.

كما تأثر أيضاً بالشيخ محمد الريان والذي يذكر عنه أنه "كلفه ذات يوم إعراب الجملة التالية: "عبدت الله" وعلى دأب ذلك الجيل الملتزم، أجاب أن اسم الجلالة منصوب على التعظيم، فما تمالك الشيخ الريان أن بكى، وحق لإنسان مشغول القلب بحب الله أن يبكي وهو يستمع إلى ذكر مولاه معظماً على لسان تلميذه، ولا شك أن اختزان ذهن الغزالي لهذه الذكرى منذ ذلك العهد، إنما يصور مدى تأثره بموحيات ذلك الجو المتوهج بالإشراق"².

أما الإمام الذي تأثر به الشيخ الغزالي أكثر من غيره فهو الإمام الشيخ حسن البنا³، فقد كان مدرسة وحده، فكراً وفقهاً، ودرايةً بالواقع الإسلامي في مراحلها الراهنة، وأسلوبه وأعماق بصيرته

¹ الغزالي، محمد: خطب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ج1، ص14.

² الشيخ محمد الغزالي حياة وأثار شهادات ومواقف، جمع وإعداد دار الأمة، الجزائر، ط1، ص176، 1418هـ، 1997م.

³ هو حسن بن أحمد عبد الرحمن البنا، ولد سنة 1906 في محافظة البحيرة بمصر، كان أبوه من العلماء العاملين المشغولين بالحديث، التحق حسن البنا بدار المعلمين في دمنهور سنة 1920 م، ثم بكلية دار العلوم وتخرج الأول في دفعة سنة 1927، وعين مدرسا، واشتغل بالدعوة والإصلاح، وأسس النواة الأولى لجمعية الإخوان المسلمين سنة 1347 هـ 1928 م، وأنشأ مجلة الإخوان المسلمين، والندير، من آثاره مجموعة الرسائل، مذكرات الدعوة والداعية، حديث الثلاثاء، أعتيل في ربيع الثاني 1368هـ، 12 فبراير 1949 م. البنا، حسن: مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا، مؤسسة الرسالة، القاهرة، د.ت، ط، ص 6.

في الأحداث المعاصرة، جعلته في طليعة العلماء في العصر الحديث، ويصف الشيخ الغزالي صلته بالامام حسن البنا، وتلمذته على يديه، وما استفاده منه فيقول:

"حسن البنا أستاذي الأول في ميادين كثيرة، وكنت وأنا طالب أستمع إلى محاضراته في القرآن الكريم، وأتأمل معه في النظرات التي كان يرسلها، وكنت أعود إلى بيتي فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات، حتى تجمع لدي كتاب في هذا الصدد، لكنه للأسف ضاع مني، لكن معانيه بقيت في ذاكرتي، واستفدت من الإمام الشهيد في طريقة التفسير التي تعتمد على المعاناة الخاصة والذوق الشخصي، وذلك لطول تدبره في كتاب الله، وشدة ارتباطه به، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحي"¹

ومما يذكره الشيخ الغزالي عن أستاذه حسن البنا، وخصاله الحميدة قوله: "حسن البنا كان صديقا لكل من يلقي من أهل الإيمان، فتغمرك بشاشته عندما تراه، وتشعر كأنك أصبحت صديقا له أثيرا لديه، وكان يضمن بوقته على اللغو، فما تمر ثانية، ولا أقول دقيقة، إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع، أو دعاية لطيفة تربط القلوب، وذاكرة حسن البنا كانت حديدية، وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء والمعاني، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا، أو ذكرت له اسم إخوتك مثلا ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين، لبادرك بالسؤال عن إخوتك، وناقشتك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين، واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب، والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف، وربما عانق عاملا يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها، فما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبه"²

وخلال دراسته الجامعية، استفاد الغزالي من شيوخه وأساتذته الذين تلقى العلم على أيديهم في كلية أصول الدين بالأزهر، وكثير منهم كان من العلماء البارزين المرموقين في كثير من العلوم

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ، 2000م ص27.

² الغزالي، محمد: خطب الغزالي، م.س، ج1، ص14-15.

الشرعية، وتركوا آثارا بارزة في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، وعلى رأس هؤلاء الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت¹ شيخ الأزهر الأسبق²، يقول الشيخ محمد الغزالي عن الشيخ شلتوت: "وقد تأثرت بالشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخاً للأزهر، إذ كان مدرساً للتفسير، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال، إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً، وقد كان رحمه الله شخصية عالمية بارزة يلتفت حولها الكثيرون"³.

كما استفاد الغزالي أيضاً من الشيخ محمد عبد الله دراز⁴، الذي أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الدراسات القرآنية، التي تنحو منحى التفسير الموضوعي، ومنها رسالته لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون (دستور الأخلاق في القرآن)، ومنها أيضاً كتابه الفذ (النبأ العظيم) الذي أفاد منه الغزالي كثيراً، واعترف لصاحبه بفضل الريادة في منهج التفسير الموضوعي للسور القرآنية⁵، ولم يقف تأثر الغزالي بالشيخ دراز عند حدود التوجيه الفكري فحسب، بل لقد ترسم طريقته ذاتها حين

¹ ولد عام 1311هـ، وتوفي عام 1383هـ، ولد في إحدى قرى محافظة البحيرة، يعد إمام التقريب بين السنة والشيعه، نادى بتطوير الأزهر مما أدى إلى طرده منه ثم إرجاعه، ألف مؤلفات عديدة أشهرها: الإسلام عقيدة وشرعية، الفتاوى، القرآن والمرأة، وغيرها. كُريّم، سامح: المجددين في الإسلام، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1431هـ، 2010م، ط1، ج3، ص189.

² فلوسي، مسعود بن موسى: الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود، مكتبة وهبه، القاهرة، 1424هـ، 2003م، ط1، ص39.

³ الغزالي، محمد: خطب الغزالي، م.س، ج1، ص14.

⁴ مفكر إسلامي ولد عام 1312هـ وتوفي عام 1378هـ، له مؤلفات عديدة أشهرها: الفلسفة الأخلاقية في القرآن، المدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، لم يعيش طويلاً، ولم تتل كتاباته أي اهتمام، يعد أكثر تقدماً من أفكار كثيرين ممن جاءوا بعده. كريم، سامح: المجددين في الإسلام، م.س، ج3، ص159.

⁵ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ، 1993م، ط3، ص129.

أقبل على ممارسة التفسير الموضوعي للسور القرآنية، وذلك من حيث العناية بالوحدة الموضوعية
للسورة¹

ومن الأساتذة الذين تأثر بهم الغزالي أيضاً، من بين شيوخه في الأزهر، الشيخ عبد العظيم
الزرقاني²، ويصف الغزالي هذا التأثر فيقول: "تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقاني، الذي كان
مدرسا بكلية أصول الدين، وهو صاحب كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن)، وكان عالما يجمع
بين العلم والأدب، وعباراته في كتابه المذكور تدل أنه راسخ القدم في البيان وحسن الديباجة ونقاء
العرض"³

كما أن من بين شيوخه الذين درس على أيديهم، ولا بد وان يكون قد تأثر بهم الشيخ الإمام محمد
أبو زهرة⁴، الفقيه المعروف، الذي كتب عدداً كبيراً من الدراسات القيمة في علوم الشريعة، وقد
درس للغزالي وزملائه كتابه (محاضرات في النصرانية) كما ذكر الغزالي نفسه⁵.

¹ الغزالي، محمد: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ، 1993م ،
ط2، ج1، ص5.

² الزرقاني ، محمد عبد العظيم (000 - 1367 هـ = 000 - 1948م) من علماء الأزهر بمصر، تخرج من
كلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، توفي بالقاهرة، من كتبه مناهل العرفان في علوم
القرآن، وبحث في الدعوة والإرشاد. الزركلي، الأعلام، م.س، ج6، ص210.

³ الغزالي، محمد: خطب الغزالي، م.س، ج1، ص14.

⁴ ولد عام 1898م، وتوفي عام 1974م، يعد أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، ولد بمدينة المحلة الكبرى،
تعلم بمدرسة القضاء الشرعي، تولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، عين أستاذا محاضرا للدراسات
العليا في جامعة القاهرة، وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، وكان وكيلا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، أصدر
أكثر من 40 كتابا منها: أصول الفقه، الخطابة، محاضرات في مقارنة الأديان، وغيرها. الزركلي: الأعلام، م.س
ج1، ص16.

⁵ تقديمه لكتاب محاضرات في النصرانية، طبعة شركة الشهاب، الجزائر.

وإلى جانب هؤلاء الأساتذة الذين تأثر بهم الغزالي تأثراً مباشراً، فإنه في أثناء دراسته في كلية أصول الدين، كان من بين الأساتذة فيها" الدكتور محمد أحمد الغمراوي¹، والشيخ أمين الخولي²، والدكتور عبد الوهاب عزام³، والأستاذ عبد الوهاب خلاف⁴، والشيخ محمد الخضر حسين⁵، والدكتور محمد البهي⁶.

¹ ولد عام 1289هـ، توفي عام 1363هـ، مدرس مصري، ولد وتوفي بالقاهرة، كان مفتشاً للغة العربية، فمراقباً لمجمع اللغة، تعلم بدار العلوم، واشتغل بالتدريس في مصر خمس سنوات، وفي كلية غوردون بالسودان، وجامعة أكسفورد في إنجلترا، وعاد إلى مصر فكان مفتشاً للغة العربية. الزركلي، الأعلام، م.س، ج6، ص 96.

² ولد عام 1895، توفي عام 1966م، ولد في المنوفية، تعلم في الأزهر، عين للشؤون الدينية في السفارة المصرية بروما فأحدث أزمة حملت حكومة إيطاليا على نقله، نقل إلى برلين فأحدث أزمة أخرى، عين أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة، يعتبر من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. الزركلي: الأعلام، م.س، ج1، ص 16.

³ ولد عام 1894م، توفي عام 1959م، مصري، عالم بالأدب، ولد بالجيزة بمصر، دخل الأزهر، أختير مستشاراً للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن، التحق بجامعة لندن ونال منها درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية، درّس الفارسية بجامعة القاهرة، ثم عين عميداً لتلك الكلية، تقلد سفيراً بالسعودية والباكستان، أنشأ جامعة الملك عبد العزيز بالرياض، توفي بمنزله بالرياض، وهو من أعضاء المجامع العلمية في العراق مصر وإيران. الزركلي: الأعلام، م.س، ج4، ص 186.

⁴ ولد عام 1888م، توفي عام 1956م، فقيه مصري من العلماء، كان أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، ومفتشاً بالمحاكم الشرعية، أحد أعضاء مجمع اللغة العربية، ولد بكفر الزيات، له تصانيف عديدة منها: علم أصول الفقه، الاجتهاد والتقليد، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية وغيرها، الزركلي: الأعلام، م.س، ج4، ص 184.

⁵ ولد عام 1876م، توفي عام 1958م، عالم إسلامي أديب باحث، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر. الجابي، بسام عبد الوهاب: معجم الأعلام، الجفان والجابي للطباعة والنشر، 1407هـ، 1987م، ط1، ص 704.

⁶ ولد عام 1905م، توفي عام 1983م، مفكر إسلامي دعا إلى التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي، ولد بمحافظة البحيرة، نادى بتطوير الأزهر وعدم اقتصره على التعليم الديني وحده، فتحقق مراده سنة 1962 حيث أصبح يدرس مواد علمية أخرى، له عدة مؤلفات أشهرها: الدين والحضارة الإسلامية، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، الإسلام والرق، وغيره. يوسف، محمد خير رمضان، تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ، 1998م، ط1، ج2، ص 53.

والدكتور محمد يوسف موسى¹، والشيخ المجاهد الغيور محمد الأودن²، وآخرون³.

والخلاصة فإن الشيخ محمد الغزالي قد تتلمذ على يد نخبة من الأساتذة ، ولعل أبرز المؤثرين منهم في إعدادة وتكوينه الشيخ حسن البناء، ويبدو تأثيره به من خلال تأثيره الشديد في كثير من كتاباته، حتى إنه ليكاد يتمثل شخصيته فضلاً عن هضمه لفكره، ولقد بدا هذا واضحاً في شرح الشيخ محمد الغزالي للأصول العشرين، التي وضعها الشيخ حسن البناء، ومع التأثير الشديد بالشيخ حسن البناء، إلا أن الشيخ محمد الغزالي كانت له شخصيته المستقلة، ورؤيته الخاصة، كما سيمر معنا في الصفحات القادمة.

¹ ولد عام 1899م، توفي عام 1963م، فقيه مصري، ولد في الزقازيق، حفظ القرآن وهو صغير، درس الفرنسية، واشتغل بالمحاماة الشرعية، دعا إلى الاجتهاد والتجديد، تنوعت مؤلفاته ما بين الأخلاق والشريعة وعلم الكلام والترجمة والتحقيق، أشهرها: مباحث في فلسفة الأخلاق، القرآن والفلسفة، الإسلام والحياة وغيرها.

<http://ar.wikipedia.org/wiki/>

² عالم من علماء الأزهر ، ولد عام 1894م، توفي عام 1967م، ولد في محافظة الدقهلية، تعلم بالأزهر، يعتبر من كبار علماء الحديث بعصره، تعرض للسجن هو وأولاده الأربعة وتعرض للتعذيب وذلك في محنة الإخوان المسلمين عام 1965، توفي ودفن بالمدينة المنورة. موقع ويكيبيديا الاخوان المسلمين على الشبكة العنكبوتية

<http://www.ikhwanwiki.com>

³ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 167.

المطلب الرابع: دراسته

أولاً: التعليم في الكتاب

لا يزال كثير من المسلمين متمسكين بهذا النوع من التعليم، رغم بعدهم عن كثير من أحكام الإسلام الأخرى، وحتى بعض الأحكام الأساسية منها، فحرصهم على تربية أبنائهم منذ نشأتهم الأولى على الاتصال بكتاب الله عز وجل، وذلك بإدخالهم المدارس القرآنية المعروفة بالكتاتيب، حيث تبدأ صلتهم الأولى بحروف اللغة العربية، إذ يحفظونها ويتعلمون كيفية كتابتها، ثم يتدرجون بعد ذلك في حفظ كتاب الله شيئاً فشيئاً، فمنهم من يتم حفظه، ومنهم من يتوقف في بداية الطريق، ومنهم من يتوقف في وسطه، وذلك تبعاً لنوع التربية التي يؤخذ بها الطفل، وتبعاً لما للتعليم القرآني من أهمية في نظر الوالدين، وكذا تبعاً لمدى قرب هذين الوالدين أو بعدهما عن الوعي الصحيح بقيمة القرآن الكريم وأهميته في تربية المسلم وأثره في حياته كلها، وكل ذلك بمدى التزامهما بأحكام الإسلام في حياتهما الخاصة والعامة، أو عدم التزامهما بها¹.

وبدهي أن حفظ القرآن الكريم في مثل هذه السن شيء آخر غير فهم واستيعاب معانيه، فالبون بعيد بين الأمرين، ذلك أن الأطفال في هذه السن عادة ما تكون لديهم ذاكرة خارقة تستوعب كل ما يعرض عليها، ولكن لا تتوفر لديهم قدرات فكرية تمكنهم من فهم كل هذا الذي يعرض عليهم²، ويذكر الشيخ الغزالي في هذا المجال بعض ما كان يحسه من مشاعر أثناء الفترة التي قضاها في كتاب قريته فيقول: "لقد استطعت كعدد كبير من الأولاد الصغار أن أحفظ القرآن كله وأنا ابن عشر سنين، وبديهي أن يكون المسجل في ذاكرتي هو الشكل لا الموضوع، هو الألفاظ لا المعاني، وهو السور البادية للقرآن لا السور المفعمة بالروح والنور والقوة، لقد نقشت في أذهاننا أوائل الصفحات في المصحف الذي كنا ننقل عنه لنكتب في ألواحنا، فسورة آل عمران في الصفحة اليمنى بعد

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص23.

² فلوسي: م.س، ص24.

أسطر من تمام سورة البقرة، وسورة الأنعام مثلاً في الصفحة اليسرى، لأن ختام المائدة استغرق الصفحة اليمنى بأجمعها، هناك حزن أو فرح، أمن أو قلق، حر أو برد، أجل حر أو برد، تثب إلى الذهن ذكره حين أقرأ بعض السور، وربما وقع تعلمنا لإحدى السور في فصل الصيف أو رقدة الظهيرة بالتحديد، والعرق ينحدر على الجباه، والجو يكتم الأنفاس، ويهيج الأعصاب، والفقير الغضوب لا يتسامح في عثرة لسان، ولا يقبل وقفة قصيرة حين تسميع، وهنا تهتز العصا وتعمل عملها في إهاب الجلود، والأهل لا يسمعون إلى شكوى من هذه القسوة، فإن الكلمة المأثورة لديهم: عصا الفقيه من الجنة¹.

كما يصف الشيخ الغزالي أيضاً بعض الظروف التي مرت بها حياته في الكتاب فيقول: "لم أكن بليداً ولا نابغاً، كنت متوسط الذكاء، ضئيل الجسم، قصير القامة، وكان وقع العصا على جلدي رهيباً عندما أخطئ، وربما أكرهتني الهيبة على التلعثم، فإذا ارتفعت العصا أسرع إلى استعادة وعيي وتابعت القراءة، فإما نجوت، وإما ضربت ضربة خفيفة، إن الكتاب شيء مقلق، قاعة واحدة واسعة مليئة بعشرات المستويات تضم قريبا من مائة صبي بين السادسة والسادسة عشرة، كل منهم عاكف على اللوح الذي يكتب فيه أو يقرأ منه، وهناك من يقرؤون في المصاحف، بعدما انتهوا من مرحلة الكتاب، وعلى بعد مائة ذراع تسمع هدير التلاوة، تقطعه بين الحين والحين استغاثة مضروب لم يحسن الأداء، يتوجع من لذع العصا، والآباء يوصون المعلمين بالألا تأخذهم شفقة في التعليم والتأديب، فعصا الفقيه من الجنة كما يقولون، بقيت في الكتاب إلى سن العاشرة، فأنتمت حفظ الكتاب العزيز، وعرفت مبادئ الحساب، وشيئا قليلا من قواعد الإملاء، ورأى أبي أن يقدم على مرحلة تعد عصيبة بالنسبة له، لكنها مهمة بالنسبة لي"².

¹ الغزالي، محمد: نظرات في القرآن، م.س، ص 266-267.

² الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 157-158.

ثانياً: التعليم في معهد الإسكندرية الديني

بمجرد أن حفظ الشيخ محمد الغزالي القرآن الكريم، قرر والده أن يلحقه بالمعهد الديني في الإسكندرية، وهذا في سنة 1928م، ليواصل تعليمه في المرحلة الابتدائية، ولذلك باع والده دكانه الذي يرتزق منه في قريته، ورحل إلى الإسكندرية الذي اشترى فيها مكتبة بحي "كرموز" كانت تباع الأوراق والكراريس، والروايات المترجمة، والكتب المدرسية والعلمية، والقصص الشعبية، والأسفار الدينية المختلفة¹.

كانت تلك المكتبة هي الموقع الفكري الأول الذي نهل منه الغزالي، وفي ذلك يقول: "تطلعت إلى المكتبة التي نرتزق منها وكنت منهوماً بالقراءة، فتركني أبي أقرأ، وإن كان قد لاحظ في أسف أنني أرغب عن القراءة في الكتب الدينية، وأوثر مطالعة الروايات الأجنبية، وربما فضلت قراءة ألف ليلة على أن يختار لي هو من الكتب"².

وقد تحمل الشيخ أحمد السقا نفقات هذا الانتقال ومغارمه بنفس راضية مطمئنة، ولم يكن يهمله سوى أن يلحق ابنه بالمعهد، وقد تحقق له ما أراد حين ظهر اسم ولده بين أسماء مائتي طالب ناجح في امتحان القبول الذي عقدته مشيخة معهد الإسكندرية الديني³.

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 27.

² الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 159.

³ فلوسي، الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 27.

(1) الشيخ محمد والزي المنكور

كان من نتائج النجاح في امتحان القبول أن محمد الغزالي أصبح ملزماً بارتداء العمامة والجبة المقررة، وهو الوضع الذي ربما لم يسترح إليه وإن كان ملزماً به¹، ولذلك يقول في وصفه: " يظهر أن منظري وأنا في هذه السن الصغيرة، كان مثيراً للضحك، مما جعلني أتكرر لهذا الزي المفروض أمداً طويلاً، أصبحت الشيخ محمد وأنا لم أبلغ الحلم، كنت أحب اللعب، ولكن كيف يلعب شيخ؟ كنت كثير الضحك، وجزائي على ذلك طول الزجر والتوبيخ"².

(2) نظام الدراسة في المعهد

دخل الشيخ محمد الغزالي معهد الإسكندرية سنة 1928م، وكان عمره حينئذ إحدى عشرة سنة، لينتظم في صفوف الطلاب، مدة تسع سنين كاملة، وكانت الدراسة فيه وفق نظام اليوم الكامل، تبدأ صباحاً وتنتهي في الأصيل، وكان منهاج الدراسة مزيجاً من العلوم الدينية والمدنية، ما عدا اللغات الأجنبية فلم تكن مقررة³.

كما أن الدراسة كانت نصف داخلية، يصرف الطالب نحو ثلاثين قرشاً يستعين بها على طعامه اليومي، وقد نفع الغزالي هذا أكبر النفع، عندما اضطربت أحوال أبيه الاقتصادية وقارب الإفلاس، واضطر بعد أربع سنين أن يعود إلى القرية من حيث جاء، وثلاثون قرشاً ليست يومذاك شيئاً تافهاً، فإن القرش الواحد كان يشتري عشر بيضات، تساوي في عصرنا الآن مائة وخمسين قرشاً⁴.

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 28.

² الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 159.

³ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 28.

⁴ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 159-160.

وعن حالته في معهد الإسكندرية، يقول الغزالي: "بعد أن حفظت القرآن الكريم، انتسبت إلى المعهد الديني بالإسكندرية، أخذني والدي وتركني هناك صبيماً صغيراً في الحادية عشرة من عمري، وكان علي أن أعيش في تقشف شديد بعد أن زادت أعباء والدي تجاه بقية إخوتي، كنت أفترش الجرائد القديمة على الأرض مع فراش رقيق، الكتب من حولي تنتثر هنا وهناك، ولما اشتد ضغط الواقع قيص الله لي تاجراً أرمياً كان ابنه في حاجة إلى تعلم اللغة العربية، وهكذا استخدمت علمي ولغتي في تعليم ابنه لغتنا مقابل مبلغ زهيد، وكان يومها مبلغاً محترماً"¹.

وعلى الرغم من صغر سن محمد الغزالي في ذلك الحين، إلا أنه مع ذلك كان يهتم بالأحوال العامة، ويكثر للمبادئ التي تقوم عليها شؤون السياسة والحكم، وذلك ما جعله يقود مظاهرة عنيفة لطلاب معهده، انتهت بالتحقيق معه، والإفراج عنه مقابل كفالة قدرها جنيهان، دفعها أبوه وهو يلهث من الإعياء، ثم قاد مظاهرة أخرى داخل معهده، انتهت بفصله سنة عن الدراسة، وقرر أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية القسم الأول من الخارج، كل ذلك ووالده الشيخ أحمد السقا يتضور ألماً ويكاد يقتله الهم مما يحصل لولده².

¹ الشيخ محمد الغزالي حياة وأثار شهادات ومواقف، م.س، ص126.

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص29.

3) علة داهمة وهمة نادرة

وفي هذه الظروف، دهمت الغزالي علة فادحة طرحته على الفراش ثلاثة شهور، حتى شارف على الموت، وكان والده قد باع تموين بيته كله في مقابل نفقات تطبيبه وعلاجه ليصح¹، وبعد أن قام الغزالي من مرضه، قرر أن يدخل الامتحان، مهما كانت الظروف، وفي ذلك يقول: "نهضت من المرض جِداً على عظم، وأرسلت لأصدقائي في المعهد أن يبعثوا إلي بالكراسات التي يكتبون فيها مسائل الرياضة، وبعض الكتب المقررة، وكانوا عند حسن الظن، فأتجدوني بما يعينني على المذاكرة، كان علي أن أستعد للامتحان في نحو عشرين علماً، هي المقررات الرسمية للسنوات الأولى والثانية والثالثة الثانوية، وذلك وفق ما يقضي به قانون الذين يمتحنون من منازلهم، كان زملائي يحضرون في معمل الطبيعة والكيمياء، وكانوا يسمعون المدرس وهو يشرح الجبر والحساب والهندسة، أما أنا فكنت ممدداً على عيدان الذرة الجافة فوق سطح دارنا، أقرأ وأعاني وأستعين بالله.

إن حالتي في المعهد كانت عادية، كنت سباقاً في علوم اللغة والأدب فقط، أما في الفقه والتفسير وغيرهما فقد كان نفوري شديداً من كتب نور الإيضاح، و متن القدوري، ومجمع الأنهر على ملتقى الأبحر، التي كانت تقدم لنا الفقه الحنفي، كما كنت ضائعاً بتفسير النسفي وأبي السعود وغيرهما.

ولا بد مما ليس منه بد، وبعد عام من فصل ذهبت مرة أخرى إلى المعهد متقدماً من الخارج في امتحان صعب، وكان زملائي يرثون لحالي، ولكنهم لا يحبون أن يجرحوا كبريائي فيسكتون مشفقين، لا أدري كيف أديت الامتحان بهدوء، وكرهت أن أعود إلى أبي أنتظر النتيجة في جواره، وعشت في مساكن المعهد حتى تم إعلان النتيجة، وكانت المفاجأة: نجحت في هذا الامتحان الصعب، بل كنت من الأوائل في القطر كله، والأول في معهد الإسكندرية².

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 161-162.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 162.

عاد الغزالي بعد نجاحه في هذا الإمتحان إلى الدراسة مع زملائه ملتحقاً بالسنة الرابعة، فلم يضع سنة من السنوات، ولكنه عاد والأزمات المالية تلاحق أباه، خاصة بعد أن أصبح أفراد أسرته كثيرين، مما دفع بالغزالي إلى أن يُدرّس لبعض الأطفال نظير أجر زهيد، محتالاً على البقاء في المعهد رغم الظروف الكالحة، حتى نال الشهادة الثانوية¹.

ثالثاً: في كلية أصول الدين بالأزهر

في سنة 1938م، التحق الغزالي بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف.

1) حادث طريف

وقد حصل له في أول يوم من التحاقه بهذه الكلية حادث طريف دل على خصائصه النفسية، القائمة على حب الصراحة وبُغض النفاق، والاشمئزاز من تمجيد الغرب والتغني بأمجاده الحضارية الزائفة، ذلك أن عميد كلية أصول الدين جمع الطلبة الجدد في مسجد الخزندار في حفل عام للتعارف واستقبال العام الجديد، وتوثيق العرى بين الطلاب وهيئة التدريس، وهنا وقعت حادثة كان بطلها الطالب الجديد محمد الغزالي²، يقول الغزالي في ذلك: "حدث في هذا الحفل أمر ذو بال، فقد كان من بين من تحدثوا الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة والأخلاق بالكلية، وجرى على لسانه ثناء حار على المجتمع الفرنسي، وتتويبه بما يسوده من أمانة ونظام، أهاب بنا أن نتمسك بهذه الخلال، وغازني ما سمعت، فانتفضت قائماً أصبح: أي خلال يا أستاذ؟ هؤلاء تقدموا في اللصومية، اللص عندنا يسرق آنية من بيت، أو حافظة من جيب، أو ثمرة من حقل، وهؤلاء يسرقون الشعوب تحت الشمس، ويختلسون العقائد من القلوب، أي خلال تعني يا أستاذ نلتمسها من

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 163.

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 37.

هؤلاء المعتدين على إخواننا في أقطار المغرب، وكانت كلها محتلة؟ ولماذا لم تذكرنا بسلفنا العظيم؟ وانطلقت بطريقة همجية اضطرب بها نظام الحفل، ثم أمسك بي بعض المشرفين، وقادوني إلى عميد الكلية الشيخ عبد المجيد اللبان، فرأى شاباً في العشرين أفقده الحماس وعيه، فقال لي بصوت وديع: أقعد يا ولد، فجلست أمامه، وكلف شيخاً آخر بالتحدث إلى الطلاب الذين بدا أنهم متعاطفون معي، بل بدا أن أكثر المدرسين لم يستريحوا إلى توجيه الدكتور محمد يوسف موسى وأنهم يؤيدون موقفي، لم يعاقبني عميد الكلية، مكتفياً بإسداء بعض النصائح، وصرفتي بعد انتهاء الحفل"¹.

سارت الحياة بالجزالي وزملائه بالكلية بعد ذلك على عادتها، يتلقون الدروس، ويجتازون الامتحانات.

(2) الطالب المجد والصحفي الناجح

بيد أنه كان هناك في الحياة العامة صراع شديد بين القصر الملكي والأحزاب السياسية، التي كانت تموج بها الحياة المصرية في تلك الأيام، ولقد كان طبيعياً أن تنشأ في كلية أصول الدين شعبة للإخوان المسلمين، وأن يكون الجزالي واحداً من أعضائها الناشطين، ولقد لاحظ حسن البنا نشاط الجزالي وسعيه الدائب في خدمة الدعوة، فشجعه وأتاح له مساحة يكتب فيها في مجلة (الإخوان المسلمين)²، وقد ظهر أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثة في الكلية، ولقد كان الشيخ البنا معجباً بكتابة الشيخ الجزالي، وكان يشجعه ويقول له: أكتب دائماً وروح القدس يؤيدك، والله معك³.

وهكذا ظل الجزالي، خلال سني دراسته الأربع في الأزهر، ينشغل بدراسته أحياناً وبالعمل في شعب جماعة الإخوان تارة، حتى تخرج من الكلية سنة 1941م، بعد جهد جهيد، ميزه الفقر المدقع،

¹ الجزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص165-166.

² فلوسي: الشيخ محمد الجزالي، م.س، ص38.

³ عويس، عبد الحلیم: الشيخ الجزالي، م.س، ص16.

والبلاء الموصول، وفي ذلك يقول: " لا أدري كيف حصلت على شهادتي العالية؟ إنه لولا عون الله ما تم ذلك، لم أكن متقدماً في ترتيب الناجحين، فهل أحزنني أنني لم أكن من العشرة الأوائل؟ كلا إنني ما تأخرت عن بلادة أو تقصير، كانت الأحوال التي كانت تكتفني رديئة، لا أذكر أنني ملكت كتاباً طول السنوات الأربع؟ وأنى لي ذلك! وعندما عُرض علينا شرح النووي لصحيح مسلم بنصف جنيه مقسّطاً على عشرة شهور، هزرت رأسي بأساء، وقلت: ما معي يكفي للأطعمة والملابس، واختفيت دون أن يشعر بي أحد"¹.

كان الشيخ الغزالي في دراسته في المعهد الأزهرى يناقش شيوخه بالحجة البالغة، وقد شهدوا له بالنبوغ المبكر، ولم يكن الشيخ الغزالي أثناء دراسته بالمعهد يرضى ظملاً على أحد من زملائه، كان المدافع عنهم والصوت المعبر عن رغباتهم، فلا يلوذ بالصمت إذا ضاع حق زميل له أو تعرض لظلم ما، وقد تخرج في معهد الإسكندرية سنة 1938، والتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وتخرج من الكلية عام 1941، وأكمل الدراسات العليا فحصل على العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد، ثم العالمية مع إجازة التدريس، وكان عمره حوالي ستا وعشرين سنة وهو يحمل الشهادات العليا، ولم يكتف الشيخ الجليل بالدراسات والتي بلغ منتهاها في الأزهر، بل كان يطالع بوعي ثاقب ما خطت الأقلام ويدون خواطر وآراء ليرد عليها أو يتبناها².

ولم يكتف الشيخ محمد الغزالي بدراسة الثقافة الإسلامية، بل تعمق كذلك في دراسة الأدب العربي³.

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص173-174.

² الغزالي، علاء: السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي، مقال من كتاب، العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، الملكاوي، فتحي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مكتب الاردن، ط1، 1417هـ، 1996م، ص184.

³ السحار، سعيد جودة: موسوعة أعلام الفكر العربي، مكتبة مصر، د.ت.ط، ج2، ص146.

(3) في حقل الإمامة

تخرج الشيخ الغزالي من كلية أصول الدين سنة 1941، وكان عليه أن يواصل دراسته التخصصية التي تدوم عامان، حتى ينال العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد، ولكنه رأى أن شهادته العالمية تمكنه من الحصول على وظيفة، وكان أن أعلنت وزارة الأوقاف عن مسابقة لخريجي الأزهر لشغل وظائف الإمامة والخطابة والتدريس الخالية بمساجدها¹.

(4) مسابقة التوظيف

انتبهز الغزالي الفرصة ولم يفوتها، وتقدم للمسابقة مع مئات كثيرة من " العلماء العاطلين" كما سماهم، وكانت تحريرية وشفوية، ومن طبيعة الامتحانات الشفوية أنها عادة ما تكون سبباً في رسوب الكثير من الطلبة، رغم نباهتهم وتفوقهم، وذلك نتيجة عدم صبرهم على استنزافات الممتحنين، وقد واجهت الغزالي في هذا الإمتحان حادثة من هذا القبيل، كادت تعصف بنجاحه في هذه المسابقة لولا لطف الله، يصف هذه الحادثة فيقول: " في الامتحان الشفوي، وقعت بيني وبين أعضاء اللجنة مجادلة حادة، بدأت بعمل مني كان طائشاً، كان أحد الأعضاء يسألني في القرآن الكريم، وكنت أحفظه جيداً، وأجيب عن كل ما سئلت عنه، والرجل يتابعني في مصحف كبير، وينتقل بي من صفحة إلى صفحة، وأنا ماض في التلاوة، وردني في كلمة فتوقفت ثم مددت بصري إلى المصحف الذي معه، فقال لي بدهشة: ماذا تفعل؟ فقلت: أريد أن أستوثق هل أخطأت حقاً؟ فأنا أحفظ جيداً، وشتمني رئيس اللجنة، وكان الأستاذ أحمد حسين، أخ الدكتور طه حسين، وهو يومئذ مفتي الأوقاف، وجاء دور الأستاذ أمين الخولي، الذي طلب مني تفسير آيات قرأتها، وأجبت فخطأني، وذكرت رأياً آخر في التفسير فخطأني، فقلت وأنا أضبط أعصابي: وددت لو عرفت الحق، فقد ذكرت كل ما أعرف، قال: ذلك في قاعة الدرس، لا في لجنة الامتحان. وتدخل مدير المساجد الشيخ سيد زهران² قائلاً للشيخ أمين: لقد اعترف الطالب بعجزه، فدلّه على الجواب، فقال

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص42.

² عالم مصري، أديب ولغوي، 1349هـ، 1931م. الجابي، بسام عبد الوهاب: معجم الأعلام، م.س، ص325.

مرة أخرى: ليس هنا، فقلت بنزق: لا جواب إلا ما قلت، وأتحدى إذا كان هناك جواب آخر، وعاد الشيخ أحمد حسين إلى توبيخي، أما الأستاذ أمين الخولي فأدار ظهره معرضاً عني ومنهياً المناقشة، ولكن سؤال وجه إلي من مدير المساجد: ألق الخطبة التي أعدتها، فقلت: اقترح أي موضوع أتحدث فيه، وقمت فتحدثت في موضوع اقترحه، وانصرفت، وظهرت النتيجة بعد أسبوعين، وكنت الخامس بين الناجحين، وتم ذلك بما يشبه خوارق العادات"¹.

إثر نجاحه هذا في هذه المسابقة، تم تعيين الشيخ الغزالي، إماماً وخطيباً ومدرساً بمسجد عزبان بالعتبة الخضراء، وكان هذا المسجد صغيراً محدود المساحة، لكن موقعه في قلب القاهرة، وفي سوق تزدهم بالناس سحابة النهار وزُلُفاً من الليل، وهو حظ لم يلق مثله أحد من زملائه².

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 177_178.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 178.

المطلب الرابع: الوظائف التي تولاها

كان أمراً طبيعياً أن يسعى الشيخ الغزالي إلى البحث عن وظيفة بمجرد حصوله على شهادة العالمية، سيما أنه لاقى الكثير من الصعوبات والشدائد طيلة مشواره الدراسي، لهذا تقدم إلى مسابقة للعمل بوزارة الأوقاف واستطاع أن يجتاز اختبارها، وعين خطيباً وإماماً ومدرساً بمسجد عزبان بالعتبة الخضراء في القاهرة، وكانت هذه أول وظيفة حكومية له، ثم عمل مفتشاً لمساجد القاهرة، ونقل بعدها إلى الأزهر فعمل واعظاً، ومرشداً في مركز أبي قرقاص بمحافظة المنيا، ثم نقل إلى القاهرة ليعمل واعظاً، ثم رئيساً لتحرير "تور الإسلام" لمدة عامين من 1946م إلى 1947م التي كان يصدرها الأزهر، وكانت هذه المجلة تخص علماء الدعوة الإسلامية، ثم عاد مرة أخرى لوزارة الأوقاف ليعمل وكيلاً لإدارة المساجد، ثم مديراً للمساجد، وظل يتدرج في عدة وظائف، فعين مراقباً عاماً للشؤون الدينية، ثم مديراً عاماً للتدريس، ثم مديراً عاماً للدعوة والإرشاد عام 1971م، وأخيراً وكيلاً لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة الإسلامية عام 1981¹.

وإذا كان مشوار العمل لدى الشيخ الغزالي حافلاً بمختلف الوظائف التي تدرج فيها، فإن ذلك دليل على قيمة الجهود التي بذلها، وحرصه الدائم على نشر الوعي الديني بين الجماهير، وتحفيزها على إدراك حقيقة الواقع الذي تعيش فيه، وتحيا بين أحداثه، وتتفاعل مع ظروفه، لكن وبسبب ظروف متعددة لعل أهمها وأشدّها تأثيراً على الظروف السياسية التي باتت تضيق من جهود الشيخ الغزالي وممارساته الدعوية، فقد اضطر الشيخ إلى مغادرة مصر، والانتقال إلى الدول الإسلامية التي فتحت له أبوابها، ورحبت به داعية وأستاذاً ومرشداً، وأهم هزم الدول المملكة العربية السعودية، وقطر، والجزائر، والكويت... الخ. ففي الفترة من سنة 1968م إلى 1973م أمضى شهر رمضان في دول الكويت، وقطر، والسودان، والمغرب². وسافر إلى المملكة العربية السعودية أستاذاً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، فأمضى بالجامعات السعودية ما بين 1974م وسنة 1981م،

¹ الغريب، رمضان خميس: الشيخ الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 1425هـ، 2003م، ص 21.

² عمارة، محمد: الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 11.

وشارك في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر بانتظام سنوياً منذ سنة 1980م، وعمل في قطر
أستاذا زائراً ما بين سنة 1982م وسنة 1984م¹.

وبين سنة 1984م و 1989م عمل رئيساً للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية بالجزائر، التي أسسها هو بكلية واحدة، ثم توسعت لتشمل سبعة كليات، وقاد حركة
التعريب في الجزائر حتى قال الجزائريون: " إن الله قيض للجزائر من يحفظ عليها عروبتها،
وإسلامها مرتين: عبد الحميد بن باديس أولاً، ومحمد الغزالي ثانياً "².

¹ عمارة، محمد: م.س، ص10-11.

² المصري، عبد الله، الشيخ محمد الغزالي نشأته وسيرته الذاتية، ضمن كتاب الشيخ الغزالي حياته وآثاره، م.س،
ص21.

المطلب الخامس: وفاته

بعد عودة الشيخ محمد الغزالي إلى مصر، واستقراره فيها سنة 1989م، واصل مشواره الدعوي، فكان يحضر بعض الملتقيات العلمية والفكرية التي يدعى إليها في مختلف البلدان، ويعتذر عن حضور بعضها الآخر، تبعاً لحالته الصحية، وكان قد دُعي الشيخ سنوات متتابعة لحضور مهرجان الجنادرية الذي يقام بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، لكنه كان يعتذر لظروفه الصحية، أما في هذه السنة (1996) التي لقي الله فيها، فقد كان هناك شيء يدفعه، وكأنه يناديه لقبول هذه الدعوة¹. وهكذا سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث لبي نداء ربه، فصعدت روحه إلى بارئها، في قاعة الملك فيصل، والقلم في يده يدون نقاطاً للدفاع عن الإسلام، مساء يوم الجمعة 17 شوال 1416هـ، 9 مارس سنة 1996م، ليُدفن بالبيقع في المدينة المنورة عاصمة النبوة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام².

في اليوم الرابع من أعمال مهرجان الجنادرية الثقافي، وخلال استعداد الشيخ محمد الغزالي للتعقيب على إحدى المحاضرات، جاء قضاء الله بقبض روحه الطاهرة، حيث أصيب بنوبة قلبية نقل إثرها إلى المستشفى، ولفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها عز وجل، وتم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة، وقبره في موضع متميز، قريب جداً من قبر الإمام مالك، بينه وبين قبر الإمام نافع أحد القراء السبعة رضي الله عنهم جميعاً³.

وقد صور أحد المشاركين في مهرجان الجنادرية اللحظات الأخيرة من حياة الشيخ، وقد كان جالساً على مقربة منه فقال: " كنا نجلس في الصفوف الأولى لا تفصلنا عنه أي الغزالي سوى خطوات محدودات، وقد لاحظنا قبل دقائق من الحدث أن الشيخ يرفع رأسه إلى الخلف ثم يستعيد

¹ عويس: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 14.

² عمارة، محمد: الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص 17.

³ القرضاوي، يوسف: وأخيراً هوى النجم، مجلة المجتمع الكويتية، عدد 1192، 29 شوال 1416هـ - 19 مارس 1996.

وضعه مرة أخرى، ولقد اعتقدنا للوهلة الأولى أنه يتحدث مع أحد الجالسين خلفه، ولكننا أدركنا بعد ذلك انه كان يقاوم الآلام، فقد شهق فجأة وأصيب بإغماء هباً على إثرها الجميع نحوه، ومرت الثواني بطيئة على الحضور في المقاعد الخلفية وهم يتابعون التجمهر، حيث كان الشيخ الغزالي جالسا دون أن يعرف أحد ما حدث إلى أن قطع الدكتور فهمي السماوي حالة التساؤل والترقب بطلب الطبيب، أي طبيب يوجد في القاعة، ليدخل بعدها مجموعة من الأطباء – وُجدوا مصادفة بين الحاضرين – في صراع مرير مع الموت، ورغم أن الوجوم والترقب سادا أجواء القاعة، فإن الهلع بدا واضحاً على وجوه المتحلقين حول الغزالي، حيث كان مسجى في دائرة طوقها أربعة أطباء في محاولات يائسة بذلوا خلالها أقصى ما يمكنهم من الإسعافات الأولية، تنفس صناعي، وتدليك متواصل لعضلة القلب، ولكن حشجة الموت كانت واضحة أمام العيان¹.

انتقل إلى رحمة الله الشيخ محمد الغزالي، ومثل الغزالي لا يغيب عن الحياة إلا بجسمه، فمؤلفاته الرائعة، ومواقفه الجهيرة، وسلوكه المثالي حفرت في سجل الخلود صفحات تقرأها الأجيال، فتردد ذكره العاطر بألسنة الثناء والتقدير².

¹ فلوسي، الشيخ الغزالي، م.س، ص103.

² البيومي، محمد رجب: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1420هـ، 1999م، ط1، ج3، ص400.

المبحث الثاني : آثاره العلمية

ترك لنا الشيخ الغزالي رصيذاً كبيراً من الكتب، والمقالات، والمحاضرات، والخطب والدروس التي ألقاها، وألفها طيلة مساره الدعوي، والفكري، فكانت متنوعة بتنوع الظروف التي عايشها، وقيِّمة بقيمة التجارب التي خاضها، والمواقف التي شهدها، ومعبرةً عن حصيلة السنين التي حملت في طياته معاناة عميقة عاشها الشيخ، وتجرع منها كؤوس الأسى، وذكريات جميلة لأوقات سعيدة، قضاهها في مختلف ربوع العالم الفسيح، لهذا فإن الآثار العلمية للشيخ، ناطقة بالحقائق، ومعبرة عن الواقع الذي ألف، أو ألقى فيه، فقد وجهه الشيخ لخدمة الإسلام، والدفاع عن حماه التي تترصدها جهات عدة، وضمنه كل أحاسيسه، ومشاعره، وأمانيه، فكان كما قال هو عنه: " كل كتاب كتبت، وكل محاضرة، أو مناظرة، أو ندوة، أو مداخلة شاركت فيها، إنما هي قلب يتحرق، وعاطفة تتحرك، وكل ذلك أقدمه بين يدي ربي يوم القيامة، وأسأله أن يتقبل ذلك خالصاً لوجهه تعالى"¹.

المطلب الأول: المطبوعات

أما كتب الشيخ الغزالي فإن الحديث عنها، حديث عن مكتبة غزاليه تفوق الخمسين كتاباً، و كل كتاب منها يمثل صموداً فكرياً، ومقاومةً إسلاميةً للهجمات التي تعرض لها الإسلام في هذا القرن²، وخير دليل على ذلك عناوينها، التي توحى ببعض ما تنطوي عليه من هذا الصمود، وهذه المقاومة.

وقد تفجرت موهبة الكتابة في الشيخ محمد الغزالي منذ الصغر، فكان رائق الأسلوب، عفّ المقصد، رصين العبارة، ولذلك لقب بأديب الدعوة، يقول عنه الشيخ حسن البنا " قرأت مقالك الأخير "الإخوان المسلمون"، في العدد الأخير من مجلة الإخوان المسلمين، فطربت لعبارته الجزيلة،

¹ الغزالي، محمد، ضمن حوار أجرته معه مجلة المجتمع الكويتية قبل أسبوع من وفاته، عدد1992، 7 ذو القعدة

1416هـ، 26 فبراير1996م، ضمن كتاب محمد الغزالي حياة وآثار، شهادات ومواقف، نصر الدين لعراية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1998م، ص108.

² عويس، عبد الحلیم: الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه ، م.س، ص10.

ومعانيه الدقيقة، وأدبه العف الرصين، هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان، أكتب دائما وروح القدس يؤيدك، والله معك"¹.

وليس كتب الشيخ محمد الغزالي مثل كتب الكثير من المؤلفين، الذين يؤلفون الكتب لكي يقدموا للناس فكرا، أو تصورات فطرية، أو إشارات أو مواضع مجردة، بل كانت كتبه نتيجة معاناة، وتجربة نفسية، أو اجتماعية، أو فكرية، ولذلك فكتابه ترتبط بالواقع، وتتطلق من التصور الإسلامي الشمولي، وتلبي في الوقت نفسه حاجات نفسية، واجتماعية، وفكرية، وعملية، لدى الأفراد، أو المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة².

وللشيخ محمد الغزالي طريقته الخاصة في تشخيص الأدواء، ووصف الأدوية لها، وهي طريقة تتم عن فهم للواقع³، يقول الشيخ الغزالي عن كتاباته: " إنني عندما أكتب أقسم مشاعري وأفكاري قسمين: قسم يتعرف الواقع بدقة، وآخر يلتمس من توجيهات الإسلام ما يشفي السقام ويدعم الكيان، وفي التعرف على أحوال أمتنا أميز الأمراض الموروثة عن الوافدة حتى لا أضل العلاج، ولا أسمح للأعراض المشابهة أن تخدعني عن جراثيمها المختلفة، وعندما أخطئ، وأنا خطأ، أكون أطوع الناس لمن يأخذ بيدي إلى الصواب، والمشكلة أن المرء يطيب لغيره، ولا يحسن أن يطيب لنفسه"⁴.

لقد كان لنبوغ الشيخ محمد الغزالي المبكر، وحفظ القرآن الكريم في الصغر، والمحافظة على الصلاة، ودروس العلم في المساجد، والثقافة الواسعة، أثر كبير في غزارة نتاجه، وتنوع مؤلفاته، فقد كتب في علوم كثيرة ومتنوعة، كتب عن القرآن والحديث والفقهاء، كما كتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وكتب في الصحافة المصرية والعربية، ومن هذه المجالات والصحف:

¹ عمارة، محمد: الشيخ الغزالي، م.س، ص13-14.

² عويس، عبد الحلیم: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص10-11.

³ محمد، عبد رب الرسول سليمان: الآراء التربوية في كتابات الشيخ محمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية التربية، 1419هـ، 1998، ص47.

⁴ الغزالي، محمد: علل وأدوية، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص6.

اليمامة، جريدة الشرق الأوسط، وجريدة المسلمون، وزهرة الخليج، ومجلة الدعوة السعودية، والمجتمع، والشرق السعودية، والأهرام، وغيرها كثير¹.

وقد تضمنت مؤلفات الشيخ الغزالي وخطبه ودروسه تقريباً كل ما يهم المسلم في هذا العصر، إذ لم يترك مجالاً من مجالات العلوم الإسلامية المتنوعة، إلا وطرقها باستفاضة أو باقتضاب، بحسب ما تمليه ضرورات الدعوة، ومقتضيات المواجهة، والخاصية الكبرى لكتب الشيخ الغزالي أنها واكبت التحديات، وتصدت للمشكلات، وعبرت عن الإسلام أعمق تعبير².

والحق أن " كل مؤلف للأستاذ يقوم مقام جامعة حية تمتع العقل، وتلهب الشعور، لأن الكاتب ذو رسالة هادفة، فقد كان أحد القائمين بقلمه الباتر، ولسانه المؤمن على ثغر من أبكر الثغور خطراً ومهابة، يزود أراجيف الأعداء، فيبدهد أحقاد الصليبية الغادرة، والصهيونية الماكرة، في عزيمة صارمة، لا تعرف المهادنة، ولقد كان أعداء الفكرة الإسلامية في الشرق والغرب، يعتبرونه خصمهم الألد، فيحاربونه بكل سلاح"³

ولقد أتيح لكتب الشيخ الغزالي من الإنتشار ما لم يتح لغيرها، إذ طبع أغلبها ما يزيد على العشرين طبعة، وفي كل بلاد العالم الإسلامي تقريباً، كما ترجم كثير منها إلى عدد من اللغات، وقررت بعض الجامعات تدريس بعضها⁴.

¹ العودة، سلمان بن فهد: حوار هادئ مع الشيخ الغزالي، ط3، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، 1410هـ، 1990م، ص6.

² عويس، عبد الحلیم: الشيخ الغزالي حياة وآثار، شهادات ومواقف، ص28.

³ البيومي، محمد رجب: شجون وذكريات عن الشيخ الغزالي، مجلة الأزهر، عدد ذو الحجة 1416هـ، إبريل مايو 1996م، ص108.

⁴ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص142.

وفيما يلي عرض تحليلي موجز لهذه الكتب، حيث نعرض الفكرة الأساس التي يدور عليها الكتاب، ونتطرق لأهم الموضوعات التي احتواها، والأثر الذي تركه الكتاب في الواقع الذي ظهر به.

(1) الحياة الأولى :

ديوان شعر نظمته الشيخ الغزالي في شبابه الباكر، وكانت طبعة الديوان سنة 1354هـ، 1936م، والشيخ الغزالي إذ ذاك في نحو الثامنة عشرة من عمره، احتوى ديوان الشعر هذا على شعر نظيف، حيث ابتعد فيه عن الشعر الذي لا يجمل لأصحاب المروءات الكتابة فيه، ابتعد الشيخ فيه عن الهجاء، أو المديح المغلف بالنفاق أو الغزل، وطرق أبواب الحكمة، والإخوانيات، كما تطرق للأخلاق عامة ومكارم الأخلاق خاصة، كما نظم شعر التصوف، كما وصف الطبيعة في حالاتها المختلفة، فوصف الفجر والشروق والشمس والنجوم والليل والبدر، كما أفرد للوطنيات العديد من قصائده التي تلهب المشاعر، وبديهي أن يكون للدين وشعائره نصيب، وإن كان قليلا، وإن كان شعر مكارم الأخلاق هو الدين نفسه¹.

(2) الإسلام والأوضاع الاقتصادية:

الكتاب طبعان، الأولى صدرت سنة 1946م، والثانية سنة 1986م.

وهو أول كتاب فكري نشره الشيخ الغزالي، وقد هدف المؤلف من وراء إخراجه إلى إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين، والروح العامة لمبادئه، والموقف الذي يقفه بإزاء الأفكار الاقتصادية المختلفة².

¹ الغزالي، محمد: الحياة الأولى، حققه وكتب مقدمته مصطفى الشكعة، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص40-41.

² الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط3، ص11.

عالج الشيخ الغزالي في هذا الكتاب الأوضاع التي كانت قائمة في تلك الفترة في مصر، وما ميزها من فقر وإقطاع وتكديس للثروة في أيدي محدودة، وحرمان بقية أفراد الأمة منه، لذلك فإن بعض الوقائع في هذا الكتاب قد ارتبطت بظروفها وتاريخها، لكن جوهرها ما زال درساً صالحاً لكل زمان ومكان¹.

ويعتبر الشيخ الغزالي أول من ألف في محاربة المذاهب الاقتصادية الوضعية، وقد حاربها بالدليل القاطع الذي يثبت أن للإسلام من الفكر الاقتصادي ما يدفع إلى الثروة والنماء والتكافل الاجتماعي العام، وقد تحدث بالكتاب عن الطبقات المترفة والطبقات البائسة، ورأي الإسلام فيهما. وقد أورد الأسباب الاقتصادية للرزائل المنتشرة في المجتمع الإسلامي ومردها إلى الفقر الكاسح والجهل الطاعي والمرض الموهل، متحدثاً عن أوباء السرقة والزنا والبطالة، ومنتقلاً إلى ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإياء، معيشة الكفاح المثمر، لا معيشة الترف العاطل المبيد، وكان حديث المؤلف صريحاً عن الاستعمار الداخلي المنكفي على لذاته وأنانيته، حيث كان السبب في الاستعمار الخارجي، ولم يلبث أن صار أدواته في البطش والقهر².

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 147.

² البيومي، محمد رجب: الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، مجلة الأزهر، عدد ذو القعدة 1416هـ، إبريل 1997م، ص 35.

(3) الإسلام والمناهج الاشتراكية:

صدر الكتاب سنة 1947م، وهو امتداد للكتاب الأول الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ويعتبر الكتاب صيحة تنبيه ضد ما يحيق بالإسلام من تأمر، ومن تهديد لشرف الدعوة إليه، وهو دعوة ممتلئة بالتفاؤل للعودة إلى منابع الإسلام الأصيلة، ويتضمن الكتاب تحديد موقف الإسلام من العلم والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، ومواقفه من المذاهب الحديثة¹.

ويروي الشيخ الغزالي قصة تأليفه لهذا الكتاب والظروف التي أحاطت به أثناء تأليفه، فيقول: " كان للقدر الذي يخط مصائر الأمور أثره الفريد في إخراج هذا الكتاب للناس، فعندما تناولت القلم لأكتب، لم أكن أبغي إلا زيادة فصول قلائل على الطبعة الثانية من كتاب "الإسلام والأوضاع الاقتصادية". فإذا منادح النظر تتسع وآفاق الفكر تمتد، ورأيت من الوفاء بحق الفكرة التي أعمل لها أن امشي مع الموضوع حتى يستجمع حقائقه وتستكمل عناصره"².

وقد شرح الشيخ الغزالي بالكتاب ما يراد بالتأمين الاجتماعي، وتوزيع الملكيات بشكل صحيح، وموضع الفرد من الأمة، ومسؤولية الأمة عن الفرد، ولقد كان صريحا حين تحدث عن الملكيات الزراعية في مصر، وعما يجر الوبال مما يجري بعيدا عن حكم الإسلام في مؤسسات الربا والاحتكار والاستغلال، وشركات التأمين وحقوق العمال.. وقد فاجأ الشيخ الغزالي قراءه بذلك كله، لأن حديث الاقتصاد الإسلامي لم يكن يجري على أسنة الوعاظ والمرشدين قبل أن ينهض الكاتب الواعظ برسالته، إذ كان همهم الأكبر متجها إلى محاربة البدع والمنكرات، من أمثال التبرج والنذور وشرب المسكرات، أما الطرق الملح على الإصلاح الاقتصادي في ضوء الإسلام، فقد بدأه الشيخ الغزالي، وسار وراءه معجبون متبعون³.

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، م. س، ص 229.

² من مقدمة المؤلف للطبعة الأولى من الكتاب، ص 14.

³ البيومي، محمد رجب: الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، مجلة الأزهر، م. س، عدد ذو القعدة 1416 هـ ص 35.

(4) الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين:

يقع الكتاب في 178 صفحة وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت عن دار الكتاب العربي في القاهرة عام 1950م، والطبعة الثانية سنة 1951م.

هذا الكتاب هو في مجمله كشف جريء للمظالم الاقتصادية المؤلمة التي تثن تحت وطأتها الشعوب، في البلدان الخاضعة للاستعمار الأبيض والأحمر على السواء، وقد جاءت مقالات هذا الكتاب قصيرة مختصرة، ولكنها مجمعة في فصول عامة، وكانت هذه الفصول قد نشرت قبل ذلك متفرقة على نحو ثلاثين عددا من إحدى المجالات الدينية خلال سنوات 1944-1947م¹.

وهذا الكتاب كان مزعجاً في حينه، لأنه أزعج طائفتين متعارضتين تتمسحان بالإسلام وهو منها بريء، طائفة الرأسمالية التي تعلن أن الإسلام يؤيد اكتناز الذهب والفضة والعقار، عملاً بمبدأ الحرية في الامتلاك، وهي واهمة مخطئة، وطائفة الشيوعية التي تتمسح بنصوص قرآنية تفسرها على غير وجهها، فجاء هذا الكتاب ليكشف عوار الفريقين، ويعلن أن الإسلام ذو منهج عادل منفرد.

وقد ترجم الكتاب إلى لغات شرقية وغربية، وقابل موافقة ومعارضة، شأنه في ذلك شأن كل أثر فكري جريء².

¹ الغزالي، محمد: الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط6، ص15، تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، عدد خاص، ص230.

² البيومي، محمد رجب، مجلة الأزهر، م.س، عدد ذو القعدة 1416هـ، ابريل 1997م، ص 35.

يؤخذ على الكتاب أن الشيخ الغزالي وصف الصحابي أبا ذر الغفاري بأنه اشتراكي وأنه استقى نزعه الاشتراكية عن الرسول صلى الله عليه وسلم¹.

(5) الإسلام والاستبداد السياسي:

يقع الكتاب في 227 صفحة، صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1949م²، وأصل الكتاب محاضرات ألقاها الشيخ الغزالي في معتقل الطور عام 1951م.

ويؤكد الشيخ الغزالي في الكتاب، أن الإسلام لم يعرف حكم الفرد أو الحكم الدكتاتوري، بل كانت تعاليمه ومبادئه تدعو إلى الشورى والرأي الجماعي، وذلك كان حال المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، كما حث الإسلام على الجهاد، فجعله واجبا على كل مسلم لديه القدرة عليه، ثم يتناول الشيخ الغزالي بعض القضايا الإسلامية المعاصرة ليقول رأيه فيها³.

والخلاصة فإن هذا الكتاب يعد من أخطر الكتب التي تناولت الاستبداد السياسي، دراسة واقعية معاصرة جريئة، مكن قوة الكتاب ليس في المعلومات التي احتواها، بل في جرأته البالغة في توجيه صفة شديدة للطغيان في وقت كان السجن والتنكيل مصير من ينتقد ويتجرأ.

¹ الغزالي، محمد: الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، م.س، ص 79.

² الغزالي، محمد: الإسلام والاستبداد السياسي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ، 2005م، ط6، ص14.

³ تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص231.

(6) من هنا نعلم:

يقع الكتاب في 243 صفحة، وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1950م.

ألف الغزالي هذا الكتاب ليرد به على كتاب صديقه الشيخ خالد محمد خالد "من هنا نبدأ"، "ليدحض الشبهات التي أثارها، ويميط اللثام عن أخطاء كبيرة وقع فيها، ويظهر الإسلام في نفاؤه وصفائه.. وكم كان موفقاً كل التوفيق حين كتب مبيناً علاقة الدين بالدولة وأنها وحدة لا تقبل التجزئة، وأن كل محاولة للفصل بينهما، إنما هي إفساد للإسلام وعدوان عليه كعقيدة وشريعة على السواء، وفي باب "المرأة والمجتمع" يسرد تعاليم الإسلام التي أعطت المرأة حقها كاملاً وحددت لها وظيفتها الصحيحة¹.

(7) تأملات في الدين والحياة:

يقع الكتاب في 257 صفحة، طبعة دار الدعوة الثانية 1992م.

الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات والخواطر والبحوث واللفتات، عالجت أموراً تستحق النقد والنظر، ما يميزها أنها عرضت الدين على الناس نابضاً بالحياة والحركة، ونشدت للحياة ضوابط الإيمان والتقوى، وكتب كثيراً منها عندما كان الشيخ الغزالي محرر مجلة الإخوان المسلمين. وبعض مقالات الكتاب ظهرت فيما بعد في شكل كتب مستقلة. ويتحدث الشيخ الغزالي في مقدمة الكتاب عن بعض ملامح شخصيته التي تبدو للناس مختلفة عما أفوه في الدعاة ورجال الدين، كما يسمونهم².

¹ الغزالي، محمد: من هنا نعلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط5، ص3.

² تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص232

(8) عقيدة المسلم:

يقع هذا الكتاب في 262 صفحة، الطبعة الثالثة، لدار الدعوة عام 1990م.

هو كتاب في العقيدة الإسلامية، ضمنه المؤلف شرحاً تفصيلياً لأركان العقيدة ومبادئها، مقرونة بالدليل والبرهان. وقد سلك في تقرير مبادئ العقيدة مسلكاً تفرد به، حيث جعل هذه المبادئ أقرب إلى فهم الإنسان المعاصر، وقد أبان المؤلف عن منهجه وهدفه في المقدمة، فقال:

" هذه بحوث في العقيدة دفعتني إلى كتابتها قلة الرسائل التي تُعنى بهذا اللون من علوم الدين، وتعرضه في أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين. وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم، في نسق يخالف ما ألف الناس قراءته من هذه الأصول في مظانها من ثقافتنا الدينية.

لا لأنني سأتي بجديد في هذا الميدان، بل نزولاً على منطق التجارب، وانتفاعاً بما اكتتف جوانب التاريخ الإسلامي من أحداث، وتوخياً للسير في هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة"¹.

لقد لمس المؤلف تصوراً شنيعاً في توضيح عقيدة المسلم، حيث اقتصر عرض هذه العقيدة على ما جاء في كتب علم الكلام، وهذه الكتب في تراثها الماضي لم تعد تؤدي رسالتها في إحياء العقيدة وإذكائها في نفس المسلم على وضع يجعلها تترقرق دماً في عروقه، لأنها تعرضت لآفات كثيرة².

¹ الغزالي، محمد: عقيدة المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط4، ص3.

² البيومي، محمد رجب: الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، م.س.

والخلاصة أرى أن كتاب عقيدة المسلم تميز عن غيره من كتب العقيدة بوضع الشيخ الغزالي لعلم التوحيد وضعاً جديداً، يقنع العقل، ويرضي العاطفة معاً، وهو كتاب هام لكل مسلم.

(9) خُلق المسلم:

طبعة دار القلم السادسة، سنة 1987م، في 248 صفحة .

سلك المؤلف في هذا الكتاب مسلكه في سابقه، حيث حرص على بيان مبادئ الأخلاق الإسلامية، وصورها السلوكية وآثارها في حياة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي، في ضوء النقول من القرآن والسنة.

لقد درس الأستاذ الغزالي كتب الأخلاق في مظانها المختلفة، وألم بما ذكره الفلاسفة والعلماء عن الخير والشر من لدن أفلاطون، ولا بد لمن يكتب كتاباً في الأخلاق أن يدرس هذه الدراسة المستوعبة، غير أن المؤلف لا يفاجئك بآراء الأخلاقيين، ولا يصدملك بالمصطلحات العلمية، وكلها منطقي جاف، وكتاب خلق المسلم يؤدي رسالة دائمة لا تتقيد بزمان أو مكان، فهو دستور المسلم أنى وجد وحيث كان، وهو بهذا الوضع لا يغفل حاجات عصره وأخطاء زمانه، بل ويتخذ منه أمثلة يكشف بها القناع عما يريد، فهو حين يتحدث عن الصدق يوضح ما تجره الصحافة الكاذبة من نكبات، ثم يتكلم عن الإنتخاب البرلماني فيرى في تركية غير الكفاء كذباً وزوراً أي زور، ثم حين يتكلم عن الوفاء بالعهد يعلن أن الشروط المكتوبة لا حرمة لها إذا تعارضت مع الدين، وهكذا يطارد الكاتب أوبئة العصر في علاج شامل لما يتعاقب من الأجيال، لان الداء ممتد مستطيل¹.

¹ البيومي، محمد رجب: الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، مجلة الأزهر، م.س.

والخلاصة أن كتاب خلق المسلم يصلح لأن يُقدم لطلاب المدارس الثانوية ضمن كتب للقراءة ذات الموضوع الواحد، فقد جمع بين الأسلوب الجيد، والنصوص الأدبية المنتقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

(10) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام:

يقع الكتاب في 366 صفحة، من منشورات دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الثانية 1993م. ألف الشيخ الغزالي هذا الكتاب رداً على كتاب أصدره أحد النصارى الأقباط، افترى فيه على الإسلام، واجترأ على حماه، لم يشأ أن يذكر اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه، حتى يموت في مهده، كل ما ذكر عن المؤلف أنه صاحب منصب مرموق في الدولة¹.

والخلاصة أن فصول الكتاب قوية منصفة، تحدثت عن الإسلام بين العصبية والتعصب، وعن المسلمين وأهل الذمة، وعن الفتح الإسلامي في العصر الأول، وغيرها.

(11) فقه السيرة:

يقع في 498 صفحة، الطبعة الأولى لدار الريان للتراث في القاهرة عام 1987م.

ألفه الشيخ في رحاب المسجد النبوي، وفي ظلال الروضة الشريفة، حين كان مديراً للتكية المصرية بالمدينة المنورة. وهو كتاب يتجلى فيه قلم الأديب، وفكر العالم، وروح الداعية،

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 150.

وعاطفة المحب للرسول صلى الله عليه وسلم. حتى ذكر أنه كثيراً ما كان يكتب ودموعه تنهمر على الورق الذي يكتب فيه، فيختلط الدمع بالمداد¹.

لقد صدر الكتاب في منتصف العقد الخمسيني، وربما قبله بقليل، يوم لم تكن مكتبة السيرة قد تلقت بعد سوى عدد محدود من الأعمال المعاصرة، مؤلفة بأيدي رجال كانت عقول معظمهم نصفها مع هذا الدين ونصفها الآخر مع خصومه وأعدائه.

تقدم الغزالي في ذلك الوقت المبكر، لكي يملأ الفراغ، ويلبي حاجة القارئ المسلم إلى مؤلف في السيرة لم تكن تعوزه سوى بعض المطالب المنهجية لكي يكون واحداً من أحسن ما كتب في هذا المجال من دراسات.

أما على مستوى الموضوع فلقد قال الغزالي كل شيء مهم على وجه التقريب، ولم يكذب يترك أيما مساحة قد تكون مجالاً لباحث أو مستزيد في نطاق الدراسات العامة وليست التخصصية لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبيعة الحال.

ولقد انتشر الكتاب سنة صدوره، وطيلة السنوات التالية انتشاراً ملحوظاً، فلم تبق مكتبة خاصة أو عامة لم يدخلها، ولم يجد أي بيت يقطنه مثقف مسلم بدأً من اقتنائه².

والخلاصة فالكتاب يعد بحق من أروع ما كتب الغزالي، حيث الأسلوب الأدبي والروحاني، والقارئ يجد فيه ما لا يجده بكتب السيرة الأخرى.

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 19.

² خليل، عماد الدين: الشيخ محمد الغزالي والسيرة النبوية، ضمن كتاب الشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره، مجموعة من المؤلفين، دار الصحوة، د.ت.ط، ص 59.

إلا أن الشيخ الغزالي أنكر الجن في كتابه هذا، وذلك عندما تحدث عن الهجرة، والأبيات الشعرية التي سمعت لا يدرون من يقولها، ورجح الشيخ الغزالي فيها أن تكون من إنشاد مؤمن يكتُم إيمانه، مستبعداً صدورها من الجن¹.

(12) في موكب الدعوة:

يقع في 262 صفحة، طبعة دار الكتاب العربي الثانية عام 1957م.

في هذا الكتاب جمع الشيخ عدداً من مقالاته التي كتبها أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات يدافع بها عن الإسلام والدعوة الإسلامية، ويكافح بها خصومها الذين تظاهروا عليها وأرادوا أن يلحقوا بالإسلام والمسلمين الأذى والهوان.

يقول الشيخ في مقدمة الكتاب:

" هذه مقالات كتبتها أستثير بها مشاعر، وأستنهض همما، وأستصلح أوضاعا. ولم أكتبها لأعبر عن مذهب خاص بي في الحياة، وإنما كتبتها لأبرز رأي الإسلام فيما اعترضه من شؤون شتى.

في هذا الكتاب مقالات أحارب بها الوهن، الوهن الذي أطمع الأعداء في استذلالنا، وجرأ الخالية والعاطلة أن تطمنا. وقد كتبتها أشعل بها الحماس ضد المستعمرين المعسكرين على

¹ الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 129.

ضفاف القناة عندنا، أو المغيرين على تراث الإسلام في كل مكان، وأغرى الأمة أن توصل كفاحها الواجب حتى يخرجوا"¹.

الخلاصة أن الكتاب كان حاداً جداً من الشيخ الغزالي، وقد اعترف في خاتمة الكتاب أن التحدي له يثير في نفسه غرائز الخصام، وطلب من القراء إعداره إن أخطأ في فكرة، أو جارَ في عاطفة.

(13) ظلام من الغرب:

يقع في 343 صفحة، صدرت الطبعة الثانية عام 1965م، عن دار الكتب الحديثة.

هذا الكتاب رد على الأفكار الغربية التي يتبناها بعض من أبناء الإسلام، وطرح مقابلها العديد من الأفكار الصحيحة الإسلامية، فالكتاب مواجهة مكشوفة على هؤلاء المستغربين المبهورين بالغرب وكل ما يصدر عنه، إما عن فساد في عقولهم، أو فساد في ضمائرهم، والشيخ الغزالي يحلل هذه الأفكار ويبين تهافتها².

والخلاصة فإن الكتاب عالج أموراً في غاية الأهمية وهي في مجملها دفاعاً عن الإسلام أمام الأفكار الغربية عنه.

¹ الغزالي، محمد: في موكب الدعوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط4، ص4-5.

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص153.

(14) جدد حياتك :

يقع الكتاب في 232 صفحة، طبعة دار الدعوة الأولى لسنة 1989م.

هذا الكتاب يعتبر إبداعاً من إبداعات الشيخ الغزالي، ويمكن تصنيف الكتاب ضمن الكتب التي تعنى بأدب النفس والتربية الذاتية. وقد قام الشيخ الغزالي في هذا الكتاب بالاستفادة من أفكار العالم " دبل كارنيجي"¹ في كتابه " دع القلق وابدأ الحياة "، حيث أعاد الشيخ الغزالي صياغة هذه الأفكار والتجارب الإنسانية بأسلوب جديد، وصبغها بصبغة إسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية².

والخلاصة ففي هذا الكتاب نصائح رائعة وتوجيهات قيمة من شأنها إذا التزم بها الإنسان، أن توجه سلوكه في الحياة وتحكم علاقاته مع نفسه ومع الناس من حوله ومع الحياة كلها. فهي توجيهات تسعى إلى بناء الإنسان بناءً متكاملًا ، نفسياً وروحياً واجتماعياً.

(15) ليس من الإسلام:

يأتي الكتاب في 262 صفحة، وقد صدرت الطبعة السادسة منه عام 1991م، عن مكتبة وهبة بالقاهرة.

¹ (1885 - 1955) مؤلف أمريكي، ومطور الدروس المشهورة في تحسين الذات، مدير معهد كارنيجي للعلاقات الإنسانية، ولد في نيويورك، من أهم مؤلفاته كتاب (دع القلق) الذي ترجم إلى العربية، وانتشر بشكل واسع في العالمين العربي والإسلامي، تأثر به مجموعة من الكتاب العرب والمسلمين، وانتشرت كتبه بعده مستوحاة من الفكر الغربي في تطوير الذات ولكن بقلب إسلامي مثل كتاب (جدد حياتك) للشيخ محمد الغزالي، وكتاب (لاتحزن) للشيخ عائض القرني، وكتاب (استمتع بحياتك) للشيخ محمد العريفي، مؤلفاته: دع القلق وابدأ الحياة، كيف تكسب الأصدقاء، فن القيادة في العمل، فن الخطابة. <http://ar.wikipedia.org>

² فلوسي: م.س، ص 153.

ويتضمن أبحاثاً فقهية، جرت العادة على دراستها في معاهد متخصصة بعيداً عن القارئ العادي. وقد رأى الشيخ الغزالي أن يقدم الإسلام للقراء بطريقة سهلة بعيدة عن التكلف.

وقد أراد المؤلف بتأليف هذا الكتاب، أن ينبه إلى إضافات غريبة دخلت الشريعة وليست منها، وهي ما يسمى بالبدع والمحدثات.¹

والخلاصة وكما هو واضح من عنوان الكتاب فإنه تجريد للإسلام من الزوائد العالقة به، وتوضيحه على حقيقته وأهدافه ومراميه، ولكن المأخذ عليه أن عنوانه واسع وهو لم يتضمن كل التصرفات التي ليست من الإسلام.

(16) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث:

يقع الكتاب في 200 صفحة، دار الاعتصام بالقاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

ينطلق الشيخ الغزالي في كتابه هذا من فكرة مفادها أن ما أصاب المسلمين في هذا العصر وفي العصور التي سبقت، لا يُسأل عنه أعداؤه قدر ما يُسأل عنه أبناؤه.

بناء على ذلك يتجه الشيخ الغزالي في هذا الكتاب بالنقد الشديد إلى الأخطاء التي انتشرت بين صفوف العاملين للإسلام، مستهدفاً تنقية الصف الإسلامي من المندسين الذين أضروا بالدعوة الإسلامية أشد الضرر مما أثاروه من دسائس وفتن مزقت الصف الإسلامي وشتتته أسوأ تشتيت. ومستهدفاً كذلك التدين المغشوش الذي تمكن من نفوس بعض العاملين للإسلام، وجعلهم يقدمون مصالحهم الشخصية على مصالح الدعوة الإسلامية.²

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 154.

² فلوسي: م.س، ص 155.

والخلاصة فهذا الكتاب مهم لأنه يبين بعضاً من الأخطاء التي انتشرت بين صفوف العاملين للإسلام، وفيه حدة نوعاً ما خاصة عندما يتحدث تحت عنوان السمع والطاعة.

(17) كيف نفهم الإسلام:

يقع في 218 صفحة، صدر عن دار الدعوة، الطبعة الأولى عام 1991م.

تنتشر بين المسلمين أفهام سيئة وتصورات مغلوبة عن عدد من المفاهيم الإسلامية التي جاء بها القرآن والسنة. وحتى ينفي الغزالي الزيف والخطأ الواقع في هذه الأفهام، قام بتأليف هذا الكتاب، وتركيز الشيخ الغزالي في هذا الكتاب لم يقع على جزئيات المفاهيم، وإنما صرف جهده إلى المفاهيم الكبرى التي لها تأثيرها على القطاع العريض من الأمة، حيث حرص على أن ينفي عن الإسلام تحريف الغالين وأوهام الجافين عنه، وأن يعرضه كما أوحته العناية العليا نقياً مصفى¹.

الكتاب هو أحد أروع الكتب، كتب بطريقة السهل الممتنع، يفهمه المتعلم وغير المتعلم، وفيه من الأبحاث المهمة خاصة لماذا أنا مسلم.

(18) الاستعمار أحقاد وأطماع:

يقع الكتاب في 268 صفحة، مطبعة حسان الطبعة الثالثة 1983م.

هذا الكتاب يتحدث عن أكبر أعداء الإسلام وأشدهم خصومة، ويصف مآسيه، يذكر أفعالاً خطيرة للاستعمار، حيث يبحث في الإسلام والسلام، ليعرف الناس قيمة العدل لدى الإسلام، ومدى الظلم لدى غيره، ويتعرض للارتداد الخلقي والثقافي والتشريعي التي أحدثها الغزو الثقافي في بلاد

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 155.

المسلمين لحساب الدول الصليبية الغازية، فالاستعمار أحقاد دينية وأطماع دنيوية. ويؤكد الشيخ الغزالي أن مستقبل أمتنا لن يضيء إلا إذا نجا من حقد الحاقدين وطمع الطامعين¹.

والكتاب فيه كشف لمسالك الاستعمار في إضعاف أمتنا الإسلامية، وهو مهم جداً خاصة أنه يوضح كثيراً من المسائل التي لا يجب أن تغيب عن ذهن المسلم.

(19) نظرات في القرآن:

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة 1958م، يقع الكتاب في 254 صفحة، الطبعة السادسة، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة 1986م.

وهو الكتاب الذي انصب اهتمام المؤلف فيه على الحديث عن القرآن والقضايا المتصلة به. وقد قدم فيه جملة من الأبحاث التي تتصوي في إطار الاتجاه الموضوعي في التفسير.

إلا أن هناك شيئاً هاماً ينبغي إبرازه هنا، وهو أن الغزالي حين ألف هذا الكتاب صرح بأنه يعتبره مقدمة لتفسير كامل للقرآن الكريم، وذلك حين قال في الخاتمة:

" لما كتبت هذه النظرات رجوت أن تكون مقدمة بين يدي تفسير حسن للقرآن الكريم، تفسير يلائم طريقة عصرنا في الفهم والاستنباط، ويترجم عن روح القرآن نفسه، ويخلو قدر الطاقة من وجوه الإعراب وفنون البلاغة وجدل أهل الكلام والفلسفة"².

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص 239.

² الغزالي، محمد: نظرات في القرآن، م.س، ص 230.

في هذا الكتاب أيضا اهتم الشيخ الغزالي بإبراز علاقة المسلمين المعاصرين بالقرآن، ورأى أنها علاقة واهية، وعلى الأصح منقطعة، فهو بتعاليمه وهداياته في واد، وهم بسلوكهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بالأمم الأخرى في وادٍ آخر بعيد، وذلك ما سجله في مقدمة الكتاب، إذ يقول:

" إن كثيراً من المسلمين جعلوا القرآن على هامش حياتهم، وتركوا حفظه ودرسه للمنقطعين والمصابين. وهم بهذا المسلك يخونون الله ورسوله، ويخونون أنفسهم. وإبعاد القرآن عن الحياة العامة ليكون نغماً للمرتزقة بأصواتهم، أو إشارة للفاشليين في دنياهم، نذير شؤم يتهددنا بأوخم العواقب"¹.

(20) مع الله.. دراسات في الدعوة والدعاة:

الطبعة الأولى لدار القلم بدمشق 1989م.

هذا الكتاب دراسة لنظرية الدعوة الإسلامية، وبيان لمفهومها ووجه الحاجة إليها، ونقد لموقف المسلمين من هذه الدعوة وتفريطهم في حقها. كما يؤكد الكتاب أن الدعوة وظيفة الرسل والأنبياء، ولذلك يهتم بعرض السنن العامة التي حكمت دعوات الرسل إلى الدين عبر التاريخ، حتى يعبر بها الدعاة ويقتفوا أثر الأنبياء فيها.

ويبرز الكتاب جزءاً من تاريخ انتشار الدعوة الإسلامية، ويدحض في هذا الصدد افتراءات المستشرقين وأباطيلهم. ثم يمضي المؤلف إلى استعراض صفات الداعية وما ينبغي أن يتحلى به من أخلاق. كما يستعرض أيضا وسائل الدعوة التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله عز وجل، وفي الأخير يوجه الغزالي إلى ميادين الدعوة في عصرنا والجبهات التي ينبغي على الدعاة أن يربطوا عليها دون غيرها².

¹ الغزالي: م.س، ص7.

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص158.

إن هذا الكتاب كما وصفه مؤلفه " مع الله على نحو آخر، نحو يدرج مع الإنسان في واقعه المشحون بالحركة، ويلتصق به في دنياه الطافحة بالنزاع، وهو يحرس الإيمان في تلك الميادين العملية، ويتابع خطوه هنا وهناك ليطمئن على سلامة الوجهة واستواء الطريق"¹.

ومما يؤخذ على الكتاب:

1. الشيخ الغزالي لم يلتزم طريقة العناصر في بحوثه جميعاً، فالعنوان مثلاً يوحي بأن له عناصر، ليتها رُصدت في أول البحث ليلتزم مناقشتها، ولكنه تركها تسرح وتمرح في خضم شرحه المسهب.
2. كما أنه أكثر من طريقة النقل المتكامل لمقال أو رأي لكاتب، فجاء النقل في صفحات طُوال، وكان الأجدر أن يكتفي بالإشارة الموجزة لإعطاء فكرة عن آرائهم.
3. الشيخ الغزالي يساوي في الكتاب بين جميع المستشرقين بأنهم جندهم الاستعمار للطعن في الإسلام وتشويه حقائقه، والواقع أن المستشرقين ليسوا كذلك كلهم، فمنهم من أسلم وحسن إسلامه كمراد هوفمان، ورينشارد سيمون وغيرهما.

(21) معركة المصحف في العالم الإسلامي:

يقع الكتاب في 357 صفحة، الطبعة الثانية، من منشورات دار الكتب الحديثة.

هذا الكتاب ضمن الكتب التي كتبها الشيخ الغزالي للدفاع عن القرآن الكريم والأمة الإسلامية، وهو لا يخص قطراً إسلامياً بعينه، بل يتناول حاضر ومستقبل الأمة الإسلامية التي رزحت تحت الاستعمار فترة من الزمن. ويرى الشيخ الغزالي ضمن فصول هذا الكتاب أن المسلمين ما داموا

¹ الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ،

2005م، ط6، ص 3، 4.

متمسكين بدينهم وقرآنهم فإنهم بخير، كما استهدف الشيخ الغزالي في مقالاته في الكتاب الاحتلال الأجنبي بكل أشكاله داعياً لمقاومته بجميع أشكاله¹.

الكتاب مفيد ومهم جداً، إلا أنه يؤخذ على الشيخ الغزالي دفاعه عن دخوله للاتحاد الاشتراكي رغم تبوئه منصباً رفيعاً فيه، واعترافه بتزوير الانتخابات واتخاذ مسؤولي الاتحاد قراراً بتعيين الأعضاء لا انتخابهم².

(22) كفاح دين:

يقع في 312 صفحة، الطبعة الخامسة، مكتبة وهبة 1991م.

أوضح الشيخ الغزالي في هذا الكتاب ما يقع للمسلمين من أذى على يد الاستعمار والحكومات الموالية له، كما تتبع الشيخ الغزالي آثار الاستعمار في نفوس لا زال يحتلها، وعدد في كتابه أمثلة على ذلك وذكر نماذج متنوعة، وتحدث في مقدمة الكتاب عن شعوره بأن الأمة قد وصلت إلى مرحلة عظيمة نحو التخلص من الاستعمار، وأن يقظة العروبة وآمالها وحقوقها أصبحت حركة ناجحة، وناقش الجوانب الإسلامية في مفهوم القومية العربية³.

ويعرف الشيخ بكتابه وهدفه، فيقول:

" هذا الكتاب للبناء، لا للهدم، وللوحدة لا للتفرقة. لقد أظهرت فيه ما يقع للإسلام وأهله من أذى، حيث تتجح سياسة الاستعمار في إقامة حكومات موالية لها.

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 240.

² الغزالي، محمد: معركة المصحف في العالم الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط5، ص 258.

³ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 241.

وسيرى القارئ من فضائح الغل الديني ما يجعله يوقن بضرورة إنهاء المآسي التي خلفها هذا الاستعمار اللعين"¹.

(23) الإسلام والطاقات المعطلة:

يقع في 214 صفحة، الطبعة الرابعة من منشورات دار الكتب الإسلامية بالقاهرة 1983.

يحتوي هذا الكتاب على دراسات جادة وقيمة، أدارها الشيخ الغزالي حول المقارنة بين الأهداف الخالدة التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها وبناء حياة الإنسان عليها من جهة، وبين الواقع المؤسف الذي يعيشه المسلمون ويعانون من مصاعبه ومساوئه في مختلف مجالات حياتهم كلها.

يقول في مقدمة الكتاب: " في هذا الكتاب مقارنة بين: طبيعة دين، وواقع أمة.

اعتمدت في شرحها على المعروف من مبادئ الإسلام، والمألوف من حياة المنتمين إليه.

وسوف يلمس القارئ بُعد الشقة بين ما يجب أن يكون، وبين ما كان بالفعل.

وسيرى أسباب هذا التفاوت كما تكشف لي من خلال مدارس التاريخ واستنباء أطواره"².

ما يؤخذ على الكتاب أن الشيخ الغزالي ينكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تعرض للسحر، وقد اعتبر السحر تخيلاً³.

¹ الغزالي، محمد: كفاح دين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ص13.

² الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ص3.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص59.

(24) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة:

طبعة دار الدعوة 1993 في 266 صفحة.

يتناول هذا الكتاب الذي كتب في الستينات، مبادئ حقوق الإنسان: الحرية، المساواة، العدالة، الكرامة. ويبين أن الإسلام دعا الناس للحياة الكريمة دون تمييز بين جنس أو لون أو مال أو جاه، فقد سوى الإسلام بين العربي وغير العربي، حاكماً أو محكوماً.

وبين الكتاب أن الدول الكبرى لا تلتزم حقوق الإنسان كمكيال ثابت، لكن الإسلام التزم جانب العدالة المطلقة يوم دانت له الأرض، وأن آخر ما وصلت إليه الإنسانية من قواعد و ضمانات لكرامة الجنس البشري، كان من أبجديات الإسلام، وأن إعلان حقوق الإنسان هو ترديد عادي للوصايا النبيلة التي تعلمناها من رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم¹.

(25) هذا ديننا:

يقع الكتاب في 213 صفحة، وهو طبعة مطبعة حسان الثالثة عام 1975م.

هذا الكتاب عرض موجز للنظام الإسلامي في جملته، عرض يستهدف أن يجمع تعاليم الإسلام، ويضم حقائقه كلها، ويخلو من المصطلحات البعيدة عن الأذهان، ويوائم أسلوب العصر في العرض والإقناع².

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 243.

² الغزالي، محمد: هذا ديننا، مقدمة الكتاب ص 9.

الكتاب يعتبر مرآة ناصعة للدين الإسلامي الحنيف بأسلوب الداعية الواعي، والحافظ الذكي، الذي يحفظ القضية عن ظهر قلب، ويلم بجميع جوانبها. وهو يعتمد على ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وعلى ما تركه الأئمة من تراث .

الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة: العقائد، العبادات، الشريعة الإسلامية.

وكل قسم ينقسم إلى أبواب مفصلة حسب برنامج مخطط، حيث استطاع فيه أن يلّم بجميع أطراف القضية، وأن يُقدمها لراغبي المعرفة مفصلةً واضحةً خاليةً من الثغرات والشوائب، نقيةً من الملبسات والمداخل¹.

(26) الخديعة.. حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي:

يقع هذا الكتاب في 283 صفحة، من منشورات دار الروضة للنشر والتوزيع، عام 1993م.

هذا الكتاب في أصله عبارة عن محاضرات ألقاها الشيخ الغزالي على طلاب كلية الشريعة بالأزهر، إبان الحقبة الناصرية، حيث كلف بتدريس موضوع القومية العربية. وقد كان الشيخ محمد المدني، عميد الكلية حينذاك من الحصافة بمكان، إذ لم يشأ أن يجادل في تسمية المقرر، طالما انتمن على تدريسه الشيخ الغزالي الذي كان مرجواً عنده أن يعطي للمقرر المحتوى الإسلامي². وقد تمكن الغزالي فعلاً من أن يمرر أفكاره الإسلامية النقدية في موضوع القومية، وأن يعطي تصوره

¹ من تقديم الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري للكتاب، ص 7، 8..

² الغزالي، محمد: الخديعة حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط3، ص 236.

الخاص للموضوع، وفي هذا الكتاب، تناول الشيخ الغزالي بالتحليل أشد التصورات القومية تطرفاً واستبعاداً للإسلام، وردَّ عليها¹.

وقد أعطى الشيخ الغزالي للعروبة مفهومها الصحيح، ورأى أنها ليست ديناً، ولا رسالة لها سوى رسالة الإسلام. وفي تصوره لها أعطاهما مقومين اثنين لا غير، هما: وحدة العقيدة، ثم وحدة اللغة، ولا ضير بعد ذلك أن تتعدد الأعراق، أو تتباين الأقاليم².

(27) الجانب العاطفي من الإسلام:

يقع الكتاب في 299 صفحة، طبعة دار الدعوة، الطبعة الأولى 1990م.

يتضمن الكتاب إبرازاً لهذا الجانب المهم، الذي صد عنه بعض الناس، نظراً لما شابهُ من بعض الشركيات في العقيدة، والبدع في العبادة، والسلبية في التربية، والإهمال لسنن الله في الكون والحياة.

وهذا الكتاب مصنف في التصوف، مكتوب بلغة سلفية معاصرة، وقد شرح فيه معاني الإسلام والإيمان والإحسان في ضوء القرآن والسنة، بعيداً عن جدل المتكلمين وشطحات المتصوفين³. الكتاب مهم جداً لأنه يكشف عن سوءات كثير ممن انتسبوا لهذا الدين، وعطلوا كثيراً من أحكامه، وانحرفوا بمعانيه الأصيلة.

¹ وقبع الله، محمد: ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، ص 125، 127

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 162.

³ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 98.

(28) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين:

يقع في 259 صفحة، الطبعة الخامسة لدار الكتب الإسلامية عام 1988م.

الكتاب مناقشة حرة للمستشرق المجري "جولد تسيهر"¹ في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" الممتلئ بالأحقاد والضغائن ضد الإسلام. وهذا المستشرق مكث بضع عشرة سنة يقرأ ويتعمق ويحيط بمفاهيم الإسلام حتى أخرج كتابه المذكور. وقد افترى هذا المستشرق باسم التحقيق التاريخي على الإسلام افتراءً لا حد له، وأحصى عشرات الشبهات ونظمها في سلك واحد باسم التطور العقدي والتشريعي.

وقد كشف الشيخ الغزالي أن كتاب هذا المستشرق من شر ما كتب عن الإسلام وأسوأ ما وجه إليه من طعنات². وقد كان رد الشيخ الغزالي على هذا الكتاب مناسبةً لاستيفاء الحقائق العلمية والتاريخية التي زخر بها تراث أمتنا³.

والكتاب بأجزائه الثمانية مناقشة علمية، فند من خلالها مزاعم هذا المستشرق الماكر.

¹ (1266-1340هـ، 1850-1921م) إجناس كولد صهر، مستشرق مجري، تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك، رحل إلى سوريا سنة 1836م، وانتقل إلى فلسطين فمصر حيث لازم بعض علماء الأزهر، عين أستاذاً في جامعة بودابست وتوفي فيها، له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية في الإسلام والفقهاء الإسلامي والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية، مما نشره بالعربية ديوان الحطيئة، وجزء كبير من كتاب فضائح الباطنية، ترجم إلى العربية من كتبه العقيدة والشريعة في الإسلام. الزركلي، الأعلام، م.س، ج1، ص84.

² الغزالي، محمد: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ، 2005م، ط7، ص4.

³ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص245.

(29) ركائز الإيمان بين العقل والقلب:

يقع في 206 صفحات، صدر عن مكتبة الأمل " بدون تاريخ":

هذا الكتاب دراسة للجانب الروحي من نظام الإسلام، دراسة حديثة بأسلوب جديد مبتكر، تقوم أساساً على نقد الثقافة الإسلامية التقليدية في هذا المجال، والتي تعج بالخرافات والأساطير والأفكار الأجنبية التي دخلت إلى الفكر الإسلامي وأضرت به إضراراً بالغاً، كما تقوم هذه الدراسات بعد ذلك على بيان هدى الدين الصحيح في هذا المجال الخطير من مجالات الفكر الإسلامي.

والشيخ الغزالي بين أهدافه من تأليف هذا الكتاب من خلال نقطتين:

- 1- إثارة العقل والضمير بأشعة الوحي، ومعالم النبوة، متحريراً الحق، ومتلقفاً الحكمة حيثما وجدت، وماحياً الشبه في صمت.
- 2- تبيد الغيوم التي تراكمت خلال قرون الضعف في تاريخ المسلمين، وتوقيف القراء على خبيئها، حتى لا يضطربوا إذا عُرِضت لهم يوماً¹. وهذا الكتاب هو متمم للكتاب السابق ولكن بشكل موسع .

(30) حصاد الغرور:

يقع في 207 صفحات، طبعة المختار الإسلامي الثانية عام 1979م.

يرصد هذا الكتاب " أحوال الأمة قبل الهزيمة أمام اليهود سنة 1967م وبعدها، ويبين مدى قربها أو بعدها عن دينها، ومدى قوة التيارات الأجنبية على التطويح بها. كما رد على التوجيهات الزائفة والتعليقات المنحرفة التي أرادت تبرير الهزيمة.

¹ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص9.

ويؤكد المؤلف أن الصراع بيننا وبين بني إسرائيل سوف يمتد سنين عدا، فإذا أحببنا أن نذوق حلاوة النصر، فالطريق إليه بيئة. أما إذا كررنا أنفسنا وأبقينا على طرائقنا القديمة، فلن نحصد إلا ثمرات الغرور.

ويُظهر المؤلف قلقه وخشيته على الإسلام نتيجة موقف العرب منه، فهم يريدون أن يدخلوا في معركة دينية بغير دين. ومع أن مطارق الهزيمة التي وقعت على أم رأسهم كانت كفيلة بإزالة هذا الوهم، إلا أن عملاء الشيطان يستميتون في مكافحة هذه اليقظة والحيلولة دون اعتناق العرب للإسلام، كلاً لا يتجزأ¹.

(31) الإسلام في وجه الزحف الأحمر:

يقع في 206 صفحات، صدر عن مكتبة الأمل "بدون تاريخ".

في هذا الكتاب يتولى الغزالي الكشف عن زيف الشيوعية، هذا الفكر الدخيل على أمتنا الإسلامية، ويستعرض النظرية الشيوعية وأهدافها ومراميها، في الحرية، ونظام الأسرة، والدين، ويروي ما تعرض له الإسلام والمسلمون في القوقاز، التركستان، وغيرها من البلدان الإسلامية، ويفضح الأساليب البراقة التي تستهوي المخدوعين بهذا الفكر الدخيل، والتي جعلته أرضاً خصبة لبذور الانحلال والضياع والضلال والكفر والفسوق.

وبعد استعراض الداء، يصف الدواء لهذه العلل والأمراض، مستمداً وصفاته من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة المجيدة².

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 246.

² من كلمة الناشر على وجهة الغلاف الأخير من الكتاب.

(32) فدائف الحق:

يقع في 242 صفحة، من منشورات المكتبة العصرية بصيدا لبنان "بدون تاريخ"، لكن المؤلف أعد مقدمة الكتاب وهو في الرباط عاصمة المغرب يستمع إلى أخبار القتال بين العرب واليهود عام 1967م

تناول المؤلف في هذا الكتاب " قضية العقيدة ومفهومها في التصور الإسلامي، والدلائل الواضحة في الكائنات على الوجدانية، وعجز العقل البشري عن الإحاطة بدقائق صنع الله في هذا الكون، وحاجة البشرية إلى هداية الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وقد فند المؤلف الفاضل تلك المزاعم الباطلة التي أوردتها الكتب المحرفة التي تنتسب إلى السماء وهي منها براء..

وقد نسف المؤلف أباطيل هذه الكتب، وأتى على بنيانها من القواعد وتهافتت كل الخرافات المدسوسة فيها وانكشف زيفها وبان عوارها، ولم يبق أمام شعاع الحق إلا دين الإسلام الحنيف.

كما عالج المفاهيم الخاطئة التي تريد أن تجعل من القومية بديلا عن الإسلام، ورد هذه الدعوات إلى أصولها وكشف من وراءها، وأبان عن هوياتهم الحقيقية وانتماءاتهم وولاءاتهم.

وختم المؤلف كتابه القيم في تفنيد بعض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام وخصومه، وبشر بأن المستقبل لهذا الدين وأن كل السهام الموجهة إلى صدره سترتد إلى نور من أطلقها¹.

¹ من مقدمة عبد الله العقيل للكتاب، ص 2، 3.

(33) الثقافة الإسلامية:

صدر الكتاب سنة 1980، عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

هو كتاب دراسي جامعي، يتضمن مقرر مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية، ألفه الشيخ حين كان يدرس في المملكة بالاشتراك مع الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.¹

(34) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر:

يقع في 210 صفحات، طبعة مكتبة وهبة الثالثة عام 1990م.

ألف الغزالي هذا الكتاب استجابة لطلب جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، بمناسبة انتهاء القرن الرابع عشر، وقد ضمنه وصف العلل التي تكتنف الدعوة والدعاة في شتى الأمصار. وينتهي الشيخ الغزالي في هذا الكتاب لاستقبال القرن الخامس عشر بإلقاء نظرة على مسيرة الدعوة الإسلامية خلال ذلك الماضي الطويل، لنحاكم أنفسنا إلى مبادئها الثابتة، ولنعرف ما لنا وما علينا بدقة. كما قدم فيه وصفاً لشعب الهجوم المعاصر على الإسلام، والطريقة المثلى لمواجهته في شتى الميادين.²

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 235.

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 248.

(35) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء:

يقع في 179 صفحة من منشورات المكتبة العصرية ببيروت، الطبعة الثانية 1980.

هذا الكتاب دراسة لجانب هام من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، هو جانب الذكر والدعاء، إذ جمع المؤلف أدعية النبي عليه الصلاة والسلام، ثم قسمها بحسب متعلقاتها من مجالات الحياة المختلفة، ثم كر عليها بالشرح والتحليل، مركزاً على الربط بين صيغة الدعاء والمواضع التي قيل فيها والظروف التي دعت إلى قوله، مبيناً أثر الدعاء في حياة الإنسان ودوره في توجيه سلوكه ومواقفه تجاه الظروف والأحداث، وكل ذلك من خلال حياة ومواقف موقع القدوة رسول الله محمد النبي العربي عليه الصلاة والسلام¹.

(36) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين:

يقع في 239 صفحة، طبعة دار القلم الأولى عام 1987م.

يتعرض هذا الكتاب لحاضر المسلمين ومستقبلهم، وهو عبارة عن شرح غني ومتميز للأصول العشرين التي وضعها الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله. وعمل الغزالي كان هو تأصيل هذه المبادئ وشرحها على ضوء تجاربه المستفادة خلال أربعين عاماً في ميدان الدعوة.

وقد أضاف الغزالي في كتابه هذا عشر مقررات جديدة، استكمل بها الأصول العشرين التي وضعها حسن البنا، وإذا كانت المبادئ التي وضعها حسن البنا قد وضعها أساساً لمخاطبة الجماعات الدينية في مصر على عهده، من أجل التأليف والتقريب بينها، فكانت مصاغة صياغة

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 167.

وسطية حكيمة. فإن المبادئ التي أضافها الغزالي إنما تختص بجوانب حياة المجتمع الإسلامي في داخله وعلاقاته بغيره من المجتمعات¹.

(37) واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر الهجري:

يقع هذا الكتاب في 80 صفحة، صدر في القاهرة عن دار ثابت عام 1983.

كتيب صغير يتناول قضية المؤامرات التي تدبر لهذا الدين، ولأتباعه، والجهود التي تبذل لصرف المسلمين عن دينهم وتراثهم وعقيدتهم حتى يزول ويتلاشى. ويتحدث عن واقع العالم الإسلامي وانهيائه أمام هذه القوى والمؤامرات، ويشير بوجه خاص إلى قضايا الاستبداد السياسي والفساد الإداري، وامتهان حرية الرأي، وحقوق الإنسان المهذورة في واقعنا الإسلامي، والفرق الكبير بين تعاليم الإسلام وأحوال المسلمين².

(38) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية:

يقع في 143 صفحة، صدر عن دار النهضة مصر لطباعة والنشر عام 1996 الطبعة الأولى.

هذا الكتاب " يعرض لمجموعة مشكلات قديمة جديدة تعيق نهضة المسلمين اليوم، ذلك أن المدافعين عن الإسلام لا ينقصهم غالباً الحماس والإخلاص، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه، إنهم يظنون أن بإمكانهم إزالة علل المسلمين في أيام معدودات، وما على الشباب إلا أن يقدم ويقاوم، ويحطم ما أمامه من عوائق، وسوف يتم له النصر، وإن الاستعجال حمل متاعب

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 168 .

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 250.

كبيرة، وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية، بل ربما زاد خصومها قوةً وتمكيناً، لذلك لا بد من بصيرة فاحصة متعمقة، تتدبر ثقافتنا وتتقى منابعها وتتقد مستوانا الحضاري الأخير، وتستكشف أسباب هبوطه، وتوقف التراجع الحضاري الذي بدأ من أوائل القرن الثالث عشر للهجرة.

ويعجب الغزالي كيف أن هناك أكثر من سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه لا نعرف منها شيئاً فهل يخدم هذا عقيدة التوحيد؟¹.

(39) هموم داعية:

يقع الكتاب في 173 صفحة، من منشورات دار البشير، القاهرة الطبعة الثانية 1985م.

في هذا الكتاب حدد الغزالي " ساحات المعارك الإسلامية القائمة بحق أو بباطل، وأماط اللثام عن الأعداء الظاهرين أو المقنعين، وقدم النصح للأصدقاء من الحمقى والمغفلين الذين يحسبون أنهم يقدمون للإسلام خدمات ويحققون له انتصارات، والشيخ الغزالي يطالب في الكتاب تنقية الثقافة الإسلامية المعروضة اليوم بصورة شاملة، وينادي بغربة الدعاة العاملين للإسلام².

والكتاب على أهميته وقيمته الكبرى، إلا أن الشيخ الغزالي صرح في بدايته تبرمه وضيقة من بعض القضايا الغيبية خاصة ما يتعلق بالجن³، ومن ذلك أيضاً لحديث أن "الكلب الأسود شيطان"⁴، وقد ورد الحديث بإسناد صحيح¹.

¹ الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المقدمة للأستاذ عمر عبيد حسنة، ص 13، 14.

² الغزالي، محمد: هموم داعية، نهضة مصر، 1426هـ، 2006م، القاهرة، ط 6، ص 5.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 5.

⁴ مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، م.س، ج 2، ص 59، رقم الحديث 1165، بن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، م.س، ط 1، ج 35، ص 250، رقم الحديث 21424.

(40) مائة سؤال عن الإسلام:

يقع هذا الكتاب في جزأين، وهو من منشورات دار ثابت للنشر والتوزيع عام 1984م.

يتضمن إجابات الشيخ الغزالي على مائة سؤال وجهها إليه الناشر، وهي أسئلة تدور موضوعاتها حول استفسارات المسلمين.

من أهم هذه الموضوعات: الإجماع في الإسلام، المعالم الأولى للدولة الإسلامية، متى تقام الحدود؟ هل ينبغي في عصر تفجير الذرة وغزو الفضاء أن نقدم الولاء للإنسانية ونؤخر الولاء للدين؟ ما حقيقة الملائكة والجن وما علاقتها بالإنسان؟ ما العلاقة بين الإسراء وبني إسرائيل؟ هل توجد صحوة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟ ما موقف الإسلام من الحضارة المعاصرة؟ هل يمكن القول بأن للإسلام حضارة خاصة يدعو إليها؟ ما هي نظم الحكم في الإسلام؟ ما موقف الإسلام من تحديد النسل؟ ما حكم النقاب في الإسلام؟... الخ².

(41) علل وأدوية:

يقع في 293 صفحة، الطبعة الأولى من منشورات دار الدعوة بالقاهرة، عام 1991م.

هذا الكتاب عبارة عن دراسات في أمراض الأمة ووسائل الاستشفاء منها، مع تصحيح لما وجه إلى التاريخ الإسلامي من أخطاء. ومن أهم عناوينه: الإنسان في القرآن، كيف غير الإسلام مسار العالم؟ أولو الألباب في كتاب الله، وجهة نظر في أقدار الرجال، عندما يكون الإلحاد أذكى، ضرورة هتك الأستار، شائعات في ميدان العلم، المعالم الأولى في عظمة محمد، رحلة

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص20.

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص252.

من العلم إلى الإيمان، التعليم الأصلي، أسرار وراء تخلفنا، وظيفتنا العالمية، الثقافة الإسلامية في محنة، الأمانة في نقل التراث¹.

(42) مستقبل الإسلام خارج أرضه.. كيف نفكر فيه؟

يقع الكتاب في 202 صفحة، دار الشروق الطبعة الأولى 1984م.

يتحدث الكتاب عن الدعوة الإسلامية خارج أرض الإسلام، ويتعرض للفهم المغلوط للإسلام المبني على بعض العادات الجاهلية، كما يبين الكتاب السبل لإنجاح دعوة الإسلام عند غير المسلمين، الكتاب أفاض بموضوع هل نغري الآخرين باعتناق الإسلام، أم أننا بسوء العرض وبسوء الفهم نصده عنه؟²

والمأخذ على الكتاب أن الشيخ الغزالي أحل أكل ما عدا الأربع المذكورة في الآية الكريمة

} | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i M

~ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ © عَيْرَبَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾³ ، فما

عدا هذه الأربع المذكورة في الآية من الطيور والحيوانات وغيرها فهو مباح، ثم إن الشيخ

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 252.

² موقع الشيخ الغزالي على الشبكة العنكبوتية <http://www.alghazaly.org/>.

³ سورة الأنعام: 6 / 145.

يوصي الدعاة الذين يذهبون إلى كوريا أن لا يُفتوا بتحريم أكل الكلاب، لمصلحة الدعوة،¹
ونحن نعلم أن ريق الكلب نجس فكيف لحمه؟²

(43) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا:

يقع هذا الكتاب في 424 صفحة، الطبعة الثالثة لدار الشروق عام 1985م.

يتطرق الكتاب إلى الغزو الثقافي المصاحب للغزو العسكري الذي اجتاحت بلادنا، ويبين أن مشكلات الدعوة الإسلامية تتكرر في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فأزمة الدعاة الواعين شديدة، وأهل الذكر الجامعون بين القراءة والفقهاء قلّة نادرة، والمسلمون الحريصون يسيئون أحياناً إلى أنفسهم وأهليهم، لأنهم يدركون الأمور على غير وجهها، أو تملكهم العاطفة المنفصلة عن التعقل، فتضر ولا تنفع.

والكتاب محاولة لاستجلاء الأسباب الكامنة وراء تخلف المسلمين وتراجعهم.³

(44) سر تأخر العرب والمسلمين:

طبعة دار الريان للتراث 1987 في 187 صفحة.

¹ الغزالي، محمد، مستقبل الإسلام خارج أرضه، م.س، ص 41.

² الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير، مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، م.س، ج 6، ص 59، رقم الحديث 5097، بن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، م.س، ج 4، ص 74، وصححه الشيخ الأرنؤوط. ويدخل في كل ذي ناب الكلب، وقد ثبت الضرر في مخالطة الكلب شرعاً وحساً.

³ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 250.

هذا الكتاب دراسة ناقدة لأسباب تأخر المسلمين، والعلل الكامنة وراء تدهورهم الحضاري وتفقرهم إلى آخر ركب الأمم منذ قرون عديدة.

وأسباب تأخر المسلمين كما يراها الشيخ الغزالي - في هذا الكتاب - ستة:

- 1- الاستبداد السياسي.
- 2- فساد التصور الاجتماعي بسيطرة التصورات الجاهلية على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.
- 3- اشتغال الجهلة والمشعوذين بالإسلام والدعوة إليه، في غياب العلماء والفقهاء.
- 4- فتنة الناس بالفلسفات والآراء الكلامية، وهذا منذ أن بدأت حركة الترجمة إلى العربية من الفارسية واليونانية والرومانية والهندية.
- 5- الغزو الثقافي بشقيه: الصليبي اليهودي، والشيعي الإلحادي.
- 6- فقدان عقيدة الولاء للإسلام، حيث حلت محلها ولاءات جديدة دخيلة لا علاقة لها بالدين، بل كانت نقمة عليه ووبالاً¹.

والمأخذ على الكتاب أن الشيخ الغزالي سَخِرَ ممن يثبتون عقيدة إثبات القدم لله عز وجل، وأول القدم بأنهم قوم يقدمهم الله إلى النار²، وأول الرجل بأنهم العدد الكثير من الناس³.

(45) الحق المر:

الكتاب عبارة عن تجميع للكلمات التي سطرها المؤلف تعليقاً على ما يقع بالعالم الإسلامي أو ما يقع

¹ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص172.

² الأساس الذي تقوم عليه عقيدة السلف الصالح في الصفات هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. العلي، عبد المنعم صالح، أصول العقيدة الطحاوية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، دولة الإمارات، 1410هـ، 1981م، ط1، ص21.

³ الغزالي، محمد: سر تأخر العرب والمسلمين، م.س، ص 54.

عليه، خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات. وكانت هذه الكلمات تنشر في مجلة "المسلمون" خاصة، وقد صدر من هذا الكتاب ستة أجزاء عند ناشرين متفرقين.

ومع أنها كلمات قصيرة، لكنها فواتح لمعانٍ جمّة عند أولي الغيرة على دينهم وأمتهم، تغوص في واقعنا الحي لتشد أزر المجاهدين في سبيل الله، وتحق الحق وتبطل الباطل¹.

(46) قصة حياة:

مخطوطة بخط اليد، مذكرات يتحدّث فيها الشيخ الغزالي عن نفسه وحياته، ويحكى فيها كيف برز إلى الدنيا في كبوة من تاريخ الإسلام، وفي أيام كئيبة كان الإنجليز فيها يحتلون مصر وأقطارا أخرى فيحاء من أرض الإسلام الجريح، وكيف كان القرن الذي ولد فيه من أسوأ القرون التي مرت بدين الإسلام. ثم يتكلم المؤلف عن تعليمه الديني والمدني، وعن الاضطرابات السياسية التي عاصرها².

كما يتحدّث المؤلف أيضا عن علاقته بحسن البنا وانخراطه في جماعة الإخوان، ثم وظيفته في وزارة الأوقاف وتعامله مع رؤسائه ومرؤوسيه. كما يتحدّث أيضا عن علاقته بعبد الناصر³ والسادات¹.

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص255.

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص253.

³ (1336-1390هـ، 1918-1970م) جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبد الناصر، حكم مصر ثمانية عشر عاما، ولد في قرية بني مر، بمحافظة أسيوط، انتقل إلى القاهرة وعمره ثماني سنوات، تعلم بها ثم بالاسكندرية، حصل على البكالوريا سنة1936، وشارك في المظاهرات المعادية للإنجليز، دخل الكلية الحربية وتخرج سنة 1938، ودرس بها، قام مع زملائه العسكريين بثورة 1952 على الملك فاروق آخر ملوك مصر، انتخب رئيسا للجمهورية سنة 1956، أمم قناة السويس. الزركلي: الأعلام، م.س، ج2، ص134.

وهذه المذكرات ترسم حياة الشيخ الغزالي حتى تاريخ وفاة السادات تقريبا. وهي تمثل صورة مشرقة لحياة المؤلف وكفاحه في سبيل الإسلام والدعوة الإسلامية، وترسم بدقة عمل الأعداء في تعويق الدعوة وإتعااب القائمين عليها.

(47) الطريق من هنا:

يقع الكتاب في 160 صفحة، وهو من منشورات دار الشروق، الطبعة الثالثة 1992.

في هذا الكتاب، ينتقد الشيخ الغزالي تخلف المسلمين، وينتقد كذلك أساليب المسلمين في مواجهة هذا التخلف، وذلك من خلال نقد مناهج الدعوة الإسلامية المعاصرة التي يسعى بعضها للوصول إلى السلطة. ويناشد الشيخ الغزالي أولي الغيرة على الإسلام وأولي العزم من الدعاة أن يعيدوا النظر في أساليب عرض الإسلام والدفاع عنه، وأن يبذلوا وسعهم في تغيير الشعوب والأفكار، سائرين في الطريق نفسه الذي سار فيه المرسلون من قبل².

وفي هذا الكتاب صور قليلة لمفارقات بين واقعنا وديننا في الماضي والحاضر، يرجو لها الغزالي أن تجد حظها من التدبر والوعي.

¹ (1337 - 1402 هـ ، 1918 - 1981 م) محمد أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، ولد في قرية أبو الكوم بمحافظة المنوفية، إنتقل مع أسرته إلى القاهرة صغيرا فتعلم بها، تخرج من المدرسة الحربية، تولى رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة بعد موت عبد الناصر المفاجئ، ثم انتخب رئيسا لمصر بعد أقل من شهر، أحدث تغييرات جذرية في نظام الحكم، خاض مع سوريا ضد إسرائيل حرب رمضان 1973م، صالح الصهاينة وعقد اتفاقية كامب ديفيد عام 1978م، وسار في طريق تطبيع العلاقات معهم، قتل بحادثة اغتيال أثناء عرض عسكري، له من المؤلفات: صفحات مجهولة من تاريخ الثورة، يا ولدي هذا عمل جمال، نحو بعث جديد، البحث عن الذات. أباطة، نزار، المالح، محمد رياض: إتمام الأعلام، دار الفكر، سوريا، 1424هـ، 2003م، ط2، ص 340.

² الغزالي، محمد: الطريق من هنا، دار الشروق، القاهرة، ص6.

(48) جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج:

يقع في 192 صفحة، صدر عن دار الصحوة "بدون تاريخ".

مجمل الكتاب أن الجهاد هو دفاع عن الأرض والعرض، والحاضر والمستقبل، والتاريخ والشخصية، والدين والدنيا، ولا يقتصر الإسلام على الطبيعة العسكرية، فالانتصار لله ورسوله صلى الله عليه وسلم يكون في ميدان الإعلام، وفي ميدان المال والعلم، مدنياً كان أو عسكرياً، وفي ميدان السياحة والكشوف، وفي ميدان المساعدات والخدمات الاجتماعية¹.

(49) نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم:

كتاب صغير نشره المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة، وهو يحتوي مجموعة المحاضرات التي ألقاها الشيخ في قاعة ابن خلدون، ما بين سنوات 1984-1986م خلال وجوده بالجزائر.

هذه المحاضرات تصب في دائرة التفسير الموضوعي ولا تحيد عنها، تمثل المحاضرات الثلاثة الأولى منها خلاصة الكتاب الذي نشره الشيخ بعد ذلك، وهو "المحاور الخمسة للقرآن الكريم"، ثم محاضرة بعنوان: "نظرات في سورة الفتح"، ومحاضرتان أخريان، إحداهما: "متى يُحمد التعصب ومتى يُعاب؟"، والثانية: "الإسلام وأهل الكتاب بين آيات الوحي ووقائع التاريخ".²

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 2540

² فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 176

(50) خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة:

الكتاب في عدة أجزاء، وهو تجميع لعدد معتبر من خطب الشيخ الغزالي التي ألقاها في مختلف المساجد التي خطب فيها الجمعة والعيد، وقد نشرت في حياة الشيخ الغزالي رحمه الله. تمتاز هذه الخطب بتنوعها، ومعالجتها لمختلف المشكلات¹.

(51) محاضرات الشيخ محمد الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع:

هي أيضا تجميع لعدد محدود من محاضرات الشيخ الغزالي التي ألقاها في مصر خاصة، وهي محاضرات متنوعة تمس مختلف مناحي الثقافة الإسلامية المعاصرة.

وجميع هذه المحاضرات تتسم بالقوة والوضوح، والصراحة والواقعية، وتحدث عن واقع العالم الإسلامي، وأزمة المسلمين الحقيقية، وتصارع بالداء والدواء، وتكشف عن الأصدقاء والأعداء.

والمحاضرات تتطوي على أحداث وتجارب، وأحكام وحقائق، ووصايا واقتراحات، يسوقها الشيخ الغزالي بأسلوبه الفذ الذي يجمع بين التحليل الفكري الهادئ الدقيق، والعرض الأدبي الحار الرشيق².

(52) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث:

يقع الكتاب في 160 صفحة، الطبعة الأولى لدار الشروق عام 1989.

¹ فلوسي: م.س، ص 176

² قطب، قطب عبد الحميد: محاضرات الشيخ الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع، ص 15.

ألف الشيخ الغزالي هذا الكتاب بتكليف من المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، إنصافاً للسنة النبوية، وذوداً عنها من جراءة القاصرين وذوي العقول الكليية. وفي هذا الكتاب توجيه للذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية، وهم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علماً بعد قراءة عابرة أو عميقة، وفي الكتاب درس للذين عرفوا من الإسلام قشوره ونسوا جذوره.

ولقد ساهم هذا الكتاب في إثارة النقاش حول مناهج فهم السنة النبوية، وكان له أثر عميق عند كثير من المسلمين والمسلمات¹.

كما أثار الكتاب ردود فعل واسعة من قِبل من اعتقدوا أنهم مقصودون به، حتى ألفوا في الرد عليه أكثر من عشرة كتب كاملة.

والكتاب عليه بعض المآخذ منها: أن الشيخ الغزالي رد أحاديث صحاح مثل البكاء على الميت، وقصة موسى وملك الموت، وقصة المجدوب، وأحاديث النعي، وأحاديث فضل السكنى بالشام. كما أن الشيخ الغزالي ينكر تلبس الجن بالإنس، ويذهب إلى أن ذلك خرافات وخيالات².

(53) المحاور الخمسة للقرآن الكريم:

يقع في 244 صفحة، طبعة دار الصحو الثانية 1989م.

الكتاب عرض موضوعي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالمحاور الكبرى الخمسة التي تدور عليها موضوعات القرآن كله، وهي: الله الواحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآني، البعث والجزاء، والتربية والتشريع، وقد جمع لكل واحد من هذه المقاصد ما يتعلق به من السور والآيات، ثم نسق بينها وفسرها، بما يسفر عن قسّمات كل مقصد كما يصورها القرآن الكريم.

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 256.

² الغزالي، محمد: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، م.س، ص 91.

ولم يكتف الغزالي بهذه النظرات الموضوعية إلى المقاصد الكبرى للقرآن فحسب، بل ضمن الكتاب أيضاً مقارنات بين نوع التفسير: الموضوعي والموضوعي، وذلك من خلال عرض نموذجين لتفسير سورة الواقعة، أحدهما من النوع الأول، والآخر من النوع الثاني¹.

(54) كيف نتعامل مع القرآن؟

يقع الكتاب في 236 صفحة، الطبعة الثالثة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1992م.

الكتاب عبارة عن مدارس جرت بين الشيخ محمد الغزالي والأستاذ عمر عبيد حسنة². وهي تدور حول مناهج فهم القرآن المجيد وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه، وعلاقاته بعلوم المسلمين قديماً وحديثاً، وكيفية جعله المصدر الأول لثقافة المسلم المعاصر ومعرفته وعلمه وتوجيهه، مما يمكن العقل المسلم من العودة إلى التعامل السليم مع القرآن العظيم، ويعيد القرآن الكريم إلى مركز الدائرة في ثقافة المسلم المعاصر ومعرفته وحضارته، ليستعيد العقل المسلم عافيته ويسترد القرآن المجيد دوره في عطائه وإنارته.

وتتسم المدارس بمدخل نقدية عديدة، تبعاً لتعدد وتنوع الموضوعات التي تشملها، في محاولات بذلها المتدارسان لاستخلاص وعي قرآني بقواعد معرفية تقارب ضوابط المنهج الذي لا يأخذ بكل ما ورد ضمن الفكر السائد دون تمحيص ونقد وتحليل.

¹ الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 166.

² مفكر إسلامي بارز، أديب صحفي واسع الاطلاع على التراث العربي والفكر الغربي، ولد سنة 1935 قرب دمشق، تأثر بالشيخ مصطفى السباعي وارتبط بحركته الفكرية في وقت مبكر، تخرج من كلية الشريعة بجامعة دمشق، وهو كاتب غزير الانتاج الفكري والدعوي، ومن أبرز مؤلفاته (نظرات في مسيرة العمل الإسلامي) و(مراجعات في الفكر والدعوة والحركة) وغيرها، وله حضور متميز في العديد من المؤتمرات العلمية. موقع مجلة الغرباء الإلكترونية <http://www.alghoraba.com/index.php>

وتعمل المدارس على استدعاء القرآن في إطار واقعي متغير بوعي جديد، كما تكمن أهميتها في محاولتها تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرآن في الموضوعات الإسلامية كخطوة أولى يؤسس بموجبها الوعي المنهجي الإسلامي المعاصر¹.

(55) صيحة تحذير من دعاة التنصير:

يقع الكتاب في 155 صفحة، طبعة دار الصحوة الأولى لعام 1991م.

ألف الشيخ الغزالي هذا الكتاب بعد أن اطلع على كتاب التنصير الذي يمثل سجلاً للممارسات والمحاورات والمقترحات والنتائج التي انتهى إليها أحد المؤتمرات التبشيرية في أمريكا، وهو المؤتمر الذي تخصص في قضية تنصير المسلمين في العالم، وجمع لهذه الغاية ألف مليون دولار.

يؤكد الشيخ الغزالي أن هذا المؤتمر مستتكر الأهداف والوسائل، ومن حق المسلمين في المشارق والمغارب أن يتنادوا بأخذ الحذر والتأهب للدفاع.

والكتاب محاولة لمراجعة المواقف السابقة، وبيان أسباب الحروب الكثيرة التي اشتعلت بين الإسلام والنصرانية، والتي عند التحقيق ينكشف أننا لسنا المسؤولين عنها².

ويدعو الشيخ الغزالي في هذا الكتاب الجيوش المشتغلة بالتنصير أن تعمل في ميدانها الحقيقي لو كانت تؤمن بالله وبالدين الحق، إنه ميدان الحضارة الأوروبية العلمانية بالدرجة الأولى، والمسلمون

¹ الغزالي، محمد: كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ، 2005م، القاهرة، ط7، ص 5-6.

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 259.

آخر من يحتاجون إلى خدمات التصدير، لأنهم أول المؤمنين بالله وبرسالات الله وبعيسى عليه السلام¹.

(56) أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية:

يتحدث الشيخ الغزالي في هذا الكتاب عن أهمية الشورى التي تعتبر من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والقانون الدستوري الإسلامي. كما يتحدث أيضاً عن افتقار العالم الإسلامي في ممارسة الشورى، الأمر الذي جعله يقع في ما وقع فيه من تخلف وهوان².

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الغزالي عاد فجمع بين هذا الكتاب وكتاب آخر سبق الحديث عنه وهو "واقع العالم الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر الهجري"، جمعهما معاً في كتاب واحد نشر بعد ذلك بعنوان "الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية"³.

(57) قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوafدة:

يقع الكتاب في 218 صفحة، دار الشروق الطبعة الخامسة 1994م.

¹ الغزالي، محمد: صيحة تحذير من دعاة التصدير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ، 2005م، القاهرة، ط3، ص 12..

² تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 241.

³ فلوسي: الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 180.

يقوم الشيخ الغزالي في هذا الكتاب بتصحيح المفاهيم الخاطئة التي يفهمها المسلمون وغيرهم عن المرأة، ويؤكد أن هذه مفاهيم ليست إسلامية ولا علاقة لها بالإسلام، بل إن الإسلام يعمل على تزييفها وإنقاذ الناس من الوقوع تحت سطوتها.

تدور مقالات هذا الكتاب على أربعة أبواب: لفهم الإسلام أولاً، صفحات مطوية، من البيت نبداً، مفاهيم يجب أن تصحح.

يقول الغزالي واصفاً كتابه هذا ومنهجه فيه:

"في هذا الكتاب خواطر منثورة جمعت بين العلم والأدب والنقد والتاريخ والفتوى الغابرة والمعاصرة، لكنها جميعاً تتصل بقضايا المرأة والأسرة والمجتمع الصغير.

وقد رأيت أن هذا الأسلوب أدنى إلى مزاج طالب الثقافة في أمتنا، وأدنى كذلك إلى عرض الإسلام في ثوب جديد"¹.

(58) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل:

يقع في 224 صفحة الطبعة الثانية، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991.

هذا الكتاب عبارة عن غريلة شاملة للتراث العلمي الإسلامي، برؤية تتطلق من هدايات القرآن وتنتهي لتصب في إطار خدمة هذه الهدايات والسعي للتطابق معها في الواقع.

¹ الغزالي، محمد: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، مقدمة الكتاب، ص9.

والكتاب هو حديث حول العلوم النقلية الإسلامية، وطرائق تدريسها، ووجوب النظر في إعادة بناء برامجها، وإصلاح مختلف جوانب العملية التعليمية المتعلقة بها، يقع الكتاب في عشرة فصول، عناوينها: إسلامية المعرفة أو المعرفة الإسلامية، أبعاد الوحي الأعلى، أغلفة تغطي الحقيقة العظمى، توضيح الصورة ومنع الغش، حقائق في التربية، لمحة عن الابتداع، إعادة كتابة التاريخ، على هامش التفسير، على هامش السنة، مستقبل العربية وآدابها¹.

(59) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم:

طبعة دار الشروق الثانية 1996 في 560 صفحة.

هذا الكتاب يتضمن تفسيراً موضوعياً لكل السور القرآنية، وقد طبع أول مرة في ثلاثة أجزاء صغيرة، ثم أعيدت طباعتها مجموعة في مجلد واحد.

في هذا الكتاب يتحدث الشيخ الغزالي عن كل سورة من السور باعتبارها وحدة تدور حول موضوع معين، وهو يحاول أن يرسم "صورة شمسية" لها، وان يربط أوائل السور بأواخرها، ويصل بين أطرافها وأوساطها، وأن يتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها².

وقد أكد في مقدمة الجزء الأول منه، كما في مقدمة الجزء الثاني أيضاً، أنه يضع الخطوات الأولى في هذا الطريق، ويترك لغيره ممن يأتون من بعده مهمة التفصيل والاستفاضة:

¹ تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي، م.س، ص 257.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 110.

"الرائد يشغله عناء الكشف، عن إحسان الترتيب والتبويب، فليكن ذلك التفسير تمهيدا لمن
يجيئون بعدي، بينون عليه ويزيدون فيه"¹.

والذي يبدو أن السن التي كتب فيها الشيخ الغزالي تفسيره هذا، كان لها تأثيرها عليه، مما حدا به
إلى الانصراف إلى الإيجاز بدل الاستفاضة والإسهاب، فالرجل بدأ يكتب التفسير بعد أن تجاوز
السبعين من عمره، بحيث أصبح ترقب الموت يلح عليه في كل لحظة، لذلك حرص على أن يتم
التفسير قبل حلول الأجل، بل لقد كان يسأل ربه عز وجل أن يمد في أجله حتى ينتهي من كتابته.
نلاحظ هذا واضحا فيما كتبه في مقدمة الجزء الأول من التفسير، حيث يقول:

"استرسلت مستعينا بالله، معتمداً عليه، وكتبت هذه الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم،
على أمل أن يأتي الأجل بعد أن أفرغ من الكتابة، والمستقبل بيد الله وحده"².

وقد حقق الله عز وجل لعبده الخاشع الضارع أمنيته تلك، ومكنه من أسباب الحياة حتى أنهى تفسير
الكتاب الكريم. وهو ما استدعى من العبد أن يتوجه لخالقه بالشكر العارم والحمد الوفير. وذلك ما
كتبه في مقدمة الجزء الأخير من التفسير:

" أثني على الله بما هو أهله، إذ أعان على إكمال هذا الجزء الأخير من التفسير برغم كثرة
الأسقام والأعباء، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أشكر ربي ما تراخت منيتي،
وبعد أن ألقاه تبارك اسمه، أن جعلني أهلاً لتدبير كتابه، واجتذاب المؤمنين إليه"³.

¹ الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ج2، ص5.

² الغزالي، محمد: م.س، ج1، ص6.

³ الغزالي، محمد: م.س، ج3، ص5

(60) كنوز من السنة:

طبع هذا الكتاب بعد وفاة الشيخ. وهذا الكتاب عبارة عن أوراق وتأملات في السنة النبوية وخواطر دَوَّنَها - رحمه الله - فيما أطل فيه فكره وأمعن فيه نظره من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وذلك في أسلوب جديد، إذ خرج في دراسته هذه عن إطار من سبقه في تفسير المفردات والإعراب ومواطن البلاغة والمستفاد لغوياً وشرعياً، وحرص على ربط الحديث النبوي بمناحي الحياة كلها بأسلوبه الرشيق وبلاغته المعهودة، مدعماً ذلك بما يؤيد الحديث من القرآن الكريم والأثر الوارد عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد حرص الشيخ الغزالي في هذا الكتاب على تصحيح المفاهيم والمعتقدات المتوارثة من توجيه خاطئ أو إرشاد علمي تائه أو ضلال في الفهم¹.

¹ الغزالي، محمد: كنوز من السنة، مقدمة الأستاذ محمد خالد القعيد للكتاب، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م.

المطلب الثاني: الخُطب

كان الشيخ الغزالي خطيباً مفوهاً ويرى الباحث أن الشيخ الغزالي كما أبدع في كتاباته، فإنه كان مبدعاً في خطبه التي كانت تتلقاها الجماهير التي كانت تستمع لهذه الخطب.

ولقد حدّث الشيخ عن نفسه: "أنه بعد تخرجه عين إماماً وخطيباً بمسجد عزبان بالعتبة، وأنه بعد عدة أسابيع نفذت بضاعته ولم يجد ما يقوله للناس، فبدأ تكوين نفسه من جديد، يقرأ في علوم الدين، ومعارف الدنيا، في الكتب القديمة والكتب الحديثة، في مصادر الشرق وما ترجم عن الغرب، حتى أمكنه أن يرضى عن نفسه، وأن يجد عندها ما يستطيع أن يمنحه لغيره، فالشهادة ليست هي نهاية العلم، بل مفتاحه."¹

من خلال هذه الخطب الفياضة، طرحت مقاصد العقيدة، وتعاليم الشريعة، وعولجت المشكلات، وقدمت الحلول.

من خلال هذه الخطب تعلم الناس أن الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، مصحف وسيف، جسد وروح، عقل وعاطفة، إيمان ونظام، دنيا وآخرة.

من خلال هذه الخطب ارتفع صوت الغزالي يذكر المسلمين، بأيام الإسلام المجيدة، وعزهم المفقود، ويروي للأجيال أخبار الرجال الذين قضوا على دروب الجهاد، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

من خلال هذه الخطب ارتفع صوت الغزالي مدوياً كالرعد العاصف، يحذر من الأخطار المحدقة بالأمة، والتحديات الكبرى التي تنتظرها.

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، مرجع سابق، ص178

من خلال هذه الخطب اشتبك الغزالي مع سماسرة الاستعمار العالمي في العالم الإسلامي، الذين عاشوا بيننا، يذبحون ديننا ويخدمون أعداءنا، اشتبك معهم الغزالي فكشف دورهم، وفضح ضلالهم، وشرد بهم من خلفهم.

من خلال هذه الخطب وقف الغزالي في وجه ما أسماه بالفرعونية الحاكمة، والقارونية الكافرة، وخاض معركته مع هؤلاء تحت شعار في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، فصعد بالكلمة التي ترضي الله وتسخط كل عدو له.

من خلال هذه الخطب واجه الغزالي ما أسماه بالتدين المغشوش، الذي يعلو صوته بالحفاظ على الإسلام حيث لا خطر، ويصمت كأن الأمر لا يعنيه حيث يوشك الإسلام على الغرق¹.

وخطب الشيخ الغزالي كانت متنوعة وعصرية، وتتصل بقضايانا الحيوية، وتعالج مختلف المشكلات التي تحرك بها وجدان أستاذ مصلح ذي تجربة عميقة في تناول قضايا المجتمع الإسلامي المعاصر.

كما أن القارئ يعيش في قراءة الخطب شكلاً من أشكال المسرح اللغوي، فالمنبر قائم بكل عبارة من عباراته، نابضة بالحياة في تدفق الحديث، وفي تتابع المشاهد، وتلاحق الجمل وسرعتها. وهي امتداد للبيئة الزمانية والمكانية، فقد عين إماماً وخطيباً بمسجد العتبة الخضراء، ثم الجامع الأزهر، ثم مسجد عمرو بن العاص، وتنتقل بين عواصم العالم الإسلامي، من القاهرة إلى الجزائر إلى الدوحة إلى مكة الخ².

¹ قطب، قطب عبد الحميد: خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، دار الاعتصام، ج2، ص8،9.

² عويس، عبد الحلیم: الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه،، دار القلم، دمشق، 2000م، ص8.

كما أننا نلاحظ أن في هذه الخطب كما في مقالات الشيخ وكتبه، نقداً لبعض الأوضاع، وكشفاً لبعض المخبوء من المكاييد والتأمر على الإسلام وأمته، وهذا لم يرض السياسة المصرية، وحذر الشيخ من هذا التوجه الذي يلتزمه، ولكن الشيخ استمر في طريقه الذي رسمه لنفسه، ولم يصغ إلى النصائح، فكان لا بد أن يوقف هذا النشاط، ويعزل الشيخ عن الخطابة في المسجد، وأن يوضع الشيخ في القائمة السوداء. ورأى الشيخ أن الدولة أضحت تضيق به ذرعاً، وأن عليه أن يبحث عن مكان آخر، فرحبت به جامعة أم القرى، ورحب الشيخ بمجاورة المسجد الحرام، تاركاً الميدان في مصر رغماً عنه¹.

إن خطب الشيخ الغزالي دائماً تخدم موضوعاً علمياً محدداً، يوضع معالمه وعناصره، ويستدل له من القرآن الكريم الذي يستحضر آياته في كل موضوع كأنها مصنفة بين يديه، ومن السنة المطهرة التي قرأ الكثير منها فأحسن قراءتها، والفهم له والاحتجاج به، وربما استدل بالضعيف منها في بعض الأحيان أخذاً برأي جمهور العلماء في الاستدلال بالضعيف في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال².

وخطب الشيخ دائماً ما تكون مرتبطة بالواقع، تُقَوِّمُ عوجه، وتعالج أمراضه، وتسدد مسيرته، في ضوء تعاليم الإسلام.

وهو يخطب كما يكتب، عذوبةً وأناقةً ورشاقةً، فخطبه كلها قطع أدبية، لا تجد فيها حوشي الكلام، ولا سوقيه، كما لا تجد فيها التقعر والإغراب، الذي يحوجك إلى المعاجم لتبحث عن معاني ما سمعت.

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص54.

² الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل، وهذا هو المعتمد عند الأئمة وذلك بشروط هي: إذا لم يحرم حلالاً، ولم يحل حراماً، ولم يوجب حكماً، وكان في ترهيب أو ترغيب. القاسمي، محمد جميل: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1399هـ، 1979 م، ط1، ص 114.

وقارئ هذه الخطب يجد فيها أثر الثقافة المتنوعة، والتمكن الأزهرى، وأصالة الدراسة اللغوية والأدبية، وهو متمكن من اللغة، واع لقواعد الصرف والنحو، لا يلحن ولا يخطئ، كأنه يقرأ صحيفة مضبوطة بالشكل، وهو حريص على أن يكون أدؤه صحيحاً مائة بالمائة، ولا يسامح نفسه في زلة يسبق بها لسانه.¹

ولقد شددت خطب الشيخ الغزالي جماهير المتقفين والشباب إليه، فكانوا يقدون إليه من أنحاء شتى مستمعين ومستفيدين، وخصوصاً في المساجد التي كان يخطب فيها بانتظام مثل مسجد الزمالك، وجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، الذي أحيتته خطب الشيخ بعد أن كان شبه مهجور، وهو أول مسجد أسس للإسلام في إفريقيا.

وأنشأت هذه الخطب مدرسة إسلامية في فهم الإسلام وإفهامه، وهي مدرسة تقدم الدين من ينابيعه الصافية، موثقا بالأدلة، خالصة من الزوائد والشوائب، بعيداً عن التحريف والتزييف، لا تسكت عن حق، ولا تتكلم بباطل، ولا تتبع ديناً بدنياً. ولكنها لا تتعرض لأشخاص بأسمائهم على المنبر، ولا تعتمد الإثارة والتهيج في الموضوعات الحساسة، بل تعالج أدق القضايا بمبضع الجراح، متبعا ما أمر به الدين به من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبالرغم من أن الغزالي الخطيب كان هو المسئول عن الدعوة وشؤون المساجد في وزارة الأوقاف المصرية، تراه يقول الحق، وإن كان مرا، لا يخشى في الله لومه لائم، وهذا ما أزعج السلطات، التي تتوجس من هذا النوع من الخطب التي تنير العقول بالحقائق، قبل أن تنير المشاعر بالمبالغات. وانتهى الأمر بمنع الشيخ عن الخطابة بمسجد عمرو.²

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 61.

² القرضاوي، يوسف: م.س، ص 63.

منع الشيخ من الخطابة بمسجد عمرو بن العاص بعد أن كانت تحتشد لسماع خطبه عشرات الألوف، وعندما كانت تثير انتقاداته الدولة، فتهم بتقييد حريته، كانت تتحرك لنصرته مظاهرات جماهير المساجد.¹

وقد اجتمع أحد وزراء الداخلية، مع بعض الصحفيين، ليقول لهم: إنهم فقدوا التأثير الشعبي، لأنهم يكتبون في مناصرة الحكومة، ولا يستمع إليهم أحد، ومحمد الغزالي يلقي خطبة العيد فيردها الخطباء في عشرات الآلاف من المساجد في القرى والمدن.²

وعند استعراضنا لبعض العناوين التي تناولها الشيخ محمد الغزالي في خطبه والتي هي مطبوعة، نجد في ثناياها فكره التربوي واضحاً وجلياً، من هذه العناوين: سياحة تاريخية، شمس محمد صلى الله عليه وسلم تسطع على العالم، فلسطين الدرة المغتصبة، قادة الخير وقادة الشر، اليهود في ميزان القرآن، الشباب في موكب الإسلام، نعم للحقائق لا للصور، وغيرها³

ولإتمام الفائدة بهذا الموضوع، ننقل ما قاله الشيخ الغزالي في صفات الخطبة وأساليبها:

(1) يحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد، واضح غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا، فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة، يشتت الأذهان وينتقل بالسامعين في أودية تخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عباراته بليغة، ومهما كان مسترسلاً متدفقا، فإنه لن ينجح في تكوين صورة واضحة الملامح لتعاليم الإسلام، والوضوح أساس لا بد منه في التربية، والتعميم والغموض لا ينتهيان بشيء طائل، وخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً بقدر ما هي حقيقة تشرح وتغرس.

(2) عناصر الخطبة يجب أن يسلم أحدها إلى الآخر، في تسلسل منطقي مقبول، كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها دون عناء، بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد

¹ عمارة، محمد: الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص32.

² البيومي، محمد رجب: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1420هـ، 1999م، ط1، ص 403 وما بعدها.

³ قطب، قطب عبد الحميد: خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، م.س، ص255.

وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها، وعليه أن ينتقي من النصوص والآثار، مما يمهّد طريقه إلى هذه الغاية.

(3) ولما كانت الخطبة الدينية تتسج من المعاني الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح، فإن لحمتها وسناها يجب أن يكون من الحقائق المقبولة، وفي آيات القرآن الكريم، ومعالم السنة المطهرة، متسع يغني في الوعظ والإرشاد، ولذلك لا يليق أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية.

وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة مجال رحب للخطيب الفقيه، ففي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يغني عن الأساطير والأوهام.

(4) لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمر الخلفية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر إسلامية محدودة، فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكل دون حوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها، وما أكثر العزائم والفضائل التي تصلح موضوعاً لنصائح جيدة وخطب موفقة. وقد شقي المسلمون بالفرقة أياما طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحد الصفوف ويطفي الخصومات.

(5) بين الخطبة والأحداث العابرة، والملابسات المحيطة، والجماهير السامعة، علاقة لا يمكن تجاهلها، ومما يزرى بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون في واد، والناس والزمان والمكان في واد آخر. ولأمر ما نزل القرآن منجماً على ثلاث وعشرين سنة، فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة، ولما كان القرآن شفاء للعلل الاجتماعية الشائعة، فإن الخطيب يجب عليه أن يشخص الداء الذي يواجهه، وأن يتعرف على حقيقته بدقة، فإذا عرفه واستبان أعراضه وأخطاره رجع إلى أي الكتاب والسنة، فنقل الدواء إلى موضع المرض، وذلك يحتاج إلى بصيرة وحنق، فإن الواعظ القاصر قد يجيء بدواء غير مناسب فلا يوفق في علاج، وربما أخطأ ابتداءً في تحديد العلة، فجاءت خطبته لغواً، وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة.

(6) من الخير أن تتضمن خطبة الجمعة أحياناً شيئاً من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية، وتتويها بالحضارة اليانعة التي أقامها الإسلام في العالم مع الإشارة إلى أن ينباع هذه الحضارة تفجرت من الحركة العقلية التي أحدثها القرآن الكريم، واليقظة الإنسانية التي صنفاها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكون الغرض من هذه الخطب على اختلاف موضوعاتها أن ترجع إلى المسلمين ثققتهم بأنفسهم ورسالتهم العالمية.

(7) معروف أن هناك فلسفات أجنبية ونزعات إحادية، تسربت إلى الأمة الإسلامية في كبوتها التاريخية الماضية، وطبيعي أن تتعرض الخطبة إلى درء هذه المفاصد النفسية عن أبناء الأمة، ووظيفة الخطبة في الإسلام عندئذ أن تتجنب الأخذ والرد والجدال السيئ، ولكن تعرض الحقائق الايجابية في الإسلام بقوة، وترد على الشبهات دون كناية بذكر مصدرها، لأن المهم هو حماية الشريعة الإسلامية، وليس المهم تجريح الآخرين وإلحاق الهزائم بهم.

(8) قبل أن يواجه الخطيب الجمهور ينبغي أن تكون في ذهنه صورة بينة لما يريد أن يقوله. بل يجب أن يراجع نفسه قبل الكلام ليطمئن اطمئناناً إلى صحة القضايا التي سوف يعرضها، وإلى سلامة آثارها النفسية والاجتماعية، وعليه أن ينتبذ من الأدلة والشواهد التي يسوقها في معرض الحديث، فإن كان قرآناً حفظه جيداً، وإن كان سنةً رواها بدقة، وإن كان أثراً أدبياً أو خبراً تاريخياً فإن توفيقه يكون بحسب مطابقته أو اقتزابه من الأصل المنقول عنه. إن التحضير المتقن، دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه، وقد تفجأ الإنسان مواقع يرتجل فيها ما يلقي به الناس ويصور ما بنفسه. والواقع أن القدرة على الارتجال تجيء بعد أوقات طويلة من التدريب على التحضير الجيد، وعلى تكوين حصيلة علمية مواتية لكل موقف، ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق، والذي يقدر إنصاف الناس له واحتفاءهم بما يقول.

(9) الإيجاز أعون على تثبيت الحقائق، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يُراد به من تعاليم، فإن الكلام الكثير يُنسي بعضه بعضاً، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإفاضة، ألا ترى أن الأرض تحتاج إلى قدر محدد من البذور كيما تنبت، فإذا كثر النبات بها تخللها الفلاح باجتثاث الزائد حتى يعطي البقية فرصة النماء والإثمار. كذلك النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني، إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء مغلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها.

وللإطناب الممل أسباب معروفة منها سوء التحضير، فإن الخطيب الذي يلقي الناس بالجزاف من الأحكام والتوجيهات لا يدري بالضبط أين بلغ بقوله، وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا فيحمله ذلك على التكرار والإطالة. وما يزداد من الجمهور إلا بعدا. وقد تنشأ الإطالة عن سوء تقدير للوقت والموقف، فيظن الخطيب أنه سيقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً وكرهاً وهذا خطأ، ومما يحكى في قيمة الإيجاز أن أحد الرؤساء طلب منه إلقاء خطبته في

بضع دقائق فقال: (أمهلوني أسبوعاً) فقل له: نريدها في ربع ساعة، فقال: (أستطيع بعد يومين) قيل له: فإذا طلبناها في ساعة؟ قال: (أنا مستعد الآن)، إن الإيجاز يتطلب الموازنة والاختيار والمحور والإثبات.

أما الكلام المرسل فالجهد العقلي فيه أقل، والحقيقة أن خمس دقائق تستوعب علماً كثيراً، وعشر دقائق وخمس عشرة دقيقة تستوعب خطبة أو محاضرة جيدة¹.

¹ الغزالي، محمد: توجيهات الدعاة، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، رمضان 1395هـ، ص 551، 555.

المطلب الثالث: المحاضرات والدروس

على امتداد خمسين عاماً، ترك لنا الشيخ محمد الغزالي، تراثاً ضخماً من المحاضرات والدروس والندوات والمؤتمرات والمناظرات، بالإضافة للبرامج التلفزيونية والإذاعية، سواء مقدماً لها، أو ضيفاً عليها.

وما ميز الشيخ الغزالي في محاضراته ودروسه، أنه ذو عاطفة قوية مشبوبة، حتى قال ذات مرة عن نفسه: "كل كتاب كتبتّه، وكل محاضرة، أو ندوة، أو مداخلة، شاركت فيها، إنما هي قلب يتحرق، وعاطفة تتحرك، وكل ذلك أقدمه بين يدي ربي عز وجل يوم القيامة، وأسأله أن يتقبل ذلك خالصاً لوجهه الكريم"¹.

واضطر الشيخ الغزالي لمغادرة مصر، والانتقال إلى الدول الإسلامية التي فتحت له أبوابها، ورحبت به داعية، وأستاذاً، ومرشداً، وأهم هذه الدول المملكة العربية السعودية، وقطر، والجزائر، والكويت.

ففي الفترة من سنة 1968م إلى 1973م، قضى شهر رمضان في دول الكويت وقطر والسودان والمغرب².

وبين سنة 1984م، و 1989م، عمل رئيساً للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، التي أسسها هو بكلية واحدة، ثم توسعت لتشمل سبع كليات، وقاد

¹ الغزالي، محمد: ضمن حوار أجرته معه مجلة المجتمع الكويتية قبل أسبوع من وفاته، عدد 1992، 7 ذو القعدة

1416هـ، 26 فبراير 1996م، ضمن كتاب محمد الغزالي حياة وآثار، شهادات ومواقف، نصر الدين لعرابة، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1998م، ص108.

² عمارة، محمد: الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص11.

بمحاضراته وقلمه ولسانه، حركة التعريب في الجزائر حتى قال الجزائريون: " إن الله قيض للجزائر من يحفظ عليها عروبتها، وإسلامها مرتين: عبد الحميد بن باديس أولاً، ومحمد الغزالي ثانياً"¹.

وبالإضافة لعمل الشيخ الغزالي أستاذاً في جامعات السعودية، والأزهر، وقطر، والجزائر، ومحاضراً وزائراً في معظم جامعات الدول العربية والإسلامية، فإن له الكثير من الأبحاث، والرسائل العلمية، والدراسات المتعددة التي حفلت بها معظم المؤتمرات الإسلامية والعربية².

وبنظرة سريعة على بعض عناوين هذه المحاضرات العامة سواء بالتلفاز أو الإذاعة أو غيرها، نجد أنها عناوين عالجت كثيراً من المواضيع والمشكلات، مثل: الداعية والتيارات الفكرية، احترام قانون السببية، أخذ العبرة من التاريخ، الاستفادة من الأخطاء الخ³.

ويروي الشيخ يوسف القرضاوي كيف كان الشيخ الغزالي يلقي المحاضرات أثناء الاعتقال في معتقل الطور: " عشنا مع الغزالي، وكان يؤمنا ويخطبنا ويدرسنا في محاضرات، كانت محاضرات حول الإسلام والاستبداد السياسي، الكتاب الذي صدر بعد ذلك تحت عنوان "الإسلام والاستبداد السياسي"، كان أصله محاضرات ألقاها في معتقل الطور..."⁴.

وفي السعودية قدم الشيخ الغزالي للدعوة الكثير، فقد كان له برنامج يومي في المذيع يحبه الناس، كما كان يشارك في التلفاز، وفي الصحف، فضلاً عن جهوده في تربية طلابه في جامعة

¹ المصري، عبد الله: الشيخ محمد الغزالي نشأته وسيرته الذاتية، ضمن كتاب الشيخ الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم، م.س، ص 21.

² الغزالي، علاء محمد: السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي، ضمن ندوة العطاء الفكري، ص 184.

³ موقع الشيخ محمد الغزالي على الشبكة العنكبوتية <http://www.alghazaly.org>

⁴ الغزالي، يوسف: الغزالي رجل الدعوة، ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 209.

أم القرى، لا سيما طلاب الدراسات العليا، بالإضافة إلى معاونته للمسؤولين عن الجامعة، وإسهاماته في مجالس الجامعات الأخرى، ومع أجهزة الدعوة المختلفة بالمملكة¹.

كما كان الشيخ يُدعى دائما إلى المؤتمرات الشبابية والطلابية في أوروبا وأمريكا، وكان له دور رائد في أكثر المؤتمرات، وكان يعزى إليه فضل نجاح كثير من المؤتمرات، ويمثل مواقع رئيسة في إدارتها الفكرية².

¹ الغزالي، يوسف: الغزالي رجل الدعوة، ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 209.

² عويس، عبد الحليم: الشيخ الغزالي مراحل عظيمة في حياة مجاهد، م.س، ص 18.

المطلب الرابع: اللقاءات

تعددت اللقاءات التي أجريت مع الشيخ محمد الغزالي، فقد زار الشيخ عشرات الدول مشاركاً في مؤتمراتها، وندواتها، ولقد اشتهر في لقاءاته بعلمه الغزير، وأفقه الرحب، وقلمه السيل، وعباراته المتدفقة، وحماسه المخلصة، وجرأته في عرض ما يقتنع به، وتشخيصه الدقيق لأمراض الأمة، ومهارته في الدفاع عن الحق الذي يعتقده، وتقريع المخالفين له، وحدته في مواجهة الخصوم وأعداء الإسلام.

وكان يدرس الواقع وعينه على المستقبل، ينبه إلى المخاطر، ويوجه إلى الواجبات، لم يعبأ بمغرم، ولا صده مغرم، وما تقرب من سلطان، وأتاحت له وسطيته القبول النسبي عند بعض الرسميين، مما أتاح له فرصة الظهور على شاشات التلفزة، وفي الإذاعات، فأقام منهجه على تربية العقل بحسن التفكير، وتربية القلب بحسن الإيمان، وتربية السلوك بحسن الخلق.

وزار الشيخ كما أسلفنا، معظم الدول العربية، والعديد من الدول الإفريقية والآسيوية والأوروبية والأمريكية، للمشاركة في نشاطات الدعوة الإسلامية.

قرر المعهد العالمي للفكر الإسلامي تنفيذ مشروع، لتسجيل خبرات جملة من أعلام العصر، وخلاصة تجاربهم في الحياة، بالصورة والصوت، على أن يتم استخلاص تلك الخبرات والتجارب، بلقاءات علمية مكثفة، يقوم بها أساتذة محاورون أكفاء، بعد دراسة مستفيضة في تراث من يجري الحوار معه وإنتاجه العلمي، وتقرر البدء بالشيخ الغزالي، وجمعت كتب الشيخ، وقدمت لمجموعة من أفضل المفكرين لدراستها أولاً، وليقوموا بمحاورة الشيخ في أفكاره، ويتتبعوا مسيرة حياته العلمية والفكرية، ويبرزوا جوانب من مقومات شخصيته ومكوناتها، وقد ناهزت هذه التسجيلات المصورة على خمس عشرة ساعة، تعرض بالتحليل

والحوار أهم جوانب حياة الشيخ الحافلة، ولعل من أهم ما ورد فيها أنها عالجت "ما وراء" فكر الشيخ.¹

ويرى الباحث أن المطالع لآثار الشيخ محمد الغزالي، من مؤلفات ومقالات ومحاضرات وخطب ولقاءات، يستشعر بسعة أفقه، الذي يطل به على مختلف فروع العلوم. فهو يعد من أكبر مفكري الإسلام وكتابه في عصره.

¹ العلواني، طه جابر: كلمة رئيس التحرير، مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص11.

المبحث الثالث: الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الشيخ محمد

الغزالي

إذا كان الإنسان ابن بيئته، فإنه لا محالة يتأثر بها، ويؤثر فيها باستمرار، لهذا تمثل البيئة إحدى أهم وأبرز وأقوى المؤثرات في حياة الإنسان، بما يترسخ في نفسه من تصورات، ويصقل في شخصيته من طباع، ويتبلور في مواقفه من تصرف وسلوك. والبيئة على اختلاف أنماطها، وجوانبها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، كانت من أهم المؤثرات على اهتمامات الشيخ الغزالي، وتوجهاته الفكرية المختلفة.

المطلب الأول: الحالة السياسية

تميزت البيئة السياسية المصرية قبيلاً مولد الغزالي سنة 1917م بمجموعة من الأحداث، فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م " وتولى منصب المندوب السامي بمصر هنري مكماهون¹ فاجتهد لحشد جميع موارد البلاد لا للدفاع عن القناة وجبهة سيناء فحسب، بل لشن حرب هجومية على الأتراك في فلسطين، وأرسلت جموع المصريين للعمل في تلك الجبهة، فأصابها شواظ من نار الحرب الدائرة، ولم تعد الأجور المرتفعة تغري الفلاحين بالتطوع، فعمدت السلطة إلى تجنيد العمال، والفلاحين بالقوة، وتخلي مكماهون عن منصبه لريد جنالد ونغت² حاكم السودان

¹ هنري مكماهون هو المندوب السامي لبريطانيا في مصر، تقلد هذا المنصب عند قيام الحرب العالمية الأولى، لكنه وأمام مقاومة المصريين له، وانشغال الحكومة البريطانية في لندن عن مساعدته وإعانتته، تخلى عن هذا المنصب. طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر "دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ط1، ص230.

² ريد جنالد ونغت، خلف مكماهون في منصب المندوب السامي لبريطانيا في مصر، وهو الذي أعلن فرض الحماية البريطانية على مصر سنة 1914، بعد أن كانت قد احتلتها سنة 1882م. طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، م. س، ص 232.

العام السابق، فأعلن هذا أن سيادة تركية على مصر زالت، وأن مصر وُضعت تحت الحماية البريطانية¹.

وهكذا أشرك المصريون في الحرب ليزوقوا من ويلاتها، ويتحملوا من أوزارها، وكانت آلام مصر متمثلة في " تسخير العمال في الأشغال، والحركات العسكرية، واستعمال المرافق العامة لدرجة العطل، وتحويل المدارس إلى مستشفيات، ومزاحمة الشعب في غذائه، والتحكم في أسعار القطن"². ونتيجة لهذه الأوضاع الصعبة والمعقدة، التي أضحت قدراً محتوماً على المصريين، بدأ الإحساس بضرورة التخلص من هذا المحتل يتبلور، وخاصة عندما ظهر سعد زغلول³، وحظي بتأييد الجماهير له على ضرورة مطالبة المحتل بالرحيل التام عن أرضه، " وعندما قامت السلطة في 8 مارس 1919م بالقبض عليه هو وزملائه، ونفيهم إلى جزيرة مالطة، التهمت الثورة في الأرياف، والمدن"⁴.

وقد رسخت في ذهن الغزالي بعض الصور عن هذه الثورة، التي امتدت حتى قرينته، ورسمت في مخيلته صورة سلبية للمحتل الإنجليزي، إذ قال: " برزت إلى الدنيا في كبوة من تاريخ الإسلام، وأيام كئيبة، كان الإنجليز فيها يحتلون مصر، كما احتلوا أقطارا فيحاء من أرض الإسلام الجريح، وأذكر أن قرينتي الصغيرة "تكلا العنب" محافظة البحيرة شاركت في الثورة العامة ضد الإنجليز،

¹ طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، م.س، ص. 232.

² طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، م.س، ص.233.

³ (1273 _ 1346 هـ، 1857 _ 1927 م) سعد بن إبراهيم زغلول، زعيم نهضة مصر السياسية وأكبر خطبائها

في عصره، ولد في إبيانة بمصر، وتوفي أبوه وهو في الخامسة، حصل على إجازة الحقوق من الأزهر واشتغل بالمحاماة، ثم قاضياً، فمستشاراً، وتولى وزارة المعارف، انتخب سنة 1919م رئيساً للوفد المصري للمطالبة بالاستقلال، فنفاه الإنجليز إلى مالطة، فأصبح اسمه رمزاً للنهضة القومية. الزركلي، خير الدين: الأعلام، م.س،

ج3، ص 83

⁴ طربين، أحمد: م.س، ص.231.

وقطعت أسلاك الهاتف، وأعلنت التمرد، وجاءت فرقة من جيش الاحتلال، وعسكرت أمام أحد المساجد، واستخفى الناس في البيوت، وقتل أحد الفلاحين الذين لم يلتزموا بتعليمات منع التجول¹.

وإذا كانت السيادة التركية قد أزيلت عن مصر سنة 1914م، فإنها أزيلت عن العالم الإسلامي بأسره سنة 1924، وهو أخطر وأعظم حدث عرفه العالم الإسلامي، يقول الشيخ الغزالي: " والقرن الذي ولدت فيه من أسوأ القرون التي مرت بديننا الحنيف، لم أبلغ سبع سنين حتى كان المرتد التركي مصطفى كمال² قد رمى بالخلافة الإسلامية بالبحر، نعم كانت شبحاً لا روح فيه، بيد أن هذا الشبح كان مفزعاً لأعداء الإسلام، وإذا كان مغمى عليه تحت هويّ المطارق على أم رأسه، فمن يدري؟ قد يستيقظ فجأة، ويستأنف نشاطه المخوف، فموته أجدى على أعداء الإسلام³ .

وفي سنة 1948 شهد الغزالي حدثاً سياسياً آخر، تمثل في " محنة ديسمبر 1948م حين صدر قرار حل جماعة الإخوان، ومصادرة ممتلكاتها، والتكيل بأعضائها، واعتقال عدد كبير منهم، وانتهى الأمر باغتيال الحكومة جهرة لمؤسس الجماعة، ومرشدها الأول الإمام حسن البنا⁴ .

ولما كان الغزالي أحد أعضاء جماعة الإخوان، فقد سجن مع الكثير من إخوانه في "سجن الطور" قرابة العام، ذاقوا خلالها ألم الفراق عن الأهل والأحباب، وحرموا من حريتهم، لكن كل ذلك لم يزد الغزالي إلا إصراراً على مواصلة مشوار الدعوة، إذ فيما يرويّه الشيخ يوسف القرضاوي، الذي

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص155.

² مصطفى كمال أتاتورك، (1881 – 1938 م) ولد في سالونيك، قاد حركة المقاومة العسكرية والسياسية ضد معاهدة سيفر التي تضمنت بنوداً سلخت بموجبها عن تركيا أراضي واسعة، وتمكن من طرد القوات اليونانية عن الأراضي التركية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، كما ألغى الخلافة العثمانية الإسلامية سنة 1924م، وأصبح رئيساً لجمهورية تركيا، أدخل الحروف اللاتينية في اللغة التركية. الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989م، ط2، ج1، ص27.

³ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص156.

⁴ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص16.

شارك الغزالي في هذه المرحلة السجن في معتقل الطور قوله: " كان الغزالي بعد خروجنا من المعتقل أواخر سنة 1949م هو اللسان الأول الناطق باسم الدعوة إلى الإسلام، والحامي الأول عن حرماته ومفاهيمه"¹.

وبعد ثورة ال1952، وبعد سلسلة من الأحداث والوقائع، كانت الحملة الشرسة، والهجمة العنيفة ضد الإخوان المسلمين، الذين تعرضوا للسجن، والتعذيب بوحشية لا مثيل لها، وهمجية لا نند لها، وفي هذه الأثناء كان للغزالي ولغيره من الإخوان المسلمين نصيباً من السجن، والتعذيب، والإهانة. وفي ذلك جاء قوله: " لعلي من أخف أهل الإيمان عذاباً مع أنني اعتقلت، وأهنت على عهد فاروق، وعهد عبد الناصر. إن الله رحم ضعفي، وحمى عيني في الوقت الذي كان فيه المئات، والألوف يتعرضون لعذاب تشيب من هولته النواصي. أزهدت فيه أرواح كثيرة، وخرجت منه جماهير بعاهات، وذكريات رهيبة، وقد ترك ذلك في نفسي جنوحاً إلى كراهية الظلم، ومحبة الحرية، وتجاوباً مع كل صيحة تقدر حقوق الإنسان، وتصون كرامته"².

على الرغم من قصر الوقت الذي قضاه الشيخ الغزالي في السجن، إلا أنه عندما خرج منه، كانت صور كثيرة قد انطبعت في ذهنه، وأوقات حزينة قد توطنت في نفسه، جعلته يزداد إصراراً على استرجاع الحرية، وتمسكاً بالمسار الذي شقه منذ البداية، وهو خدمة الإسلام.

ولم تكن الاعتقالات التي نفذها جمال عبد الناصر ضد الإخوان المسلمين آخر الأحداث السلبية في تلك الفترة، بل تلتها أحداث أسوأ منها، تمثلت في حرب 1967م، التي مثلت أعظم هزائم عبد الناصر، الذي قال عنه الغزالي: " إن جمال عبد الناصر لم يكسب معركة قط إلا المعركة التي أدارها ضد إخوانه، وضد الإسلام، وضد كرامات الناس"³. وإذا كان جمال عبد الناصر قد مات في 1970/9/28م، فإن الغزالي يعتبر " جمال عبد الناصر قد مات سنة 1967، وإذا كان قد تأخر

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص20.

² الغزالي، محمد: الحق المر، نهضة مصر، القاهرة، ط2، 2000، ج3، ص249.

³ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص221.

سنتين عن ترك هذه الدنيا، فإنه على أية حال ورث العرب عاراً تسود له الوجوه، وورث اليهود نصراً لم يحلموا به يوماً، وورث المسلمين مشكلات أعقد من ذنب الضب"¹.

إن آلام الغزالي ما انفكت تزداد يوماً بعد يوم، وهو يرى كيف أن الهزائم والمصائب، تحل على المسلمين، وتجعلهم يتراجعون إلى الوراء باستمرار، ويتركون الصدارة لغيرهم، لا لسبب إلا لأنهم وضعوا مصائرهم بين أيدي ضعيفة لا تبصر الحق حقاً، وبوفاة جمال عبد الناصر تولى أنور السادات الحكم بعده، فتميزت فترته بحملة من الإجراءات أبرزها: "إفراجه عن المعتقلين، وإعلانه بدء سيادة القانون، ومحاربه لمراكز القوة في العهد الناصري"². وهكذا برز جو من الحرية كفل للمصريين التعبير عن آرائهم، ووجهات نظرهم في النظام السابق. فانطلقت الأقلام تكتب الحقائق المكبوتة، والصحف تنشر الوقائع المطموسة.

وفي هذا الجو مضى الغزالي يواصل مشواره الدعوي كإمام خطيب في الأزهر، ثم في جامع عمرو ابن العاص الذي شهد نوعاً من الانتعاش، فأصبح يستقطب عشرات الألوف من المصلين، الذين شدتهم خطب الغزالي القيمة، التي كانت زاخرة بالحقائق عن واقع الإسلام، وكل ما يحاط به من الدسائس، والمؤامرات، وكانت هذه الخطب بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، وزجت بالغزالي إلى الخطوط الحمراء التي كان النظام يحظرها عليه، وعلى أي إنسان آخر، فقرر الغزالي في هذه الأثناء ترك وطنه، والسفر إلى المملكة العربية السعودية ما دام النظام في بلده قد ضاق به ذرعاً، وبات يهدده بشتى الوسائل والأساليب.

بعد هذا العرض الموجز لأهم أحداث وجوانب البيئة السياسية التي نشأ الغزالي وعاش فيها، يتضح مدى تأثيره الكبير بها. فالغزالي ونتيجة الظروف السياسية الصعبة التي اكتتفت حياته، ولازمت مشواره الدعوي، وما جرته عليه من التعذيب، والسجن، والإهانة، كل ذلك انعكس على حياته .

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص.224.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص.61.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

لقد ارتبطت البيئة الاجتماعية بالبيئة السياسية في مصر إلى حد بعيد، واتسمت الفترة التي عايشها الغزالي بأوضاع اجتماعية متردية في الغالب، إذ أن المجتمع المصري كان مجتمعاً طبقياً، تسوده طبقة الأغنياء، وهم المالكون للأراضي، وطبقة الفقراء، وهم إما ملاك صغار أتقلت الضرائب كاهلهم، وأصبح همهم الوحيد تحصيل لقمة العيش، وإما أجراء لدى كبار الملاك يكدحون رجاء سد جوعهم.

وقد تميزت أحوال المجتمع المصري عموماً بانتشار الفقر، والمرض، والأمية، لا سيما في الأرياف التي تحدث عنها الغزالي بقوله: "الماء؟ إنه عكر يشربه الناس، ويشربون معه شتى الجراثيم، فهو للارتواء والذاء معاً، والخضرة؟ إن هذه الزروع اليانعة يمضي في ظلالها المستأجرون الهلكى، أو الملاك المدينون، وعلى ملامحهم من غبار الأرض قتام حافل بالندى من المستقبل المريب، تلك هي حال الريف، حال المستودع الذي تأخذ منه الدولة الرجال والأموال، وتترك أسباب الفناء تعمل فيه عملها الشنيع، فإذا تركت الريف إلى المدن، وجدت مظاهر الرخاء، والنعمة منتشرة هنا وهناك، ولكن حظ المصريين في هذا كله ضئيل، إذ أن الميادين والشوارع الكبرى تكاد تكون وقفا على رؤوس الأموال الأجنبية"¹.

أما عن أحوال المجتمع المصري، في ظل مختلف التغيرات الدولية الحاصلة آنذاك، فقد عرف نوعاً من التحلل، والتفكك في أوساط الطبقة الغنية بسبب انفتاحه على الغرب، وتأثره بعاداته وتقاليده، سيما في فترة الحرب العالمية الثانية 1939م-1945م، وعلى الرغم من أن المجتمع المصري قد تأثر بالغرب منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م-1801م، وشهد مجازاة وتقليدا لعادات الغرب، إلا أن المجتمع المصري في هذه الفترة الحرب العالمية الثانية " قد ازداد تأثره وانقياده للنمط الغربي بشكل كبير، فقد انتشرت حانات الخمر، ودور الملاهي الليلية، ودور السينما، والمسارح الليلية، وكثر الاهتمام بالمراقص، ودور البغاء. وهكذا طبع المجتمع المصري بطابع لم

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر، القاهرة، 1998، ط2، ص129، 130.

يعرفه من قبل، ولم يعتد أن يسير عليه، وما ذلك إلا لاختلاطه بتلك الأجناس الغربية، التي وفدت عليه في غفلة من الزمان، وإن شئت فقل في غفلة من المسلمين، الذين ظلت أنظارهم عند مواطني أقدامهم، حتى غزوا في عقر دارهم، وفرض المستعمر عليهم عاداته وتقاليده، بأسلوب أو بآخر، والويل للمغلوب"¹.

وهكذا تقاسم المجتمع المصري بطبقتيه أوضاعاً اجتماعيةً مزرية، فالطبقة الغنية انغمست بالملذات والشهوات، وذابت في النمط الغربي السافر عن طريق التقليد الأعمى له. والطبقة الفقيرة عانت من الجوع، والفقر، وقاومت الفناء بأقصى ما أوتيت من قوة. وقد شهدت الفترة التي سبقت ثورة 1952م تحولاً ملموساً في الحياة الاجتماعية المصرية إذ " ظهرت على مسرح الحياة الطبقة المتوسطة، وظهرت كثرتها وقوتها، وبرز الاهتمام بها، وذلك بسبب كثرة العمال، والمصانع. وأدخلت الحكومة مياه الشرب النقية للقرى، وخصصت الضريبة على صغار الملاك، وكان لكل هذا صدى في الحياة الاجتماعية. وبدأ المصريون يُبذرون في محيط الحياة الاجتماعية، ويتقهقر النفوذ الأجنبي"².

وبنجاح ثورة 1952م، عرفت الحياة الاجتماعية المصرية، تطوراً تجلّى في تخلصها النهائي من الاحتلال والإقطاع، وكل ما ورثه في المجتمع من طبقيّة واستغلال، إلا أن الأيام التي تلت ذلك لم تكن ترضى للمصريين بأن يهنأوا بحياة العدالة والمساواة، إذ أن الحكم الذي سير البلاد وقادها، أصبح دكتاتورياً استبدادياً، سواء في عهد عبد الناصر أو السادات.

ونتيجة لهذه التحديات التي ما فتئت تجابه المجتمع المصري، وتحول بينه وبين حياة الرخاء، والحرية، والمساواة، فإن الغزالي الذي عايشها وتفاعل معها، وأحس بما أضمرته من سوء وجور تأثر بها كثيراً، مما دفعه إلى رفضها، وفضحها في مختلف كتبه التي كانت سلاحاً على أعداء الإسلام. فقد رفض الطبقيّة ودافع عن المساواة، ودعا إلى العمل والإنتاج في كتاب " الإسلام والأوضاع الاقتصادية"، ثم هاجم الاستبداد، واستعباد الحكام لشعوبهم في كتابه " الإسلام والاستبداد

¹ الغريب، رمضان خميس: الشيخ الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم، م.س، ص 161.

² الغريب، رمضان خميس: م.س، ص 164، 165.

السياسي"، و " فذائف الحق"، كما أنه فضح مؤامرات الأعداء الذين عملوا بجد لنشر الانحلال الخلفي، والتفسخ القيمي، والتحلل الاجتماعي في الأوساط المصرية والإسلامية، من خلال عدة كتب، أبرزها " ظلام من الغرب"، و" الغزو الثقافي يمتد في فراغنا"، ناهيك عن تصديه لكل أنواع الغزو التي تحاول النفاذ إلى قلب العالم الإسلامي، متخذة صوراً وعبارات شتى الشيوعية، والرأسمالية، والعلمانية، والتبشيرية. مؤكداً أن هذه الأنماط الغازية للعالم الإسلامي، هي التي جرت به إلى ميدان التخلف، وأن الإسلام هو الكفيل الوحيد بضمان حياة اجتماعية يسودها العدل، والمساواة، والتعاون، ويملؤها عالم القيم، والأخلاق، والفضائل.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية

إن الحديث عن البيئة الثقافية التي عايشها الغزالي، وتفاعل معها، يبدأ من مجال التعليم، لأنه يمثل عصب الحياة الثقافية، واللبننة الأساسية لنمو الفكر، والإبداع الثقافي والحضاري لدى كل المجتمعات.

لقد شهد التعليم في مصر منذ 1882م تاريخ الاحتلال الإنجليزي لمصر مجموعة من الإجراءات التي اتخذتها بريطانيا بغية تعطيل مساره، "والقضاء على ما تبقى من مشروعات محمد علي¹ التعليمية، فأوقفت البعثات إلى الخارج تماما سنة 1895م، وجعلت اللغة العربية لغة أجنبية في المدارس المصرية، ثم ألغت التعليم المجاني في أغلب المدارس، فلم تعد نسبة ما تتفقه الدولة على التعليم يتجاوز 1%، وهذا في الفترة الممتدة بين سنة 1900م و1906م، كما أن اللغة الانجليزية أصبحت سنة 1906م اللغة الوحيدة للتعليم الابتدائي بنسبة 100%، ووصلت في التعليم الثانوي إلى نسبة 96%، وفي التعليم العالي إلى 76%".²

ولم تكن هذه الإجراءات المتخذة من قبل بريطانيا بدون هدف تصبو إلى تحقيقه، أو خط تعترم المضي في إطاره، بل لقد "كانت سياسة الاحتلال في التعليم تقتضي وضع مناهج أساسها أوليات القراءة والكتابة للشعب، وتعليم متوسط لعدد محدود من أبناء مصر، ولا داعي لأكثر من ذلك، فالانجليز يتكفون بالفنيين، والمعلمين من الدرجة العليا"³.

¹ (1181 - 2265هـ، 1770 - 1849م) محمد علي باشا بن ابراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب. الجابي، بسام عبد الوهاب، معجم الأعلام، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ، 1987م، ص 761.

² طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، م.س، ص 229، 228.

³ طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، م.س، ص 229.

لكن ثورة 1919م كانت بمثابة عهد جديد للثقافة المصرية، إذ كان من نتائجها أن " انطلقت نهضة واسعة، وجهود مكثفة لإحياء اللغة العربية من جديد، وإعادتها إلى موقع الصدارة، وبتربسيها بين مختلف شرائح المجتمع المصري، وعرفت المؤسسات التعليمية تزايد وتيرة البناء، والتشييد للمدارس، ومجانية التعليم. كما أن مصر شهدت نهضة في مجال بناء الجامعات عبر مختلف المدن المصرية، فقد حظيت الإسكندرية بجامعة الملك فاروق، وحظيت عين شمس بجامعة إبراهيم، كما حظيت أسيوط بجامعة محمد علي، أما الأزهر فإنه نال عناية كبرى بفضل صدور قانون إصلاحه سنة 1930م، وصدور القوانين المكمل له سنة 1936م، 1937م، 1938م، وبمقتضاها أصبح للأزهر معاهده وكلياته، ودخلت إصلاحات كثيرة في مناهجه، مما مكنه من القيام بنهضة عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية، واللغة العربية"¹.

ولما كان الغزالي في هذه الفترة فترة إصلاحات الأزهر طالبا به، فقد لمس ثمرة هذه الإصلاحات في الدراسة، وفي المنهج المتبع قائلًا عنها: " هي دراسة حسنة لا يجوز وصفها بأنها دينية خالصة، فإن العلوم المدنية كانت لها أنصبة محترمة، والمنهج الذي ارتبطنا به كان من وضع الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهو من مدرسة الشيخ محمد عبده الإصلاحية، وأعتقد أن هذه الفترة من أزهى فترات التألق العلمي في الأزهر"².

وموازاة مع النهضة التي عرفتها اللغة العربية، والتعليم بمختلف أطواره، كانت الساحة الإعلامية المصرية تشهد " نهضة صحفية كبرى، شملت الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية العامة، والمتخصصة، كما شملت المجلات الشهرية، وكانت الصحافة مستقلة أحيانًا، وتابعة للأحزاب أحيانًا أخرى، وقد تنافست هذه الصحافة لرفع المستوى الفكري، والسياسي بين الجماهير. ويمكن القول بأن مكانة الصحافة قبل ثورة 23 يوليو أعظم بكثير من مكانتها بعد هذه الثورة، سواء في ناحية العدد، أو الحرية، أو روعة التحرير، والأداء"³.

¹ شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ط3، ج9، ص52.

² الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص160.

³ شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، م.س، ج9، ص53.

وأما مجال الكتب فقد انتعش، وشهد تزايداً كبيراً في دور النشر، والطباعة، والترجمة، مما أثرى الساحة العربية بعناوين كثيرة، ومتنوعة من الكتب القيمة المليئة لمختلف رغبات وحاجات القراء. لكن البيئة الثقافية المصرية التي شهدت نهضة حقيقية في هذه الفترة شملت مختلف مجالاتها وجوانبها، شهدت عدة معارك وهجمات استهدفت في أغلبها الدين الإسلامي، والثابت الراسخ في عقيدة التوحيد. وقد تعددت الجهات والقواعد الخلفية لهذه المعارك، وهذه الهجمات، بين العلمانيين، والملحدين، والشيوعيين، والتغريبيين، والماديين، الذين وإن اختلفت منطلقاتهم، ووسائلهم، فإن أهدافهم اتحدت لضرب الإسلام، وزعزعة كيانه¹.

وهنا برز الغيورون على دينهم، وحملوا لواء الدفاع عنه، والذود عن حماه، فكان الغزالي واحداً منهم، جابه هذه الجبهات بانقاداته، وردوده القيمة التي أودعها في كتبه الكثيرة. ومنها كتاب " من هنا نعلم "، و" دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين "، و" الغزو الثقافي يمتد في فراغنا "، و" صيحة تحذير من دعاة التنصير"، كما أن الغزالي رفض بشدة، وجابه بقوة، المشروع الذي رعته جيهان زوجة الرئيس أنور السادات والذي كان يرمي إلى تغيير قانون الأحوال الشخصية في مصر بما ينافي تعاليم الإسلام الحنيف².

ومما شهدته الغزالي من تحديات فكرية وثقافية، رده على كل الأطراف التي سعت إلى سلب المرأة المكانة الراقية التي منحها إياها الدين الإسلامي، فكان كتابه " قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة "، إنصافاً للمرأة مما يتجاذبها من الكبت والتقييد، أو التفسخ والتحلل³.

وهكذا تبدو ملامح البيئة الثقافية المصرية التي عايشها الغزالي، متراوحة بين الانقباض، والتمدد، وبين التشدد، والانفراج. والذي يظهر بجلاء فيها، هو تفاعل الغزالي معها، وتأثره بها، وبكل ما حملته بين جنباتها من الأحداث، والوقائع، وتأثره بها كان يتجسد في مواقفه الجريئة، وكتاباته

¹ شلبي، أحمد: م.س، ص54.

² البيومي، محمد رجب: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، م.س، ص 405.

³ الغريب، رمضان خميس: الشيخ الغزالي حياته وآثاره، م.س ص35.

الشجاعة، التي كانت تلقى التأييد، والإقبال لدى الجماهير العريضة. على العكس تماماً من موقف السلطات العليا التي كانت كثيراً ما تصادر كتبه، وتمنع نشرها وتداولها بين القراء، لعلمها بمدى فعاليتها، وتأثيرها عليهم¹.

وخلاصة القول فإن الشيخ الغزالي كان متأثراً، ومؤثراً فيما حوله، متفاعلاً مع مختلف الأحداث التي شهدتها، ومستفيداً من أغلب التجارب التي خاضها، أو لمحها.

¹ الغريب، رمضان خميس، م.س، ص 37.

المبحث الرابع: الشيخ محمد الغزالي وحركة الإخوان المسلمين

المطلب الأول: الدعوة من خلال حركة الإخوان المسلمين.

المطلب الثاني: الشيخ محمد الغزالي والإمام حسن البنا.

المطلب الثالث: الشيخ محمد الغزالي وحسن الهضيبي.

كان الشيخ الغزالي من أوائل الأعضاء البارزين، في جماعة الإخوان المسلمين، وكان مقرباً للشيخ حسن البناء، وقد أطلق عليه الإمام حسن البناء لقب (أديب الدعوة)¹، وقد اعتبر اختلافه مع المرشد الثاني حسن الهضبي وفصله من الجماعة عام 1953م، بعد سبعة عشر عاماً من العمل داخلها، أهم الأحداث في حياة الغزالي، وفي أوائل الخمسينيات، عمل في مجال الحركة الإسلامية دون انتماء لجماعة من الجماعات.

المطلب الأول: الدعوة من خلال حركة الإخوان المسلمين

يعتبر العام 1937م هو العام الذي تعرّف فيه الشيخ محمد الغزالي على حركة الإخوان المسلمين، وأصبح عضواً فيها، وذلك عندما التقى بمرشدهم الإمام حسن البناء، وهو العام الذي التحق فيه بكلية أصول الدين، فبدأت بذلك أهم تحولات حياته الفكرية والعملية.² ولقد تكثف نشاط الغزالي في صفوف الإخوان، بعد تسلمه لوظيفته كإمام في مسجد العتبة الخضراء، وهو ما يؤكد إذ يقول: " في هذا المسجد، وفيما تلاه من ميادين عمل، كانت لي صفة مزدوجة، فأنا من رجال الإخوان المسلمين، وأنا من علماء الوزارة، ولم أكتف بأشعر بخرج ما في المزج بين الصفتين: الرسمية والشعبية. وانضم إلي ذلك أنني أنتسب إلى تخصص الدعوة والإرشاد، فضممت صفة ثالثة، صفة طالب يستطيع القيادة لزملائه"³.

وقد حدث أن الغزالي، حين كان يزاول تخصص الدعوة والإرشاد للحصول على درجة التخصص في التدريس، إلى جانب عمله في الخطابة والإمامة، أنشأ اتحاداً لإعادة التشريع الإسلامي، وسار في هذا الاتحاد خطوات كبيرة، دون أن يستشير المرشد الأستاذ حسن البناء، يقول في ذلك: " لما انتظمت في تخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين، عنّي لي أن أولف اتحاداً لإعادة التشريع الإسلامي، يزاحم الاتحادات الطلابية الأخرى، ويظهر أن الأرض كانت ممهدة، فسرعان ما

¹ عمارة، محمد: الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص31.

² عمارة، محمد: الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص29.

³ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص179.

اكتسحنا الساحات الأخرى، وأخذنا نوزع ألوف المنشورات لنبلغ غايتنا، طلبنا مقابلة رئيس الوزراء، وكان مصطفى باشا النحاس، للتفاهم معه، فحدد لنا الرجل موعداً ضحى أحد الأيام، ودخلت أتقدم زملائي، فرأيت الباشا متجهماً، فقلت له: إنك تحكم بلداً يصدر تراخيص الزنا، ويفتح حانات الخمور، ويحل ما حرم الله، وقدمت له مطالبنا، فأخذها ورمى بها في وجهي، وكان معه الشيخ محمد البناء، وكيل الوزارة للشؤون الدينية، فقال بأدب جم: مهلاً يا رفعت باشا، أنهم يطلبون بعض الإصلاحات الاجتماعية التي تفكر فيها والتي سبق أن كلمتني عنها، وأخذ ورقة المطالب وانسحب إلى غرفة أخرى.

وبعد جدال ممل انصرفنا، وعلم الأستاذ المرشد بما وقع، فاستدعاني ولامني على تأليف الاتحاد، وعلى السير به إلى هذه المرحلة، وأفهمني أن منهج الإخوان وحده هو الموصل للهدف المنشود، وإن طال المدى، ومن الخير أن أكرس جهودي كلها له، وتم الوفاق على ذلك، وأنهينا التشكيل الذي صنعناه.

استأنفت العمل ناشطاً راعياً في ميدان الدعوة، وسرني أن الأستاذ المرشد العام جعلني سكرتيراً لمجلة الإخوان المسلمين، فكنت أكتب كثيراً، تارة بتوقيعي، وتارات بتوقيعات أخرى، وكنت أتردد على مكنتي بانتظام، وأجمع بين عملي في المسجد وعملي في التحرير¹.

وجمّع الغزالي للوصفين الشعبي والرسمي بحكم منصبه وانتمائه لجماعة الإخوان كان يتيح له أن يتكلم في مختلف المحافل والمساجد. وقد كان يجتهد إذا تحدث في أمر ما أن يستوفي عناصره التعليمية، وأن يربطه بالمناسبات العابرة على نحو معقول، وأن يجرّد كلامه من أي زلفى للحاكمين، وأن يضمّنه تصريحاً أو تلميحاً ما ينصف به دينه ويسترضي ربه².

وكان الغزالي يكتب في مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، في باب ثابت تحت عنوان (خواطر

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 182، 183.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 187.

حرة)، ويكتب في التاريخ تحت عنوان (صحائف المجد)، وكان يخوض من خلال هذه الكتابات معركة ضد الظلم الاجتماعي، والامتيازات الطبقية، والفوارق الاقتصادية الفاحشة.

وقد ظهر له في هذه الفترة كتابه البكر (الإسلام والأوضاع الاقتصادية)، وهو أول ما دخل به ميدان التأليف، وهو في مقتبل شبابه.

ثم ظهر له بعد ذلك كتابه الثاني في نفس الاتجاه: (الإسلام والمناهج الاشتراكية). وكتب جملة مقالات في مجلة (الإخوان)، ضمها فيما بعد كتابه (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين).

وكان الشهيد سيد قطب قبل الانتماء إلى جماعة الإخوان قد أصدر مجلة (الفكر الجديد)، وهي مجلة ثورية تعنى بالمسألة الاجتماعية، وتستلهم الإسلام، ولم تستمر أكثر من بضعة أشهر، وكان الغزالي أحد كتابها¹.

ظل الغزالي على هذه الحال، من العمل الدائب في حقل الإمامة والخطابة والكتابة، حتى "جاءت محنة ديسمبر 1948م، حين صدر قرار حل جماعة الإخوان، ومصادرة ممتلكاتها، والتكيل بأعضائها، واعتقال عدد كبير منهم، وانتهى الأمر باغتيال الحكومة جهرة لمؤسس الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا"².

وقد كان الغزالي "واحداً من عدد محدود من قادة الجماعة الذين أوصاهم الشيخ البنا قبل استشهاده بحمل أمانة قيادة الإخوان"³.

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 11، 14.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 14

³ عمارة، محمد: الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، م.س، ص 14.

ولم تمر هذه المحنة دون أن يكتوي الغزالي مع ألوف من أفراد الجماعة بنار الاعتقال والتعذيب، حيث تم اعتقاله ووضع في معتقل الطور بصحراء سيناء، حيث قضى قرابة العام،

ويروي الغزالي أطوار الإعتقال، وكيف كان يفكر في ذلك الحين، فيقول: " تذكرت ليلة أخرجت من سجن درب الأحمر، وفي معصمي قيود الحديد، ووضعت مع عشرات من أمثالي في سيارة بضاعة، وكعوب البنادق تدق بين أكتافنا حتى لا نحدث جلبة يستيقظ عليها أهل القاهرة النائمون، لقد رفضت ليئنثذ أن أقاد صامتاً إلى مصير مجهول، فشقت الصمت السائد بالتكبير العالي، وأهبت بمن معي أن نزعج النيام بهتافنا، مما انهال علينا من ضرب وسب، لكن القاهرة كانت يسوسها حفنة من الطغاة الفجرة الذين يسرقون الحكم من ذويه ثم يلعبون به كيف يشاءون"¹.

وفي المعتقل أدى الغزالي دوراً بارزاً في توعية المعتقلين وتوجيهه وقيادتهم، حيث كان يؤمهم في الصلوات، ويخطبهم في الجمعة، ويدرسهم في الحلقات، في صحبة أخيه ورفيق دربه الشيخ سيد سابق. وكان يلقي محاضرات في موقف الإسلام من استبداد الحكام، والتي كانت نواة لكتاب أصدره بعد ذلك، وهو (الإسلام والاستبداد السياسي).

وبعد استدعاء الأستاذ البهي الخولي إلى القاهرة من المعتقل لمحاكمته في قضية أخرى في إطار النظام الخاص، اختار الإخوان الغزالي أميراً عليهم في المعتقل، برغم أن في المعتقلين من هو أكبر منه سناً. فكان الغزالي يطالب بحقوق المعتقلين، ويعمل على استخلاصها لهم من حكام المعتقل، وقد قاد مرة مظاهرة هادرة أرغم بها حكام المعتقل على أن يسلموا للمعتقلين المقررات الجافة من الأطعمة ليتولوا هم طبخها وتوزيعها بمعرفتهم².

ولم يكن وجود الغزالي في المعتقل، كوجود أي معتقل آخر، يرى أنه مقبوض عليه ومقيد عن أي تصرف أو تفكير في شيء آخر، بل كان يفكر في زملائه وأوضاع أمته، تفكيراً يشغله عن التفكير

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والاستبداد السياسي، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1380هـ، 1961م ط2، ص6.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص16.

في نفسه وأسرتة. ومما يرويه الشيخ عن مشاعره ورؤاه وهو داخل المعتقل، قوله " كنت أرسل الطرف، فأقرأ في الوجوه معاني شتى، إنهم جميعا مختطفون، هذا تاجر مختطف من ماله، فهو لا يدري عنه شيئاً، وهذا موظف مختطف من عمله وأوقف مرتبه كذلك، وكلاهما محزون الفؤاد، لأنه لا يعرف أين زوجته؟ وأين أولاده؟ في المآقي عبرات منعها التجمل أن تسيل، فهي جامدة لا ينتهي ما يبعثها ولا ينقضي ما يحبسها، وإذا شغلنتهم أنفسهم عن أهليهم، وانحصروا في مشاكل حاضرهم عن ماضيهم، غمرهم شعور المذلة بأنهم قلة، وأن ثمن حياة الواحد منهم بضعة مليمات، هي ثمن الرصاصة التي يقتل بها، هكذا قيل لنا في الطور، ورأيت رجالا نبلاء يتخلفون عن صلاة الجماعة، لأن الخروق كثرت في الأسمال التي يرتدونها، وشيوخا معذبين، حكى لي أحدهم أن أبناءه وأزواج بناته اعتقلوا جميعا. حيث كانت الخطة الموضوعة ألا يكون في البيت رجل"¹.

ولقد كان الشيخ الغزالي يدرك وهو في معتقل الطور أن ما حل بالإخوان المسلمين، كان لهم بعض التسبب فيه، لأنهم لم يحسنوا استغلال الظروف التي أتتحت لهم. وقد أحزنه أنهم لا يعترفون بخطئهم، ويرون أنهم على صواب، وأن ما أحاط بهم محض ابتلاء لا يد لهم فيه، وفي هذا يقول: " كان ظني أن الإخوان بعد مقتل مرشدهم، وحل جماعتهم، في ظل استبداد مسعور، سوف يستفيدون من التجربة، ويستبقون في مصر ضمانات الكرامة الإنسانية، ومعالم الحريات العامة، أفذلك وقع؟ كلا، لقد مشى الأمر في طريق آخر. وقد أحزنتني وأنا في الطور أن الإخوان عموما يرفضون أي اتهام لسياستهم، وقد قلت: إنه بعد هزيمة أحد وقع اللوم على البعض من الصحابة، فلماذا لا نفتش في مسالكننا الخاصة والعامة، فقد يكون بها ما يستدعي التغيير، وما يفرض تعديل الخطة؟ لكن هذا التفكير لم يلق ترحيباً"².

وبعد خروج الإخوان من المعتقل أواخر سنة 1949م، أصبح الغزالي " هو اللسان الأول الناطق باسم الدعوة إلى الإسلام، والمحامي الأول عن حرمانه ومفاهيمه. فهو يسطر المقالات الممتعة في مجلة (المباحث) التي استأجرها الإخوان، لتعبر عن رسالتهم، ويؤلف الكتب التي تخاطب عقل

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والاستبداد السياسي، م.س، ص5.

² الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص188.

المسلم وقلبه، وتعمل عملها في إيقاظ الوعي الإسلامي العام. وهو يقف بالمرصاد لكل متناول على قيم الإسلام وأحكامه، ليرسل عليه شواظاً من نار، مسلحاً بقلم لا يصدأ، ولا يفلى، ولا يستكين¹.

وفي هذه الفترة صدر له عدد من الكتب المهمة، كان أشهرها كتاب (من هنا نعلم)، وهو كتاب في الرد على كتاب (من هنا نبدأ) للشيخ خالد محمد خالد، الذي كان صديقاً للغزالي من قبل. كما صدر له كتاب آخر في الرد على كتاب ألفه أحد الأقباط يتحامل فيه على الإسلام، وكان كتاب الغزالي بعنوان (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) ألفه بتكليف من الأستاذ حسن الهضبي، مرشد الإخوان حينئذ.

لقد كان لكتب الغزالي في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ مصر في عهد الملكية، دوراً هاماً في إيقاظ العقول، وتنبيه القلوب، وإذكاء المشاعر، وتهيئتها للثورة على الأوضاع الظالمة².

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 17.

² القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 18، 19.

المطلب الثاني: الشيخ محمد الغزالي والإمام حسن البنا

في السنة الأخيرة من مقام الشيخ الغزالي في الإسكندرية، التقى بالإمام حسن البنا، ويصف الغزالي هذا اللقاء فيقول: " كنت جالسا في مسجد عبد الرحمن بن هرمز بحي رأس التين، أقرأ وردي القرآني، وانتظرت لأصلي المغرب وأخرج، فإذا رجل يقوم بعد الصلاة يلقي درساً جامعاً يتسم بالوضوح والتأثير والصدق.

قررت من يومها أن أتبعه، وأن أسير معه على درب واحد لخدمة الإسلام والمسلمين"¹.

طالت صحبة الغزالي لحسن البنا، منذ لقاتهما أول مرة، حتى استشهد الثاني سنة 1949م، وفي خلال هذه المدة الطويلة نسبيا نهل الغزالي من حسن البنا الكثير، وتأثر به تأثراً ظل يفتخر به حتى آخر أيام حياته، فقد اتصل به اتصالاً مباشراً، ورأى من دماثة خلقه وعظيم فضله، ما جعله يثق به ويتخذه مرشداً وقوداً، ويرتبط به غاية الارتباط، ويتأثر به كل التأثر.

ويصف الغزالي صلته بحسن البنا وتلمذته على يديه وما استفاده منه، فيقول:

"حسن البنا أستاذي الأول في ميادين كثيرة، وكنت وأنا طالب أستمع إلى محاضراته في القرآن الكريم، وأتأمل معه في النظرات التي كان يرسلها، وكنت أعود إلى بيتي فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات، حتى تجمع لدي كتاب في هذا الصدد، لكنه للأسف ضاع مني، لكن معانيه بقيت في ذاكرتي. واستفدت من الإمام الشهيد في طريقة التفسير التي تعتمد على المعاناة الخاصة والذوق الشخصي، وذلك لطول قراءته في كتاب الله وشدة ارتباطه به، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحي"².

¹ الغزالي، محمد، قصة حياة، م.س، ص164.

² القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته، نقلا عن مجلة الدعوة، غرة ربيع الاول 1415هـ، ص110.

ومما يذكره الغزالي عن أستاذه حسن البنا وخصاله الحميدة، قوله:

"حسن البنا كان صديقاً لكل من يلقي من أهل الإيمان، فتغمرك بشاشته عندما تراه وتشعر كأنك أصبحت صديقاً له أثيراً لديه، وكان يضمن بوقته على اللغو، فما تمر ثانية، ولا أقول دقيقة، إلا وهو يخدم الإسلام، بكلمة، أو توجيه، أو عمل نافع، أو دعابة لطيفة، تربط القلوب. وذاكرة حسن البنا كانت حديدية، وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء، والمعاني، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا، أو ذكرت له اسم إخوانك مثلاً، ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين لبادرك بالسؤال عن إخوانك، وناقشك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين، واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب، والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف، وربما عانق عاملاً يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها، فما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبه"¹.

ويعتبر الغزالي أن حسن البنا كان له تأثير كبير في الحياة الإسلامية المعاصرة، فيقول: "كان حسن البنا حيث حل يترك وراءه أثراً صالحاً، وما لقيه امرؤ في نفسه استعداد لقبول الخير إلا وأفاد منه ما يزيده صلةً بربه، وفقهاً في دينه، وشعوراً بتبعته نحو الإسلام والمسلمين.

والرجل الذي يشتغل بتعليم الناس لا يستطيع في أحيانه كلها أن يرسل النفع، فله ساعات يخدم فيها وساعات يتألق وينير. إن الإشعاع الدائم طبيعة الكواكب وحدها. وقد كان حسن البنا في أفقه البعيد من هذا الطراز الهادئ بطبيعته، لأن جوهر نفسه لا يتوقف عن الإشعاع.

سل الألوفا المؤلفات التي التقت به، أو التي أشرق عليها الرجل في مداره العتيد، ما من أحد منهم إلا وفي حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجيهات حسن البنا، أثر يعتز به ويغالي بقيمته، ويعتبره أئمن ما أحرز في دنياه"².

¹ الغزالي، محمد: خطب الغزالي، ج1، ص 14، 15.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص25.

وقد ظل الشيخ الغزالي محباً لحسن البناء، وفيّاً لبيعته، معترفاً بإمامته، ذاكراً لفضله، مشيداً بجهوده البناءة، والسباقة في سبيل البعث الإسلامي، منافحاً عن دعوته وسيرته إذا مسه أحد بسوء، ولما كتب العقاد في جريدة (الأساس) عن الأستاذ البناء ووالده وأسرته، وكان كلاماً سخيلاً متحاملاً، فقال الغزالي في غضب: أما والله لو كان لنا حرية التعبير، ومكناً من الرد، لاستطاعت أقلامنا الشابة أن تكسر تلك الأقلام التي شاخت في الضلال. وفي الذكرى الأولى لاستشهاد الإمام البناء، أصدر صالح عشاوي عدداً خاصاً من مجلة (الدعوة)، وكتب فيه الغزالي مقالاً بعنوان (غصن باسق في شجرة الخلود)، عبر فيه عن حقيقة مشاعره نحو المرشد الشهيد، الذي عاش حياته يسوق الناس إلى الله، ويحشدهم ألوفاً ألوفاً في ساحة الإسلام. وفي أكثر من مناسبة كتب عنه بمثل هذه الحرارة¹.

¹ القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص26.

المطلب الثالث: الشيخ محمد الغزالي وحسن الهضيبي

كانت علاقة الشيخ محمد الغزالي، بالأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين، علاقة طيبة في بداية الأمر، فقد كان الهضيبي يصطحب الغزالي معه في رحلاته الدعوية إلى الأقاليم، ويكلفه ببعض الكتابات الدعوية. وقد ظلت هذه العلاقة حسنة، حتى ظهرت ثورة 23 يوليو، وعجزت عن احتواء الإخوان الذين وقفوا إلى جوارها، وشدوا أزرها، وحموا ظهرها، فلجأت إلى محاولة الإيقاع بين قادة الجماعة، حتى يسوء ظن بعضهم ببعض، واستطاع جمال عبد الناصر أن يستغل بعض المواقف للاصطياد في الماء العكر. وهكذا استطاع أن يوقع بين قيادة النظام الخاص وقيادة الجماعة، حتى أدى ذلك إلى احتلال مجموعة من الشباب المتحمس المركز العام، والتمرد على قرارات القيادة المبايعة. كما استطاع أن يوغر صدور جماعة من القادة القدامى، حتى وقفوا مع هذا الشباب الثائر ضد قيادته، وكان من هؤلاء أربعة معروفون من خيرة الإخوان جهادا، وسابقة، وخدمة للدعوة، ومحبة لدى جماهير الإخوان، كان منهم الشيخ محمد الغزالي.

وفي هذا الجو الملبد بغيوم الفتنة المحبوكة، صدر قرار القيادة بفصل الأعضاء الأربعة من الجماعة. وبهذا بلغت الفتنة هدفها، وحققت مآربها.

وكان ذلك سببا إلى أن يهيج الغزالي ويغضب، فجعل يكتب عن سياسة الهضيبي، منتقداً هذه السياسة بعنف، وقد ظهر بعض ما كتبه في مجلة (الدعوة)، وفي كتابيه (في موكب الدعوة) و (من معالم الحق).

وقد كان خلاف الشيخ الغزالي مع الأستاذ الهضيبي، وقرار فصله من الجماعة، سببا في نجاته من الإعتقال أوائل سنة 1954م، وأواخرها.

ومع هذا حين تبين له طغيان عبد الناصر، وسوء موقفه من الإسلام، ومن دعوة الإخوان، وسمع ما سمع من التنكيل والتعذيب، الذي تجرع مرارته إخوانه في السجون والمعتقلات، وعن صلابة الأستاذ الهضيبي، وثباته في وجه الجبابرة، وأنه لم يحن لهم رأسا، ولم يوطئ لهم ظهرا، غير

موقفه من المرشد الهضيبي، ونوه بموقفه، وأشاد بإيمانه ورجولته، وحين أفرج عنه، سارع بالذهاب إلى منزله، ليهنئه ويصافحه بحرارة وإخلاص، وقد قابله المرشد بنفس الحرارة وروح الأخوة¹.

ويعلق الشيخ الغزالي على موقفه من أحداث هذا الخلاف، فيقول: " لقد اختلفت مع المغفور له الأستاذ حسن الهضيبي، وكنت حاد المشاعر في هذا الخلاف، لأنني اعتقدت أن بعض خصومي أضغنوا صدر الأستاذ حسن الهضيبي لينالوا مني، فلما التقيت به - عليه رحمة الله - بعد أن خرج من المعتقل، تذاكرنا ما وقع، وتصافينا وتناسينا ما كان، واتفقت معه على خدمة الدعوة الإسلامية، وعفا الله عما سلف. وأرى أن الأستاذ الهضيبي ، أثبت أيام سجنه أنه رجل صلب العود، متين الإيمان، وثيق الصلة بالله، وقد كنت وأنا خارج من السجن أنوه بثباته وتشريفه للدعوة، بعدم ضعفه أو استخذائه أمام من عذبه، بل اتسعت دائرة دفاعي حتى شملت جميع الأخوة، برغم ما كان بيني وبينهم من خلاف، فكنت أشد الناس حنوا عليهم، وإسراعا إلى مساعدتهم، وانتصارا ضد أعدائهم².

وبذلك ارتفع ما بين الرجلين من خصام ونفور، وعادت العلاقة بينهما كما كان ينبغي أن تكون.

والخلاصة فإن الشيخ الغزالي انضم في شبابه إلى جماعة الإخوان المسلمين وتأثر بمرشدها الأول الإمام حسن البناء، ومكث فيها سبع عشرة سنة، كان خلالها عضوا في هيئتها التأسيسية، ثم عضوا في مكتب الإرشاد العام، وحصل بينه وبين المرشد الثاني حسن الهضيبي سوء فهم أدى لفصله من الجماعة، لكن سرعان ما تم الصلح بينهما، وتم الاتفاق على خدمة الدعوة الإسلامية

¹ القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 37-43.

² شلبي، محمد، الشيخ الغزالي معركة المصحف في العالم الإسلامي، القاهرة، 1987م، ص 61-62.

الفصل الثالث: معالم الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية عند الشيخ محمد الغزالي

المبحث الثاني: مواقف الشيخ محمد الغزالي الفكرية

المبحث الثالث: الشيخ محمد الغزالي المربي

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نظرتة للكون والحياة

المطلب الثاني: نظرتة للإنسان

المطلب الثالث: نظرتة للمجتمع

المطلب الرابع: الوسطية.

المطلب الخامس: الأصالة والمعاصرة.

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية عند الشيخ محمد الغزالي

المطلب الأول: نظرتة للكون والحياة

الشيخ محمد الغزالي في نظرتة لهذا الكون، يدعو لاستعمال العقل، كما أن للعقل عنده مكانة متميزة، ولا يسمح لنفسه أن يخالفه، وهذا واضح غاية الوضوح فيما يتحدث به وفيما يكتب، يقول: "إنني بعقلي أدركت إن للكون سيذا أبدعه، ودبر أمره، وأيقنت أن هذا السيد واحد لا إثنان ولا ثلاثة".¹ ويوجه الشيخ الغزالي إلى التعرف على الله، من خلال آياته المبتوثة بالنفس والكون، فيقول: "ليس في تاريخ الثقافة الإنسانية كتاب ينشئ العقل المؤمن إنشاء، ويعرض آيات الله في الأنفس والآفاق لتكون ينباع فكر يتعرف إلى الله، ويستريح إلى عظمتة كما وقع في هذا القرآن".²

فالعقل عند الشيخ الغزالي له مجال يعمل فيه، وهو المجال الكوني، والأمور الدنيوية البحتة، من زراعة وصناعة وتجارة ونحوها، وله عنده مكانة مرموقة، وهو أعظم ممن الله على الإنسان، فيقول: "إن العقل أنفس مواهب الرحمن عند الإنسان، يستطيع الإنسان أن يعرف النافع من الضار، والحسن من القبيح، والسفه من الصواب، وقد وردت في القرآن الكريم ثلاثمائة آية تتحدث عن العقل ووظائفه وطرقه في الفهم والاستنتاج والحكم، لكن إذا كان العقل هو المكلف بالإيمان والإحسان والعدل والرحمة، فإن هذا هو العقل الذي يمتاز به الإنسان، ومن عجائب لغتنا أنها سمّت العقل بأسماء عجيبة، سمّته النهى جمع نهية، كأن وظيفة العقل أن ينهى الإنسان عن الإسفاف، وسمّته الحجر، كأن وظيفته أن يحجر على الإنسان إن ضل، وسمّته العقل، لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، فالعقل هو الحبل الذي تقيد به الإبل والدواب حتى لا تشرذم، وقد رأيت وأنا أتلو القرآن الكريم كلمة تستوقف الأنظار، وينبغي أن نتريث طويلا أمامها، وهي كلمة أولي الأبواب، ومعناها أصحاب العقول، وكأن اللب هو العقل وما عداه قشر، يطير مع الريح لا وزن له، وقد تكررت هذه الكلمة ست عشر مرة، ولا أعرف كتابا أعلى من قدر العقل، وجعل أمته أمة الحضارة

¹ الغزالي، محمد: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، ص 103.

² الغزالي، محمد: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، دار الشروق، القاهرة، 1989م، ط6، ص129.

وهم على بعد مئات الأميال منها تساءلوا: من يمسكها في مكانها؟ وأتساءل معهم: من يمسك الماء على سطحها، وهو أربعة أخماس الكرة؟ لماذا لا ينساب في الجو؟ لأن الله جعل الأرض كفاتا¹، تجذب كل قطرة إليها، أي لطافة سارية في طباق البر والبحر تقوم بهذا الصنيع الباهر؟².

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يحث سائر البشر على تأمل الكون، ويدعوهم إلى إمعان النظر فيه، وإمعان الفكر في ملكوت الخالق، وصنعه العجيب الفريد، لأن إعظامهم لهذا الخلق هو إدراك لعظمته وقدره خالقه، ومن ثمة زيادة الإيمان به، قال تعالى: M* + , - . /

G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0

وبالتالي مفتاحا لإدراك عظمة البارئ الذي أبدعه⁴.
L O N M L K J I H³، فيكون التأمل في الكون مفتاحا لإدراك عظمته،

والقرآن الكريم يقرر هذا الجانب جانب إدراك عظمة الخالق بجانب آخر، هو دعوته للبشر جميعا إلى استغلال الكون، والانتفاع بما أودعه الله عز وجل فيه، ومدى ضرورة الاستمتاع بكل ما سخره تعالى لهم، ومكنهم به من خدمة أنفسهم، يقول تعالى: M: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ

وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَنْفَكِرُونَ ﴿٥﴾

¹ انظر تفسيره لكلمة (كفاتا) التي وردت في سورة المرسلات، وأنها الجاذبية الأرضية، الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، م.س، ص 494.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 494.

³ سورة الجاثية: 45 / 3، 4، 5.

⁴ الغزالي، محمد: الجانب العاطفي من الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط3، ص 36.

⁵ سورة الجاثية: 45 / 12، 13.

وهذا إنما يدل بوضوح على الارتباط الوثيق بين إدراك الإنسان لحقيقة الكون، وأسرار نواميسه، وانتفاعه بمختلف عناصره، ومخلوقاته من جهة، وإيمان بخالقه مبدع كل ذلك من جهة أخرى، فإن " الهيمنة على قوانين الكون، كما تنفع الإنسان في الحياة مادياً، فهي تقدره على إعزاز عقائده والدفاع عنها، وما تأخر المسلمون، وذلوا أمام أعدائهم، إلا لتخلفهم في هذا الميدان"¹. ويشير الشيخ الغزالي إلى الجمود والتقاعد والقصور عن الدراسات الكونية الذي اتخذته المسلمون ديناً لحياتهم اليومية فيقول: " إنه أمر مثير للعجب أن يعيش جمهور المسلمين من بضعة قرون، لا يعرفون عن الكون شيئاً يذكر، وأن تكون علوم ثانوية في ثقافتهم الخاصة والعامة، وأن يكون التعرف على أسرارها، وقواه شيئاً كمالياً، خفيف الوزن عند البعض، وضرباً من اللغو والعبث عند البعض الآخر"².

وأما نظرة الشيخ الغزالي للحياة فإنه يؤمن بأن الإسلام كل لا يتجزأ، وأنه الدين الشامل لكافة ميادين الحياة، والنظام الوحيد القادر على ضمان السير المتوازن، والمعتدل لاحتياجات الجسم والروح معاً، فهو يقوم على إنصافهما، ومنحهما الحق الطبيعي لنمو سوي، ومتكافئ للوصول إلى الهدف المنشود، وهو عمارة الأرض، والسبيل إلى ذلك هو التدين الحقيقي الذي قال عنه: " التدين الحقيقي إيمان بالله العظيم، وشعور بالخلافة في الأرض، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة، أعني السيادة على عناصر الكون، وقواه، التدين الحقيقي ليس جسدا مهزولاً من طول الجوع، والسهر، ولكنه جسد مفعم بالقوة التي تسعفه على أداء الواجبات النقال، مفعم بالأشواق إلى متاع الحياة، فإن كان حلالاً طيباً ارتفعه، وابتهج به، وإن كان كسباً خبيثاً ابتعد عنه، وهو قادر عليه"³.

¹ الغزالي، محمد: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، م.س، ص 387.

² الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط7، ص20.

³ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، القاهرة، ص22-23.

ويرى الشيخ الغزالي أن الموقف السلبي الذي تبناه مسلمو القرون المتأخرة تجاه الحياة، كان سبباً لتخلفهم الحضاري، ويؤكد رأيه هذا من خلال الموازنة التي أجراها بين القرآن الكريم ككتاب يحمل بين ثناياه نظاماً متكاملًا للحياة، ومنهجاً متوازناً للوجود، وبين المسلمين كأمة تحيا واقعاً متأخراً، وتعيش أوضاعاً مزريّة، فبينت له هذه الموازنة، أن هناك شرخاً كبيراً بين الاثنين، وأن هذا الشرخ قد يصل في أوقات كثيرة إلى حد التناقض، والتنافر بينهما.

المطلب الثاني: نظرتة للإنسان

الشيخ الغزالي تناول الطبيعة الإنسانية، وتحدث عنها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فتحدث عن خلق الإنسان، وتكريم الله له، والحكمة من خلقه واستخلافه في الأرض، كما تحدث عن مكونات الإنسان من الجسم والروح والعقل، وما يخص كل منهم بالتربية. ثم تحدث عن النفس وأنواعها، كما تناول البيئة المحيطة بالإنسان.

فيرى أن الله عز وجل خلق الإنسان، وكرمه على سائر المخلوقات، حيث يقول: " إن الإنسان في القرآن الكريم كائن مكرم، مفضل، محترم، هذه ناحية، متصل بالتكريم المادي للإنسان، ومن ناحية ثانية متصل بكيانه المعنوي، فالإنسان نفخة من روح الله الأعلى، وهكذا بدأ خلق آدم، وهكذا تتخلق الأجنة في بطون الأمهات، قال تعالى: { م ت U V W X Y Z } | { ~ } ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُم مِّن دُونِهَا

مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾¹، والإنسان بهذه النفخة كائن جديد، يعلو فوق ما يشبهه من ضروب الحيوان²، ينضم إليه أمر آخر، هو عظيم الدلالة على مكانة الإنسان والحفاوة به، وهو الفرح الإلهي بعودة الإنسان التائب إلى الله، وتجاوزه عما بدر منه خطأ، وينضم إلى التكريم والفرح ناحية ثالثة، هي التكليف بأن يفعل ويترك³.

ويؤكد الشيخ الغزالي على الحكمة من خلق الإنسان، حيث يقول: " إن الإنسان مكلف بعبادة الله، لا يعبد به بشبهه المحدود، وجسمه المادي القاصر، إنما يعبد بتطويع طاقاته كلها لله. إنه يضع بصماته المؤمنة على الأرض، حتى إذا سجد سجد معه زرعا وضرعا وحديدها وذهبها"⁴.

¹ سورة السجدة: 32 / 7، 8، 9.

² الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 9 - 10.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 10.

⁴ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 19.

إذن الحكمة من خلق الله للإنسان، أن يعرف المؤمن ربه، ويعبده حق العبادة، ولذلك جعله الله خليفته في الأرض، وسخر له كل شيء، والتأمل في القرآن الكريم، يميّط اللثام عن وجه الحق في قيمة الإنسان ووظيفته، ومنزلته، ورسالته، فالإنسان في القرآن الكريم خليفة الله في أرضه، وقد تكررت قصة خلافته في كثير من السور، متضمنة أن الله جعله سيداً يطاع ويكرم، ومتضمنة أن من يتجرأ على إهانتها، ويتمرد على مكانته، ليس بأهل لرحمة الله وبره، ومن هنا حكم على إبليس بالطرد والهوان، وما نزلت به هذه العقوبة إلا بسبب مخاصمته لآدم¹.

فالإنسان بدأ حياته بطبيعة مزدوجة، نفخ من روح الله داخل غلاف من طين، عنصر روحي، وعنصر مادي، نزعة أرضية وأخرى سماوية، يقدر على الاستقامة، ويقدر على الانحراف، ويساعده على هذا أو ذاك ما في البيئة من طباع، وفي القرآن طباع حسنة يجب تلميحها، وأخرى رديئة يجب أن نراقبها ونحاسبها، ولقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر الطبائع الرديئة التي ينبغي الخلاص منها، فالإنسان أناني يحب نفسه وحسب، والإنسان نسائي أو غافل، والإنسان محتال كبير في الدفاع عن نفسه، والتماس الأعذار لأخطائه، وهذه الطبائع جميعاً مزلق لمن يسترسل معها، وقد نبه القرآن الكريم إلى أمراض شتى تعترى النفس، فقد يبطر مع الغنى، ويظغى مع السلطة، ويقنط مع الفشل، وقد يستحلي من شهوات النساء والرياء والاستعلاء ما يمليه عبداً لنفسه وهواه، والفكاك من هذه الآثام ميسور، فقد ذكر القرآن أسباب النجاة N M L K J M ZY X WV UT S RQPO²، ولكن الإنسان يبرأ من هذه العلل، إذا قام بجملته العبادات المفروضة³.

وكما اهتم الشيخ الغزالي بالعقل الإنساني كمكون من مكونات الإنسان، فقد أشار إلى مكونات الإنسان الأخرى كالجسم، والروح، والقلب، أما الجسم فإن التربية الجسمية تحتل مكاناً كبيراً في فكره، وخاصة بعدما انتشرت بعض الأفكار المغلوطة التي تدعو إلى الجوع، أو ترك التداوي، أو

¹ الغزالي، محمد: نظرات في القرآن الكريم، م.س، ص 51.

² سورة المعارج: 70 / 19، 20، 21، 22.

³ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 15-16.

إهمال الجسد، بحجة الزهد، فنجدّه يدعو إلى الاهتمام بالتربية الجسمية، والاعتدال في الطعام والشراب، والاعتدال في تصريف الطاقة الجنسية، كما أمر الله بالاهتمام بصيانة الجسم، من غسل الأسنان وغيره، فيقول عن نظافة الجسم وتجميله والعناية بالصحة " إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها، من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته... وبداية كرم الله البدن، وجعل الوضوء شرطاً للصلاة، على أن الإسلام لم يدع أمر الغسل الكامل للظروف التي تفرضه فرضاً، فقد يتكاسل بعض الناس عن الاغتسال، لذلك وقت الغسل المندوب يوماً في كل أسبوع، وقد ندب إلى الوضوء قبل الطعام وبعده، كما دعا إلى تخليل الأسنان والعناية بها، كما أمر بالسواك عند كل صلاة، وأمر بإكرام الشعر، إن الأناقة في غير إسراف، والتجمل في غير صناعة، وتزويق وإحسان الشكل بعد إحسان الموضوع من تعاليم الإسلام"¹، وفي سبيل المحافظة على الصحة " من أجل ذلك حارب الإسلام المرض، وشرع أسباب الوقاية بالنظافة الدائمة، فإذا وقع الإنسان في برائن المرض، وجب عليه أن يتعالج منه، ويلتمس الأدوية، كما نهى عن التبول في الماء الجاري، ودعا إلى الحجر الصحي إذا ظهر مرض معد في بلد ما"².

ولم يفيض الشيخ الغزالي في الحديث عن الروح، كما تحدث عن العقل والقلب، وسبب ذلك أن القرآن الكريم أخبر M وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ L³ ، إننا لا ندرك كنه الروح ولا سر الحياة في المادة، ولا نحتفي بأوهام الروحية المادية الحديثة المزعومة، ولا نشرح هنا مذهباً معيناً عن علاقة الجسد بالروح، وإنما نحدد تحديداً حاسماً طبيعة الحياة المؤمنة ومسلكها، إن الإيمان بالحاضر والكفر بالبعد، الإيمان بالجسد والكفر بالروح مرفوض تماماً⁴.

¹ انظر الغزالي، محمد: خلق المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط10، 2005م، ص 139-143.

² الغزالي، محمد: م.س، 145-147.

³ سورة الإسراء: 17 / 85.

⁴ الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 55-56.

وأما القلب فإن الشيخ محمد الغزالي يوضح أن المقصود بهذا اللفظ هو الضمير المسؤول عن تصرفات الإنسان، وليس تلك المضخة للدم، يقول: " لا نقصد بدهاءة بالقلب العضلة أو المضخة بتعبير الأطباء التي تدفع الدماء في العروق، وتقوم بدورها في صيانة الحياة المادية لا القلب هنا يقصد به ما يسمى في عصرنا الحديث بالضمير الذي يشرف على الكيان المعنوي للإنسان M : ; < = > ? @ DCBA E F LG¹، لقد حارب الإسلام الهوى في سبيل إقامة قلب سليم، أحيانا أنظر إلى قوانين كثيرة، وتشريعات كثيرة، فأجدها لا تجدي في ذلك، والسبب أن الإنسان الذي لا قلب له لا ضمير له، والأهواء تسيطر عليه، أما فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية فهي خيرة دائما أم شريرة دائما؟ أم ماذا؟ فإن الشيخ الغزالي يقول: " وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى M 98 : ; < = > ? @ DCBA E F LI H G²، فالمعروف في الإسلام أن الفطرة الإنسانية خلقت سوية مستقيمة، وأنها لو بقيت على أصل الفطرة ما فسدت، ولا أشركت، فالعوج الذي يلحقها طارئ لا أصيل، ومعنى فألهمها فجورها وتقواها، أي بين لها الخير والشر، وقيل جعل فيها فجورها وتقواها، أي هي قابلة للبقاء على طبيعتها، وقابلة للتغيرات التي تهب عليها، فتديرها على غير محورها، ولذلك قال تعالى M 5 LA @ ? > = < ; : 98 76³، فالإسلام وهو فطرة الله في النفس، يريد حماية الإنسانية من هذا التدني"⁴.

¹ سورة الشعراء: 26 / 88، 89.

² سورة الشمس: 91 / 7، 8، 9، 10.

³ سورة الكهف: 18 / 28.

⁴ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، دار الشروق، ص 165-168.

المطلب الثالث: نظرتة للمجتمع

(1) نظر الشيخ محمد الغزالي للمجتمع الذي يعيش فيه، نظرة إشفاق ورحمة، وكان تركيزه منصبا على معالجته لأمراض وجروح المجتمع العامة والمنتشرة بشكل كبير، ولم يشغل نفسه يوما ما بالفرعيات، فكانت حملته على الذين ينشغلون بترقيع الثوب، والجسد تسيل منه الدماء، فالذي يطالع كتب الشيخ الغزالي، يشعر للوهلة الأولى أنها تحمل عاطفة الأم على وليدها المريض، الذي تخشى أن يفترسه المرض، وكتاباتة كانت تواجه التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء¹.

(2) ولقد جأر الشيخ الغزالي في وجه التيار العلماني الذي حاول سلخ المجتمع عن عقيدته وشخصيته المتميزة، كما كانت له صولات وجولات في مقاومة الزحف الأحمر والمد التصيري، وفي كتابه (فقه السيرة) يلخص دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في بدايتها تحت عنوان: إلام ندعو الناس؟، يقول: "سور القرآن التي نزلت بمكة تبين العقائد والأعمال التي كلف بها عباده وأوصى رسوله أن يتعهد قيامها ونماءها، وأول ذلك الوحدانية المطلقة الدار الآخرة تركية الأنفس حفظ الجماعة المسلمة باعتبارها وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون"².

(3) وتحت عنوان: كيف ندعو إلى الإسلام؟ يحكي الشيخ أنه دخلت عليه فتاة لم يعجبه زيها أول ما رآها، لكنه لمح في عينيها حزناً وحيرة يستدعيان الشفقة والرفق بها، وعندما بثت شكواها علم الشيخ أنها فتاة عربية لكنها تلقت تعليمها في فرنسا، فلا تكاد تعلم عن الإسلام شيئاً، فأخذ يشرح لها حقائق، ويرد شبهات، ويجيب على أسئلة، ويصف لها الحضارة المدنية بأنها تعرض المرأة لحما يغري العيون الجائعة، ثم انصرفت إلى سبيلها، ودخل بعدها شاب عليه سمات التدين، يقول للشيخ في شدة: ما الذي جاء بهذه الخبيثة إلى هنا؟ فقال له الشيخ في رفق: إن الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء، فقال له الشاب: طبعا نصحتها بالحجاب؟ فقال له: الأمر أكبر من ذلك، هناك المهاد الذي لا بد منه، هناك الإيمان بالله واليوم الآخر، والسمع والطاعة لما جاء به الوحي في الكتاب والسنة، والأركان التي لا يوجد الإسلام إلا بها في مجال العبادات والأخلاق، فقاطع الشاب الشيخ

¹ حسنة، عمر عبيد، مقدمته لكتاب مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص10.

² الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 73، 74.

قائلاً: ذلك كله لا يمنع أمرها بالحجاب، فقال الشيخ في هدوء: ما سرني أن تجيء في ملابس راهبة وفؤادها خال من الله الواحد، وحياتها لا تعرف الركوع والسجود، فقاطعه الشاب مرة ثانية، فقال الشيخ في حدة: أنا لا أحسن جر الإسلام من ذيله كما تفعلون، إنني أشيد القواعد وأبدأ البناء بعدئذ، وأبلغ ما أريد بالحكمة، وجاءته الفتاة بعد ذلك بخمار على رأسها¹.

4) كما أن الشيخ الغزالي وفي علاجه لأمراض المجتمع، كان يدعو الناس إلى عدم تهويل التوافه وتهوين العظام، فالإسلام عقائد وعبادات، أخلاق وشرائع، ومن التقاء هذه الأنواع تتكون المعالم لمجتمع كامل، وجماعة قائمة، لا يغني فرض عن فرض، ولا نافلة عن نافلة، فكل تكليف له سره وله أثره². وقد رأى الشيخ الغزالي مرة بعض الطلبة والعمال يتواصلون بعدم تحية العلم، ويزعمون أن تحيته شرك، كما أفتى بعضهم بأن الموسيقى العسكرية ضد الإسلام، فقال لأحدهم: " إن العلم رمز لمعنى كبير، وهذا ما جعل جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة يقاتل دون سقوطه وتنقطع ذراعه، وهو يحمله ويحتضنه، ولم يزعم مغفل أن جعفر كان يعبد الراية المنصوبة، ولا يتصور عاقل أن يعبد متر من قماش، ثم إن الموسيقى العسكرية تضبط الخطوات، وتهيج المشاعر، وتعين على أداء الواجب، فلا مكان لخصومتها، ثم قال لهم: إنكم مولعون بتضخيم أشياء وتهوين أشياء دون ميزان يحقق العدل"³. كما أن الشيخ الغزالي كان يدعو إلى الاختلاط بالناس ومراعاة أحوال المجتمع، حيث كان يدعو الدعاة إلى أن يختلطوا بالناس، ويعيشوا معهم، فالعبادة الحقيقية لله أن تغرس الفطرة الإنسانية، وأن ندخل في حرب دائمة مع البيئة التي تريد تشويهها أو تغييرها أو تحريفها، فكل مولود يولد على الفطرة، والتقاليد الفاسدة والعقائد الزائفة، هي التي تتلقف الأجيال الناشئة، وتتحرف بها ذات اليمين وذات الشمال بعيداً عن حقائق الإسلام وصراطه المستقيم، فكيف نترك المجتمعات يستقر فيها الباطل، ويتلاشى منها الحق، ويحل الرجس محل الطهر، والكفر مكان الإيمان؟⁴، وكذلك مراعاة أحوال الناس حين عرض الدعوة عليهم وتقدير الفوارق بين السائلين

¹ الغزالي، محمد: الحق المر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط7، ج1، ص23-24.

² موقع الابتسامة على الشبكة العنكبوتية: <http://www.ibtesama.com>

³ الغزالي، محمد: الحق المر، م.س، ج6، ص50-51.

⁴ الغزالي، محمد: الحق المر، م.س، ج1، ص111.

لوصف العلاج المناسب يعد أكثر أهمية، ويشبه الشيخ الغزالي الداعية في ذلك بالطبيب الذي يراعي الفوارق البدنية والمرضية بين مريض وآخر، فطب الأرواح كطب الأجسام، علم وفن، فقد يصف الطبيب الغذاء الجيد لمريض بالسل، ولا يصف هذا الغذاء لمريض آخر لأنه مصاب بالسكر، إن الداعية إذا جهل الفوارق الفردية والنفسية والحية، ولم يدرك أسباب الداء وأصول توصيف الدواء، قد يسيء إلى الدين وإلى الناس، فيصف للإنسان المصاب بفقر الدم رياضة تقتله، ويصف للإنسان المصاب بضغط الدم علاجاً يزيد سوءه على سوء¹.

(5) وفي نظرة الشيخ الغزالي للمجتمع فإنه لم يهمل المرأة حتى أنه أفرد لها كتاباً كاملاً سماه (قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة) ولا غرو فأول من آمن على الإطلاق امرأة، وأول شهيد في الإسلام امرأة، وقد شهدت المرأة بيعة العقبة الكبرى، ودافعت أشرف دفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم²، إن التلطف مع الإناث والرفق بهن عند الشيخ الغزالي آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها، وهو أدب يبذل للنساء عامة، سواء كن قريبات أم غريبات، كبيرات أم صغيرات، ومع استقامة الفطرة الإنسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالي³. إن مجتمعا من المجتمعات لن تكتمل حياته إلا بشقيه الذكر والأنثى، ولا يتصور مجتمع صالح عندما تكون المرأة حيوانا يحسن تقديم الأكل والمتعة وحسب⁴، إن أي مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح، يرى المرأة جزءا حيا من مجتمع حي، فهي تتعلم وتتعبد وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد إذا شاءت في البر والبحر، وتؤخذ منها البيعة على معاهد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده⁵، ويرى الشيخ الغزالي

¹ الغزالي، محمد: من معالم الحق في كفاحن الإسلام الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط4، ص 193.

² أول من آمن بالإسلام خديجة بنت خويلد، وأول شهيد بالإسلام سمية بنت الخياط أم عمار بن ياسر، وأم عمارة نسيبة الخزرجية المازنية هي التي شهدت بيعة العقبة الكبرى ودافعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة أحد.

³ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان، م.س، ص 219.

⁴ الغزالي، محمد: هموم داعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ط6، ص 118.

⁵ الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، القاهرة، ص134.

أن أشرف وظائف المرأة، وأرقى أعمالها، أن تكون ربة لبيتها، ما لم تخرجها ضرورة ملجئة، لأن وظيفتها إنشاء الحياة وصيانتها وتعهدتها حتى تؤدي رسالتها كاملة¹.

¹ الغزالي، محمد، ركائز الايمان، م.س، ص239، الغزالي، محمد: مائة سؤال عن الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط4، ص404. الغزالي، محمد: الطريق من هنا، دار الشروق، القاهرة، ص128.

المطلب الرابع: الوسطية

الوسطية هي كل أمر اتصف بالخيرية والبيئية، وهي كل أمر وسط بين الإفراط والتفريط، فالوسط من كل شيء أعدل، وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان¹.

القارئ لفكر الشيخ الغزالي يتعرف على منهجه الوسطي، وعلى رحابة الآفاق التي يحملها، فما أن يذكر التجديد والوسطية حتى يتبادر إلى الذهن اسم الشيخ الغزالي، فهو أحد رواد الفكر المتجدد، فأراؤه الحكيمة التي يشهد لها الجميع بالوسطية والاعتدال، في تناوله لكافة قضايا وأمور الدين، ويظهر ذلك في اعتماده على نصوص من القرآن والسنة، وما زالت جموع الناس عند ذكر الوسطيين يتحدثون عن الغزالي².

ومن وسطية الشيخ الغزالي أنه يتصف بالتجرد وعدم الانحياز في كثير من آرائه وخاصة مع الأشخاص، فهو كثيرا ما يذكر الانحلال الغربي، ومع هذا يذكر أن القوم أصدق منا في كثير من الأمور، وأن ما توصلوا إليه كان نتيجة تخطيط وجهد وتعب، وشورى، وديمقراطية يعيشونها، يقول: "علينا أن نكشف الغطاء عن فريق من الدعاة الذين تكلموا عن الإسلام، واشتغلوا بعرض تعاليمه، فكان أسلوبهم في الفهم والعرض عونا على إنجاز الحركات المناوئة له، وإمدادها بقوى دفعتها للأمام، هذا الفريق إن كان مخلصا فيما صنع فهو يعيد إلى الأذهان قصة الدابة التي قتلت صاحبها، وهي تدافع عنه، وإن كان مغرضا يبطن للإسلام غير ما يظهر، أو يضمم لدعاته الأوفياء غير ما يجب، فالويل له من الله ومن الناس"³.

¹ الصلابي، علي محمد: الوسطية في القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، دار البيارق، بيروت، 1419هـ، 1999م، ط1، ص46.

² موقع الشيخ الغزالي على الشبكة العنكبوتية <http://www.alghazaly.org>

³ الغزالي، محمد: في موكب الدعوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ط4، ص14.

وقد تجلت وسطية الشيخ الغزالي في أنه شجع عطاء المرأة في خدمة المجتمع، والعمل خارج المنزل، وذلك عبر المشاركة في الأعمال التي تناسبها، مع التأكيد على أن وظيفة ربة بيت ووظيفة عظيمة، ولا تعارض أبداً بين المسارين، ولا توجد حاجة لأن نخير المرأة بين البيت أو العمل خارجه طالما أنها تستطيع الوفاء بحق الوظيفتين بصورة متوازنة¹.

لقد جاءت نظرات الشيخ الغزالي متفرقة في كتبه وخطبه، ولكنها تجتمع كلها تحت منهج عام بدأ فيه الغزالي منذ منتصف القرن الماضي وأخذ يوسع إطاره فيما بعد. يطالب هذا المنهج التربوي الوسطي بالاعتدال في استئناف نشاط المرأة في الحياة العامة بصورة شاملة، وبما يتناسب مع معتقداتنا الإسلامية، مع رفض قاطع للواقع العربي في حبس النساء، أو تقليد الغرب في التفسخ. واستخدم الشيخ الغزالي رؤية نقدية لنشر أفكاره التي حاول أن تكون معتدلة، فانتقد تقاليد الشرق المجحفة، التي لا تقل خطراً عن تقاليد الغرب المسرفة، وصورت كتاباته قصة ظلم المرأة بين مطرقة المغالين، وسندان المقصرين. شملت الحركة النقدية عند الشيخ الغزالي، تنقية الثقافة والأعراف من أفكار تحقّر المرأة، وتستهين بقدراتها، وتريد الإبقاء على ظواهر سلبية متعالية، تضخم مواطن الضعف الإنساني الأنثوي. لقد شاعت تلك المعتقدات بين الناس، وشوهت سمعة الإسلام. قرن الشيخ الغزالي حججه بدلائل عقلية وأسانيد نقلية، وحاول توجيه الجماهير نحو مراجعة النفس والتراث والواقع. من المؤكد أن كتاب (المرأة بين العادات الوافدة والراكدة) من أهم وأشمل كتب الشيخ الغزالي عن تربية المرأة، ولكن الكثير من المرتكزات الوسطية مكنونة في كتبه الأخرى، فما أوجزه في مكان، فصل فيه في مكان آخر².

¹ الكندري، لطيفة حسين، ملك، بدر محمد: تربية المرأة من منظور الشيخ الغزالي، م.س.

² الكندري، لطيفة حسين، وملك، بدر محمد: م.س.

ولقد عقدت مؤتمرات للتباحث حول فكر الوسطية الذي كان الشيخ الغزالي أحد رواده، حيث عقد بتاريخ 6 / 6 / 2009م في الجزائر الملتقى الدولي الخامس حول فكر الوسطية عند الشيخ الغزالي

1.

ولندع الشيخ يوسف القرضاوي تلميذ الشيخ الغزالي ورفيق عمره يتحدث عن وسطية الغزالي حيث يقول: " الشيخ الغزالي كان معروفاً بوسطيته، واعتداله وتسامحه، وعقلانيته، ولو خرج عن الوسطية يوماً فإنما يخرج عنها في اتجاه العقلانية، واتجاه التسامح، والتساهل، والتيسير.. الشيخ الغزالي كانت مهمته في الجزائر مقاومة التطرف، لو كان الشيخ متطرفاً ما دعت البلاد العربية والإسلامية إليها، كان يدعى في كل سنة في رمضان إلى قطر، وإلى الكويت، وإلى السعودية." ²

ولقد كان انتماء الشيخ الغزالي إلى جماعة الإخوان المسلمين لاتفاق منهجها مع رؤيته الشرعية الوسطية، والمدرسة الفكرية التي كان ينتمي إليها، والتي وصفها بأنها " تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية، والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كسوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ، ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة" ³

والشيخ الغزالي نفسه تحدث عن الوسطية، ووضح مفهومه لها قائلاً: " قديماً قيل: الفضيلة وسط بين رذيلتين، وسواء اطرد هذا القول أم لم يطرد، فإن الحقيقة تضيع بين الإفراط والتفريط، والناس يعانون كثيراً من الغلو الشديد، والإهمال البارد، والإسلام دين وسط يأمر الأمة بالالتزام الصراط المستقيم، ويحذرها من الخطوط المنحرفة يمينا والمنحرفة يسارا، والغلو في الدين قد ينتج عن خطأ في الفكر أو عوج في الطبع، وغالبا ما يزيغ عن الحق، وينتهي بالانسلاخ عن الدين الصحيح، لذلك

¹ موقع جزايرس على الشبكة العنكبوتية <http://www.djazairess.com>

² موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة العنكبوتية: <http://www.qaradawi.net>

³ الغزالي، محمد، إعداد قطب عبد الحميد قطب: خطب الشيخ الغزالي في شؤون الدين والحياة، م.س، ج1، ص14.

يقول الله تعالى لنبيه M ! " &% \$# ' (*) + , - .
0/ 1 2 3 4 5 6 7 8 9¹، إن الإسلام يجعل التوسط فضيلة
في شؤون الدين والدنيا جميعا² . ويضرب الشيخ الغزالي مثالا يبين مدى الخطورة بالإبتعاد عن
الوسطية فيقول: " في مجال العلم الديني رأيت أناسا متبحرين في المنقول والمعقول فلهم فقه واسع،
ومحفوظات كثيرة، لكن قلوبهم يشينها جفاف بالغ، تولى أحدهم القضاء، وقدمت إليه امرأة متهمّة
بالزنى، فما زال يستدرجها ويمكر بها حتى اعترفت له، وحكم برجمها، لأنها متزوجة، قلت: هذا
منهج يهودي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرشد المتهم ليفر من العقاب ويتراجع عن
قراره، ويتحايل عليه لينصرف آمنا، أما هذا القاضي فإنه احتال على المذنب ليقتله، ليس هذا
أسلوب الإسلام، والعلة أن جانبا آخر من الثقافة الإسلامية لم يصلح قلب الرجل فبقي معتلا.³

¹ سورة المائدة: 5 / 77.

² الغزالي، محمد: مائة سؤال عن الإسلام، م.س، ص 94، 95.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 96.

المطلب الخامس: الأصالة والمعاصرة

تقوم منظومة الفكر التربوي عند الغزالي على أساس احترام مبدأ الحرية، والاختيار والشورى الملزمة، واحترام الخلاف العلمي النزيه، والنقد النزيه، والتعددية الموضوعية، وهذه المفاهيم الأصيلة تتسجم مع مضامين مفردات التربية المعاصرة التي تدعو للاعتدال والشمول. من الواضح أن الغزالي بذل جهداً كبيراً ليحقق الأصالة والمعاصرة من خلال الحرص على فتح نوافذ فكرية للاستفادة من الدراسات المعاصرة مع الاستعانة بالمصادر القديمة.

لا ينفك الفكر التربوي عند الغزالي عن ربط الأصالة بالمعاصرة وذلك عن طريق استلهاهم النافع من محاسن تراثنا الإسلامي مع مواكبة الصالح من العلوم المعاصرة. أبرز الغزالي جهود أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وإسهامات عالقات الحديث النبوي الشريف، والمحسنات والمجاهدات لأنهن صنعن مجد الإسلام. دافع كذلك عن الإمام أبي حامد الغزالي فيصفه بالفيلسوف المربي، ويصف الإحياء بأنه " من أخصب المؤلفات في شرح آفات النفوس، وتقويم الطباع البشرية "1.

ويتجلى أخذ الشيخ الغزالي بمبدأ الأصالة والمعاصرة بموقفه من التراث الفقهي، فالشيخ الغزالي كان يقدر هذا المجهود التراثي العظيم الذي تركه الأئمة، غير أنه لا يعتبره مقدساً، فأخذ ما كان موافقاً لطبيعة عصرنا الذي نعيش فيه، ويرى أن الفقهاء اجتهدوا لعصرهم، وعلينا أن نسلك نهجهم، وأن نجتهد لعصرنا مع الاستفادة من التراث الزاخر².

وتعرض الغزالي في كل أو جل فقهه التربوي لكثير من المسائل الخلافية، وتميز بصراحة المواجهة، وسلامة المنهج فأنكر حكر الحق في المسائل الخلافية فالفكر الصائب لا يسير في ركاب طائفة معينة. إن رؤية الغزالي تجعل من الإيمان وإعمال العقل كتلة واحدة لمعالجة الثغرات دون تضخيم أو تعقيم. إن التربية المعاصرة تدعو للحوار والتسامح والإقناع وحق الاختيار وتوسيع مساحة الحرية بما لا يتعارض مع قطعيات الدين ومصالح المجتمع. تتضمن تربية البنات في

¹ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 117.

² موقع الشيخ الغزالي على الشبكة العنكبوتية: <http://www.alghazaly.org>

الإسلام الكثير من الترحيحات التي تتطلب الاجتهاد الناضج مما يتطلب مساحة من التسامح تسمح بالحوار العلمي، والاختيار الموضوعي، والنقد الذاتي. قد تكون بعض عبارات الغزالي قاسية أو غير دقيقة أحياناً عندما ينتقد مخالفه فيصف فقههم بالفقه البدوي، فتنحول عبارات التوضيح إلى سهام للتجريح. ولكن على ضوء الاستقراء نجد أن منهج الغزالي العام في الاجتهاد والاختيار يرحب بالتنوع ويرفض الوصاية الفكرية. الحاجة ماسة للإيمان بحرية الحوار البناء على الأقل بين الباحثين في دراساتهم كي يتقدم العلم بأفكار مستنيرة ولا يتقيد العقل فينكمش في قضايا هامشية وتشنجات فكرية. نشر الشيخ الغزالي ثقافة الحرية والحوار والاختيار فكان رائداً ومسانداً لعدد كبير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية ممن يبحثون عن أرضية دينية، لتوسيع نطاق الحريات في عالمنا العربي المكبوت وخاصة في موضوع تحرير المرأة من منظور التربية الإسلامية.

ومن الواضح أن الشيخ الغزالي بذل جهداً كبيراً ليحقق الأصالة والمعاصرة، من خلال الحرص على فتح نوافذ فكرية للاستفادة من الدراسات المعاصرة، مع الاستعانة بالمصادر القديمة¹.

والمتابع لمصادر الغزالي يجد الكثير من الأفكار التي استعان بها تستند إلى اجتهاد من اجتهادات الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء، وعادة يذكر الغزالي اسم الإمام الذي استفاد منه وذلك من باب الأمانة العلمية وأيضاً لتعزيز حجته، ولا شك أنه لم يتقيد بتقليد مذهب أو إمام معين.

قام الشيخ الغزالي في كتابه "جدد حياتك" بتأييد كثير من أطروحات "ديل كارنيجي" في أدب النفس والسلوك والتي توصل إليها بعد استقراء جيد لأقوال الفلاسفة ودراسات المرابين كما صرح الغزالي في مقدمة الكتاب. من المعلوم أن جمع غفير من علماء المسلمين المتخصصين في التربية الإسلامية لا يحفلون كثيراً بدراسات الغربيين في العلوم الإنسانية، فتأتي أبحاثهم التقليدية مليئة بالشواهد الدينية ومعزولة عن نتاج الحضارات الأخرى، وهو الأمر الذي جعل الغزالي يختم كتابه السابق بنداء لعلماء المسلمين حيث حذرهم من أن "قصر باعهم في علوم الحياة هو أبشع جريمة، يمكن أن ترتكب ضد الإسلام"².

¹ الكندري، لطيفة حسين، وملك، بدر محمد: تربية المرأة من منظور الشيخ الغزالي، م.س.

² الغزالي، محمد: جدد حياتك، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط9، ص 207.

المبحث الثاني: مواقف الشيخ محمد الغزالي الفكرية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موقفه في التعامل مع القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقفه من حديث الآحاد في السنة النبوية.

المطلب الثالث: موقفه من الاشتراكية.

المطلب الرابع: موقفه من الديمقراطية.

المطلب الخامس: موقفه من المرأة.

المبحث الثاني: مواقف الشيخ محمد الغزالي الفكرية

المطلب الأول: موقف الشيخ محمد الغزالي في التعامل مع القرآن الكريم

أمضى الشيخ محمد الغزالي حياة حافلة مع القرآن الكريم، حفظاً ودراسةً وتدبراً وتعاملاً، ونتعرف على ذلك في النقاط التالية:

أولاً: حفظ القرآن الكريم

بمجرد بلوغ الغزالي خمس سنوات، التحق العديد من زملائه لكتاب القرية، يحفظون القرآن، ويتعلمون جملة من مبادئ الحساب، والإملاء، حتى إذا أتم عشرة أعوام، حفظ القرآن الكريم كله، ويعود الفضل في ذلك إلى والده الذي بذل كل جهده من أجل التعجيل بحفظ ابنه للقرآن الكريم. هذا الوالد الذي كان بدوره حافظاً للقرآن الكريم، ولم يجد صعوبة في تحقيق أمله، وتنفيذ البرنامج الذي سطره لذلك، فقد أخذ يتعاون مع فقهاء الكتاب، على ألا يضيع ابنه الوقت سدى، وكان الابن " يحفظ حصته المقررة على الشيخ، ويضيف إليها حصة أخرى على والده"¹. وهكذا نجح برنامج الأب، وأوتي ثمرته يوم أتم الابن حفظ القرآن الكريم وهو طفل صغير.

إلا أن الشيخ الغزالي الذي تمكن في غضون خمس سنوات من حفظ القرآن الكريم، وجد نفسه بعد مدة قد نسيه تماماً، وفي ذلك يقول: " دخلت معهد الإسكندرية الديني عقب انتهاء مرحلة الكتاب، وبعد بضع سنين كنت قد نسيت القرآن كله، وضاعت جهود أهلي سدى"². فما كان منه إلا الإصرار على إعادة العلاقة بينه وبين كتاب الله عز وجل، والحرص على توثيقها من جديد قائلاً: " أدركتني نفحة من روح الله، فعزمت أن أمهر في القرآن مرة أخرى، وظللت أكافح في هذا السبيل

¹ المجذوب، محمد: الشيخ محمد الغزالي السقا، م.س، ص 18.

² الغزالي، محمد: نظرات في القرآن، م.س، ص 227.

نحو خمس سنين، خمس سنين طوال كنت اقرأ الربع نحو عشر مرات، ومع ذلك يعز علي حفظه، وكاد اليأس يخامرني، ولكنني صابرت الأيام، وتحملت العناء، ورجوت الخير¹.

وبهذا الكفاح تمكن الشيخ الغزالي من إعادة توثيق علاقته بالقرآن الكريم، بإعادة حفظه من جديد. وبهذا الحفظ ابتدأت الرحلة القرآنية التي صحبت حياته، بل طبعتها واستحوذت على لبه وظهرت على أعماله، وهو يقول عن ذلك: " لقد صحبني القرآن من طفولتي، وحفظته في سن العاشرة، وما زلت أقرأه وأنا في العقد الثامن من العمر"².

ثانياً: تدبر القرآن الكريم

بعد أن أتم الشيخ الغزالي حفظ القرآن الكريم، بقي لأمد طويل يتلوه وهو لا يعي معانيه، ولا يدرك حقيقة مضامينه، لأن حفظ الطفل بداهة ينصب على الشكل دون الموضوع، ويبني على الألفاظ لا على المعاني، ومع مرور الأيام والسنين، وتعمق الوعي الفكري لديه، ورسوخه في مختلف العلوم والمعارف، واكتسابه لرصيد لا بأس به من التجارب في شتى الميادين، أيقن الشيخ الغزالي مدى أهمية هذا الكتاب العظيم، وأدرك أنه ليس مجرد كتاب للتلاوة والتعبد فحسب، بل إنه الكتاب الوحيد الذي تمكن أتباعه بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إقامة أكبر وأعظم دولة وحضارة إسلامية، وبالتالي فإن هذه المكانة الكبيرة له، تفرض على أتباعه بعد تلاوتهم له، أن يتعهدوه بالدراسة والتدبر والتحليل، إيماناً منهم أن ثمرة التلاوة هي التدبر والتذكر، كما قال الله تعالى في وصف القرآن الكريم: M B C D E F G H I J L⁴³.

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 228.

² الغزالي، محمد: نحو تفسير موضوعي للقرآن، م.س، ص 5.

³ سورة ص: 38 / 29.

⁴ القرضاوي، يوسف، الغزالي كما عرفته، م.س، ص 111.

ولم تقتصر صحبة الشيخ الغزالي للقرآن الكريم على مر السنين، ولم تكن الأيام تزيدها إلا قوة وتماسكا، وبدت آثارها جلية في قدرته الفائقة على قراءة مختلف التجارب، والقضايا المعاصرة في ضوء القرآن الكريم، وتمكنه من الاستشهاد الدقيق في شتى المواضيع والمسائل التي يطرقها بالآيات الكريمات، بالإضافة إلى تأكيده المستمر على مدى أهمية القرآن الكريم، وتضمنه لكل المعايير والأسباب، التي تكفل للأفراد والمجتمعات الحياة المتكاملة والراقية، بفضل معالجته لشتى المجالات والميادين، سواء المادية منها أو المعنوية، فهو كما قال عنه: " إن هذا القرآن وفر للنهضة الإسلامية من عناصر الوجود والاكتمال، ما لا تستطيع صنعه ألف وزارة للدعاية، تجند فيها لتغذية العواطف والآراء آلاف الأقلام الواعية، والألسنة الحادة"¹.

وهذا تأكيد على أن " كل مواقف الشيخ الغزالي الفكرية، وآرائه التجديدية، مستوحاة من فهم الرجل لكتاب الله، الذي كان سميره في وحدته، وأنيسه في معركته ضد التخلف، والذهول الحضاري، والنتية الفكري الذي آل إليه المجتمع الإسلامي في العهود المتأخرة"².

ثالثا: التوجه إلى الدراسة القرآنية والإنتاج فيها

كان عمل الشيخ الغزالي القرآني على جانبين:

الجانب الأول: الخطب والدروس التي كان يلقيها على الناس عامتهم وخاصتهم. الجانب الثاني: الكتب التي كان ينشرها، إما جامعة لهذه الخطب أو متخصصة في جوانب متعددة من العلم، يدرس فيها علاقة المسلمين بكتابهم، ويقر ما يراه صوابا من الحلول والأوضاع.

وأما الجانب الثاني فكان الشيخ الغزالي على اتصال مباشر مع جميع الناس، على اختلاف طبقاتهم ومداركهم، في المساجد بشكل خاص، أو على شاشة التلفاز، أو من خلال الإذاعات وأحاديثه من خلالها، ومن هذه الأعمال الدروس التي كان يلقيها في جامع عمرو بن العاص، وقد شهدت إقبالا

¹ الغزالي، محمد: نظرات في القرآن، م.س، ص 13.

² راجي، محمد: معالم منهج حضاري في التفسير عند الشيخ الغزالي، مجلة رؤى، باريس، مركز الدراسات

الحضارية، عدد 18، 2003 م، ص 104.

عظيماً من المصلين كل يوم جمعة، وكانت في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، من بدايته إلى أن وصل إلى سورة النساء، يقول الشيخ الغزالي: " بعد أن صليت الجمعة الأولى، أدركت أن الله تعالى قد ألهم الرجل الصالح الشيخ عبد الحلیم محمود، ليعمر هذا المسجد المبارك ويحييه ليكون شاهداً على عراقة انتماء هذا البلد وشعبه إلى الإسلام، وصدقه في حمل رسالته، وقررت أن أجعل من خطبتي فيه سلسلة متصلة من التفسير الموضوعي لآيات كتاب الله الكريم، وأن أبدأ من أول القرآن وأستمر حتى نهايته إن شاء الله، ولم تمض جمعة أو ثلاث حتى صار الجامع الكبير يضيق بالمصلين على اتساعه، وكان كثير من المصلين يأتون من خارج القاهرة في سيارات يستأجرونها"¹. لقد كان التفسير أداة في يده، بها يبلغ الحق إلى الناس، وعن طريقها يقرب إلى قلوبهم الهدى القرآني، ويرغبهم في الانضواء تحت راية القرآن الكريم، يقول الشيخ الغزالي: " إن القرآن الكريم ينقل الإيمان من ميدان التصورات النظرية المعزولة، إلى ميدان الشعور الحي المأنوس الواقع."²

وفي الجانب الثاني ترك الشيخ الغزالي تراثاً فكرياً عظيماً، دل على رحلة طويلة من التعامل مع القرآن الكريم، والبحث ضمن آياته وفي ثنايا سوره، عن السبيل الواقعي للنهوض بالأمة ورد العدوان عنها من أطراف متعددة، ومن هذا التراث كتب كانت في موضوع دراسة القرآن مباشرة وهي:

- نظرات في القرآن، طبعة دار الكتب الإسلامية 1986، تحدث فيه عن القرآن الكريم وبعض علومه، كنبوته، وجمعه، الناسخ والمنسوخ، ومسائل في التفسير الموضوعي، على غير منهجه في آخر كتبه الذي خصصه لهذه الطريقة في التفسير.
- معركة المصحف في العالم الإسلامي، منشورات دار الكتب الحديثة، تناول فيه وضع الإسلام بين أهله والعالمين، والدعوة إليه، وما تعترضه من عقبات، صلاح القرآن للفرد والحكومات، وكيف يمكن النهوض به.

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 222.

² الغزالي، محمد: قلت لنفسي، خواطر وتأملات الشيخ الغزالي، تجميع متولي، محمد متولي، غراس للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1428هـ، 2007م، ص34.

- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، طبعة دار الصحوة الثانية 1989م، وهو في التفسير الموضوعي، على منهج جمع الآيات في الموضوع الواحد، مع ملاحظة أهم المواضيع التي عني بها القرآن الكريم، خمسة محاور هي أهم قضايا القرآن هي: الله واحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآني، العلوم الإنسانية، ميدان التربية والتشريع. وتحت هذه المحاور مسائل جزئية.
- كيف نتعامل مع القرآن، الطبعة الثالثة 1992م، مدارس أجراها مع الأستاذ عمر عبيد حسنة، اقترحها المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- نحو تفسير موضوعي للقرآن، طبعة دار الشروق الثانية 1996م، وهو المنهج الذي اقترحه جديد في البحث عن الوحدة الموضوعية لكل سورة، وتقدمها على أنها كل متكامل من الدروس والتوجيهات¹.

رابعاً: فهم الشيخ الغزالي للقرآن الكريم

لقد كان القرآن الكريم محور اهتمام الشيخ الغزالي طوال مسيرة حياته، فإذا استقى علماً فمن القرآن، وإذا أراد الحكم في أي موضوع فالقرآن هو المرجع، وأكبر مظهر لمكانة القرآن الكريم عنده، حضوره في كل أعماله، بل إن أعماله كلها قرآنية، فهو ينزل القرآن على الواقع الذي يرى وجوب الاهتمام به، فكانت أغلب أحاديثه حول آية أو حديث، هما المحور الأساسي للقول، ولم يكن يقصد إلى التفسير بالمعنى التقليدي، لكنه كان حاضراً دوماً في عمله، وفي أثناء ذلك يقرأ الواقع على صفحاته، ويحاول تفعيل الفهم لاستثماره في الواقع، وإبعاد الفهم السطحي أو المقتصر على اجترار أقوال السابقين².

يعتقد الشيخ الغزالي أن الأمة لا بد لها من أن تعبر عن قيم الإسلام، ومقاصده الكلية، ومشروعه الحضاري، بحيث تصبح نموذجاً حياً للقرآن الكريم، ولأن مهمة القرآن الكريم هي خلق وتحويل

¹ وينتن، مصطفى بن الناصر: القرآن الكريم في فكر الشيخ الغزالي، بحث على الشبكة العنكبوتية

<http://www.alfisal.com>

² وينتن، مصطفى بن الناصر: م.س.

الطفولة العقلية، إلى رجولة ناضجة¹. كما أن الشيخ الغزالي يركز على معادلة (الوحي والواقع) وهي رؤية تكاملية لقراءة الوحي وقراءة الواقع، أو قراءة القرآن وقراءة الوجود بكل أبعاده، وهو يعبر عن الوجود بالآيات الصامتة، وعن القرآن الكريم بالآيات الناطقة². فالذي خلق الحياة مغلفة بأسرار كثيفة، أبى أن يجعلها لغزاً معضلاً للإنسان، فجعل القرآن مفتاح الإغلاق، وإن التطابق بين حقائق القرآن ومعارف الكون مفروض ابتداءً، فإن منزل الكتاب هو مجري السحاب³.

كما أن الشيخ الغزالي يعتقد أن الانغلاق والانكفاء على قراءة النص القرآني باعتباره مصدراً تشريعياً، بصورة تجزيئية، هو خطر عظيم، ولا بد من توفر قراءة شاملة الأبعاد، مترابطة الوشائج، تختزن الرؤية التوحيدية في نظرتها للكون والحياة، ومن هنا جاءت دعوته إلى التفسير الموضوعي، وتجاوز التفسير الموضوعي الذي شاع تاريخياً⁴.

ويرى الشيخ الغزالي أن ترجمة القرآن الكريم إلى واقع موضوعي، لا يتأتى إلا من خلال وعي السنن الكونية في المجتمعات، كسنة التداول الحضاري: **م وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ** **عَامِنُوا وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** **ل**⁵، وسنة المدافعة: **م وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ** **بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ** **©** **اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** **ل**⁶، وسنة التسخير: **م وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ** **ل**⁷، وسنة النصر: **م** **إِن** **©** **اللَّهُ**

¹ الغزالي، محمد، نظرات في القرآن، م.س، ص 6.

² الغزالي محمد: نظرات في القرآن، م.س، ص 10.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 10.

⁴ جمعة، علي: الشيخ الغزالي ورؤيته المنهجية للفكر الإسلامي والإنساني، بحث ضمن كتاب العطاء الفكري، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الاردن، ط1، 1417هـ، 1996م، ص 35.

⁵ سورة آل عمران: 3 / 141.

⁶ سورة البقرة: 2 / 251.

⁷ سورة إبراهيم: 14 / 32.

يَصْرِكُمْ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ¹، وسنة التغيير: {M} | {~ يَغَيِّرُ مَا يَقَوْمُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا © اللَّهُ يَقَوْمُ
سَوْءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ }²، فالوعي بسنن الله يحول الإدراك إلى أفكار، والأفكار إلى
طاقة حركية فاعلة، والحركة إلى انتصار³.

وسلك في تفسير القرآن، مسلكاً لم يسلكه أحد من قبل، وقد عبر عن ذلك نفسه في صدر تفسيره
قائلاً: " هذه دراسة جديدة للقرآن الكريم، قد أرتاد طريقاً لم أسبق إليه، أفتح به باباً من أبواب
الخير"⁴. فيرى مثلاً أن سورة النساء ربما يخدع عنوانها بعض الناس، فيظنها قاصرة على شؤون
المرأة، فيقول: " وقصار النظر يحسبون السورة أجزاء مفككة، وهذا خطأ يحمي الله منه أهل التدبر
والاعتبار"⁵

وله بعض الاجتهادات، التي صرح أنها من اجتهاداته الخاصة، وأنها فهم اهتدى إليه، أو معنى
أوتيه أو اختاره، من بين اجتهادات من تقدمه من المفسرين، من ذلك أنه يرى أن أصحاب الأعراف
هم الدعاة والشهداء، وليس كما يرى المفسرون هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم⁶. كذلك له
اجتهاد في أنه يجوز تعدد الأئمة في صلاة الخوف، وأن وحدة الإمام أمر خاص بالرسول صلى الله
عليه وسلم⁷. ويرى أن عيسى عليه السلام جرت عليه سنة الموت فمات، وأن عودته إنما هي إحياء

¹ سورة محمد: 47 / 7.

² سورة الرعد: 13 / 11.

³ الغزالي، محمد: سر تأخر العرب والمسلمين، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005م، ط 7، ص 8 وما بعدها.

⁴ الغزالي، محمد: نحو تفسير موضوعي، م.س، ص 5.

⁵ الغزالي، محمد: م.س، ص 70.

⁶ الغزالي، محمد: م.س، ص 111.

⁷ الغزالي، محمد: م.س، ص 63.

له من جديد¹. وذهب في تفسير يأجوج ومأجوج إلى أنهم يعيشون في الصين، والى أنه يبدو من جرس الكلمة أنها صينية². ويرى الباحث أن ما ذهب إليه من اجتهادات وما مال له من تفسير قد سبقه إليه علماء ومفسرون، ولم ينفرد الشيخ الغزالي به وحده.

وله فهم خاص في (الشفق) الذي ورد في سورة الانشقاق، فيقول: "وقد بدا لي في هذا القسم فهم، إن كان حقاً فمن الله وله المنة، وإن كان خطأ فمن نفسي، وأسأله العفو: إن الشفق هنا إيماءة على تاريخ المسلمين، وما يعتريه من عسر ويسر، وهزيمة ونصر، وقد جئنا في أصيل العالم أو في شفق، والغروب موشك"³. ولا حظ أن كلمة (القرآن) تكررت في سورة الإسراء نحو إحدى عشرة مرة، فبين أن السر في ذلك: "إن سورة بني إسرائيل (الإسراء) انفردت بهذه الخاصة على المسلمين يفقهون أن القرآن الذي صنع أمتهم قديماً، قدير على أنه يصبهم في قوالب السيادة والقيادة مرة أخرى".⁴

وهكذا كان الشيخ الغزالي من أهل القرآن، تالياً لآياته، متدبراً معانيه، واقفاً عند حدوده، وكان محباً لذلك الكتاب العظيم حتى ملأ عليه حياته فعاش به، وملأ عليه فكره فسار على نوره، وملأ عليه وجدانه فظهر في صوته ودمع عينيه، فمفتاح شخصية الغزالي أنه من أهل القرآن⁵.

ويخلص الباحث إلى أن علاقة الشيخ الغزالي بالقرآن الكريم علاقة متينة، دلت على مدى تعلقه به منذ صغره وحفظه له وهو ابن عشر سنين، وتأثره به في جميع مراحل حياته، وفي جميع تراثه الضخم، دل ذلك كله على مدى ارتباطه به.

¹ م.س، ص 36.

² م.س، ص 238.

³ م.س، ص 507، 508.

⁴ م.س، ص 218، 219.

⁵ جمعة، علي، الشيخ الغزالي ورؤيته المنهجية للفكر الإسلامي والإنساني، بحث ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 33.

المطلب الثاني: موقفه من حديث الآحاد في السنة النبوية

تعرض الشيخ الغزالي لحمولات إساءة وتشويه من فئات معينة، كان الشيخ قد جند قلمه لمحاولة العودة بعقولهم إلى جادة الصواب، ووضع الأمور في ميزانها الصحيح، فعدا عليه كثيرون، إما بدافع التعصب للذات، أو بدافع الجهل والتقليد أحياناً أخرى. اتهم الشيخ الغزالي بمعاداته ومخاصمته للسنة النبوية والعمل على تعطيلها، هذه الزوبعة ظهرت خاصة بعد نشره لكتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)، فلجأ هؤلاء إلى شتم الشيخ تارة، وإلى التهكم عليه تارة أخرى، الشيخ الغزالي كان أكثر انتساباً للسنة منهم، ولم يرد عليهم¹، وقد نقل الدكتور القرضاوي قول الشيخ الغزالي: "وقد شتمني بعض الناس، فوجدت الإعراض أولى، ومن من الأنبياء لم يشتم؟ فليتأس بهم أتباعهم في الصبر والتجاوز، لكن الشتم الذي أوجعني، اتهامي بأني أخاصم السنة النبوية، وأنا أعلن أن الله ورسوله أحب إلي مما سواهما، وإن إخلاصي للإسلام يتجدد ولا يتبدد، وأنه أولى بأولئك المتحدثين أن يلزموا الفقه والأدب، فغاييتي تنقية السنة مما يشوبها"². وسيقف الباحث في هذا المطلب على ثلاث محطات تتعلق بنظرة وتعامل الشيخ الغزالي مع السنة النبوية وهي: حجية السنة عند الغزالي، وعلاقة السنة بالقرآن الكريم، ثم موقفه من حديث الآحاد.

أولاً: حجية السنة عند الشيخ الغزالي

دافع الشيخ الغزالي عن السنة النبوية ورد على منكري حجيتها، كما بين أن السنة النبوية تواجه هجوماً شديداً في هذه الأيام، وهو هجوم خال من العلم ومن الإنصاف، وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعي الاكتفاء بالقرآن وحده، ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعاً، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله³.

¹ سعيد، عبد الجبار أحمد: السنة النبوية في فكر الشيخ الغزالي ومؤلفاته، ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 61.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 153.

³ الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، ص 22.

تبرز أهمية البحث في هذه المسألة في فكر الشيخ الغزالي، بعدما علمنا ما تعرض له من حملة تشويه واتهام بخصومته للسنة وإنكاره لحجيتها، هذه الحملة التي بلغت أوجها بعد صدور كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)، وكما أشار الدكتور يوسف القرضاوي فان " الكتاب ليس كما تصوره الحملة عليه، كأنه كتاب ضد السنة وينكرها، فهذا ظلم بيّن للشيخ الذي طالما دافع عن حجية السنة المشرفة، وهاجم خصومها بعنف، ثم إن إنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة وإن ثبت في الصحاح، لا يعني بحال إنكار السنة بوصفها أصلاً ثانياً ومصدراً تالياً للقرآن"¹.

وربط الغزالي بين القرآن والسنة من حيث الحجية، ومن حيث الإلزام بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أشار إلى أن القرآن هو قانون الإسلام، والسنة هي تطبيقه، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق، كتكليفه باحترام القانون نفسه، وقد أعطى الله نبيه حق الاتباع فيما يأمر به وينهى عنه، لأنه في ذلك لا يصدر عن نفسه، بل عن توجيه ربه، فطاعته هي طاعة الله، وليست خضوعاً أعمى لواحد من الناس ! M " # \$ % & ') * + , - L ²، إن السير في ركاب المرسلين هو الخير كله، ومن ثم كانت سنة محمد صلى الله عليه وسلم مصدراً لشريعته، مع الكتاب الذي شرفه الله به، وجمهور المسلمين على هذا الفهم³.

ويحذر الشيخ الغزالي من اتخاذ نقد السنة سنداً أو متناً غطاءً للطعن لا في السنة فحسب، بل لرفض الدين، والعمل على ضياع الإسلام، فقد بين الشيخ الغزالي أن " الطعن هكذا خبط عشواء في الأسانيد والمتون، كما يصنع البعض، ليس القصد منه إهدار حديث بعينه، بل إهدار السنة كلها، ووضع الأحكام التي جاءت عن طريقها في محل الريبة والازدراء، وهذا فوق أنه غمط للحقيقة المجردة يعرض الإسلام كله للضياع، إن دواوين السنة وثائق تاريخية من أحكم ما عرفت الدنيا"⁴.

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 127

² سورة النساء: 4 / 8.

³ الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 31.

⁴ الغزالي، محمد: ليس من الإسلام، م.س، ص 36.

وقد تحدث الشيخ الغزالي طويلاً تحت عنوان (السنة حق)، وهو يبين حجية السنة، مميزاً بين نقد السنة، نقداً علمياً منضبطاً، بمقاييس وصفها بأنها عقلية جيدة، وبين تكذيب السنة خبط عشواء، كما تحدث عن الزعم بأن القرآن حوى كل شيء، واعتبر أن إنكار المتواتر من السنن العملية خروج عن الإسلام وإنكار المروي من سنن الأحاد لمحض الهوى عصيان مخوف العقاب، بل إن الشيخ يؤكد على أن اتهام حديث ما بالبطلان، مع وجود سند صحيح له، لا يجوز أن يدور مع الهوى، بل ينبغي أن يخضع لقواعد فنية محترمة¹.

ثانياً: علاقة السنة بالقرآن في نظر الشيخ الغزالي

يرى الشيخ الغزالي إلى أن اعتبار تكذيب السنة احتجاجاً بأن القرآن حوى كل شيء بدعة جسيمة الخطر، لأن الله تعالى ترك لرسوله السنن العملية بينها ويوضحها، وقد ثبتت هذه بالتواتر الذي ثبت به القرآن فكيف تجدد؟ بل كيف تجدد وحدها ويعترف بالقرآن؟ وكيف نصلي ونصوم ونحج ونزكي ونقيم الحدود، وهذه كلها ما أدركت تفاصيلها إلا من السنة. وفي علاقة السنة بالقرآن، فقد بين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ عن الله، ويوضح مراده، ويكمل الأحكام في الصور الجزئية الكثيرة، التي ليس من شأن الدستور العام (القرآن) أن يتعرض لها، وللسنة عدا هذا النطاق التشريعي ميدان أوسع، ينبغي أن نطيل التأمل فيه².

وقد أشار الشيخ الغزالي إلى هذه العلاقة العضوية التي تربط السنة بالقرآن فقال: " لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب والسنة في موضوع ما، ألاحظ هذه الحقيقة، وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق في معانيها وأهدافها، ما تضمن القرآن من معان وأهداف، وإن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه الذي احتوته الآية، أو تقرر معنى آخر، يدور في فلكه وينتظم معه في اتجاه واحد، وإن بدا للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة"³.

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 34 - 35.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 26-29.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 30 - 31.

وقد رتب الشيخ الغزالي على فهمه لطبيعة العلاقة بين القرآن والسنة أمرين:

الأول: فهم السنة في ضوء القرآن، فقد أشار إلى أن " فهم القرآن لا يتم إلا بمعرفة السنة " ¹.

وأثبت حرصاً قل نظيره في العصر الحديث على تعميق الصلة والربط بين القرآن والسنة، ولفت أنظار الباحثين إلى متانة هذه العلاقة وعمقها، مبيناً أن " كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محبوبون عنها، مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي، والفقهاء المحققون، إذا أرادوا بحث قضية ما، جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وبعض المشتغلين بالحديث يستوعب تدبير القرآن ودراسة دلالاته القريبة والبعيدة، ويستسهل سماع حديث ما، ثم يختطف الحكم منه فيشقي البلاد والعباد " ².

وقد بين الشيخ الغزالي أن الأصل عدم وجود التعارض بين السنة والقرآن، فقال: " إنه ليست هناك سنة تعارض حكماً قرآنياً ما، بل إنه من المستحيل أن يوجد حديث يعارض أحكام القرآن خاصة أو قواعده العامة، وإن حصل شيء من هذا التعارض فمما لا شك فيه أن الخلل سيكون غالباً في أفهام الناس أو في ثبوت السنة التي يظهر أنها تتعارض مع النص القرآني " ³، ولذلك فقد رأى الشيخ الغزالي " أن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه، أو فهموه وكان ظاهر القرآن ضده " ⁴. فالقرآن الكريم كان محور اهتمام الشيخ الغزالي في جميع مراحل حياته، ودعا إلى الجمع بين القراءتين الكتاب المسطور والكتاب المنظور، ودعا إلى التفسير الموضوعي وتجاوز التفسير الموضوعي والتجزيئي.

الثاني: عدم نسخ السنة للقرآن، من الآراء العجيبة التي قال بها بعض من قالوا بالنسخ، نسخ السنة للقرآن، ووجه العجب فيه أن يقال عن حديث أو رواية ظنية الثبوت وهي وإن صح سندها أخبار

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 34.

² الغزالي، محمد: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، م.س، ص 31-33.

³ الغزالي، محمد: ليس من الإسلام، م.س، ص 36.

⁴ الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 60.

آحاد، بأنها تتسخ آية من القرآن القطعي الثبوت لتواتره. فكيف ينسخ الظني القطعي والآحاد المتواتر؟¹. يقول الشيخ الغزالي: " الزعم بأن حديث آحاد ينسخ آية من القرآن زعم في غاية الغثاثة"². والحقيقة أن هذه المسألية أصولية منذ زمن .

ثالثاً: موقف الشيخ الغزالي من حديث الآحاد

حديث الآحاد: هو ما دون المتواتر، وما دون المشهور، من حيث إنه ليس له إلا راوٍ واحد، أو قلة من الرواة في كل طبقة من الإسناد، ويدل على أن خبر الواحد حجة إذا كان في كل طبقة من الإسناد راو ثقة، وثقته تقوم على الشروط الستة الآتية:

1/ يجب أن يكون قوي الإيمان.

2/ يجب أن يكون معروفاً بتحري الصدق في رواية الحديث.

3/ يجب أن يعنى باللفظ الدقيق للحديث.

4/ يجب أن يكون قادراً على إدراك معنى ما يرويه.

5/ يجب أن يروي من المذكرة.

6/ يجب أن يكون بريئاً من التديس³.

والذي عليه جماهير المسلمين، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول، أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم،

¹ سعيد، عبد الجبار أحمد، السنة النبوية في فكر الشيخ الغزالي ومؤلفاته، ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 71.

² الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 103.

³ القاسمي، محمد جمال: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، م.س، ص 147.

وأن وجوب العمل به معروف بالشرع¹.

والخلاف في خبر الآحاد قديم قدم البحث في هذه المسألة، ولا خلاف بين العلماء في أنه يفيد العلم والعمل في الأحكام والفروع، وخلافهم كان في جانب العقائد، مسألة أن العقائد لا تؤخذ من حديث الآحاد مسألة مختلف فيها، ولعل الأرجح والأشهر أن خبر الآحاد لا يفيد علماً يقينياً، وبذلك لا يفيد اعتقاداً جازماً، وإنما يُستأنس به في مجال العقائد والغيبيات، ويعتبر ما فيه إذا صح سنده وسلم من المعارضة، وخلا من الشذوذ والعلة، ولم يقل أحد من العلماء حتى من الذين قالوا بأنه يفيد علماً في العقائد، لم يقل أحد بأن خبر الآحاد فوق النقد وفوق الطعن، إن في سنده أو في منته، وما عليه المحققون أن رد حديث من أحاديث الآحاد لفهم ما، أو لطعن في السند، ونحو ذلك، ليس من قبيل الإيمان والكفر، إنما هو في مجال الاجتهاد والخلاف الفكري المجرد².

ويرى الشيخ الغزالي أن البعد عن منهج السلف يرجع إلى انتشار مقولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى، وهي أن حديث الآحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيد المتواتر، إن الحديث الصحيح له وزنه، والعمل به في فروع الشريعة له مساع وقبول، وتركه لأدلة أقوى منه أمر مقرر مأنوس بين فقهاءنا، أما الزعم بأنه يفيد اليقين كالأخبار المتواترة فهو مجازفة مرفوضة، وعلى أية حال فإن الإسلام تقوم عقائده على المتواتر النقلي والثابت العقلي، ولا عقيدة لنا تقوم على خبر واحد أو تخمين فكر³.

والشيخ الغزالي يقرر ما قرره العلماء الأوائل، من أن حديث الآحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة، وإن صح سنده⁴. كما أن الشيخ الغزالي يحذر من أن يكون إنكار المروي من سنن الآحاد

¹ القاسمي، محمد جمال: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، م.س، ص 147.

² سعيد، عبد الجبار أحمد: السنة النبوية في فكر الشيخ الغزالي ومؤلفاته، ضمن كتاب العطاء الفكري، م.س، ص 66.

³ الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 79-80.

⁴ الغزالي، محمد، م.س، ص 24.

خاضع لمحض هوى، واعتبار ذلك من قبيل العصيان، والغزالي يريد تأكيد كما يقول: " مرة ومرتين أنه ليس لروايات الأحاد أن تشغب على المحفوظ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أن تعرض حقائق الدين للتهمة والريب"¹.

وقد أشار الشيخ الغزالي في موضع آخر إلى أن المحققين يرون أن سنن الأحاد تُرفض إذا خالفت ظواهر الآي وعموم النص، أو خالفت قياساً يعتمد على أحكام القرآن نفسه، وأنهم يفرقون بين الأحاديث التي يرويها رجال فقهاء، والتي يرويها رجال حفاظ².

وأما رفض الشيخ الغزالي لاعتماد أحاديث الأحاد في إثبات العقائد، فقد أشار الدكتور يوسف القرضاوي إلى أنه مؤسس على أمرين:

- (1) أن العقائد لا بد أن تبنى على اليقين لا على الظن.
 - (2) أن أحاديث الأحاد وإن صحت لا تفيد اليقين، بل لا يفيد اليقين إلا المتواتر.
- ونصوص القرآن تؤيد الأمر الأول، فإن الله تعالى ذم المشركين بقوله: $M + , - . 1 \vee 2$ 9 8 7 6 5 4 3 : < L³، وأقوال جمهور علماء الأصول: أصول الدين وأصول الفقه، وعلماء الحديث أنفسهم تؤيد الأمر الثاني، واستثنوا ما حفت به القرائن، كأن يكون في الصحيحين، وتلقته الأمة بالقبول وسلم من المعارض، ونازع في ذلك بعض المحدثين والحنابلة، وقد أشار القرضاوي إلى أن محققي الحنابلة في صف الغزالي⁴.

وأما ما رده الشيخ الغزالي من بعض الأحاديث الصحيحة من أحاديث الأحاد، فإن ما رده الشيخ من هذا النوع رداً صريحاً ليس بكثير، إنما هي أحاديث قليلة محدودة، وهو لم يردّها لهوى في نفسه، ولا لوهن في دينه، ولا لتكرار السنة، ولا لتقص للوحي، بل حرصاً على الدين نفسه، أن

¹ الغزالي، محمد، م.س، ص155.

² الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 35.

³ سورة النجم: 53 / 28.

⁴ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 128 وما بعدها.

يجد العلمانيون واللاذينيون فيه ثغرة ينفذون منها للطعن فيه، والتشكيك في قضاياه، وتوهين أصوله، فرده لتلك الأحاديث القليلة إنما هو دفاع عن الدين، في مواجهة خصومه وأعدائه الكائدين له والمتربصين به. وهذه الأحاديث التي ردها الشيخ كما يقول القرضاوي لا يتوقف عليها أي أمر من أمور الدين، فلو مات المسلم ولقي ربه دون أن يقرأها أو يعرف عنها شيئاً، ما نقص من إيمانه ذرة. إن العالم لا يضره في دينه رده لبعض الأحاديث التي لم تثبت عنده، فما من إمام من أئمة المسلمين إلا رد أحاديث صحت عند غيره ولم تصح عنده¹.

ويرى الباحث أن رد أحاديث لرسول صلى الله عليه وسلم بهدف إرضاء غير المسلمين فيه خطورة عظيمة، ولا يمكن استساغة ذلك تحت أي مبرر كان، فالحرص على دين الله يكون باتباع ما جاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

¹ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 132.

المطلب الثالث: موقف الشيخ محمد الغزالي من الاشتراكية

النظام الاشتراكي¹ هو إفران للنظام الشيوعي الذي ظهر في روسيا²، هذا النظام الذي تبني الصيغة الاشتراكية، المعادية والرافضة للصيغة الرأسمالية، ومؤكداً أن الصيغة الاشتراكية هي السبيل الوحيد للقضاء على النظام الطبقي، وتحقيق العدل الاجتماعي، والمساواة بين مختلف الأفراد، عن طريق إشاعة الملكية الجماعية لمرافق الأمة.

وهذا النظام وإن حمل في صورته الخارجية المظهر الاقتصادي، والاجتماعي، فإنه في حقيقته انطوى على مبادئ دينية وأخلاقية وفكرية هدامة، تدعو في مجملها إلى ضرورة مخاصمة الدين، ومحاربتة للقضاء عليه.

وكان الشيخ الغزالي من أوائل المحاربين لها، والمحذرين من شرورها وويلاتها، لذلك فإنه لم يتوان لحظة عن كشف حقيقتها، وتعرية أهدافها، مبرزاً أن الاشتراكية لم تأت لتحقيق المساواة، والعدالة الاجتماعية للمستضعفين، والفقراء " وإنما جاء يتذرع بها لإعلان الحرب على الأديان، وقطع الصلة بين الأرض السماء، وبين الإنسان والله"³. لهذا رفض الشيخ الغزالي وصف الشيوعية بأنها مجرد نظام اقتصادي، وبأن الاشتراكية هي لخدمة المجتمع

¹ الاشتراكية نظام اقتصادي اجتماعي، يقوم على الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج الأساسية، من أجل تلبية حاجات المجتمع على الوجه الأمثل، والقاعدة الأساسية الاقتصادية في هذا النظام هي إلغاء التقسيم الطبقي في المجتمع، وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان، بهدف تحقيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع. البيطار، فراس: الموسوعة السياسية والعسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003م، ج1، ص124.

² ظهر النظام الشيوعي في روسيا سنة 1917م بعد نجاح الثورة الحمراء بقيادة لينين في 7 نوفمبر 1917م، والذي أصبح منذ 8 نوفمبر رئيساً للحكومة، وقد كانت لهذه الثورة عدة أسباب وعوامل، لعل أبرزها تنامي الوعي وظهور مفكرين عملوا على خلق الوعي لدى الجماهير بشأن الانتفاض على الأوضاع السيئة والمتدهورة التي عانوا منها في ظل القياصرة، ورفض الاستبداد، والإقطاع الذي طال أمده بروسيا. البيطار، فراس: الموسوعة السياسية والعسكرية، م.س، ص 147.

³ عويس، عبد الحلیم: الشيخ الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه، م.س، ص 83.

البشري على عمومه، مبينا أن انتشار الاشتراكية مشروط بإزاحة أي دين أو عقيدة من طريقها. ولقد تحقق هدف الاشتراكية حين وجدت من يسمعها، ومن يتبنى أفكارها، في العالمين العربي والإسلامي، بل ويستमित في الدفاع عنها، وهذا ما أزعج الشيخ الغزالي كثيرا، ودفعه للقول: " خامرني إحساس بالوجل والضيق، للرواج الذي لقيته الشيوعية في الآونة الأخيرة، لقد استولت على مساحات واسعة من الأرض، وأعداد كبيرة من الناس، واستهوت لفيفا من الشباب في البلدان العربية والإسلامية، من فارغي العقول والأفئدة"¹

والشيخ الغزالي أصدر كتابه (الإسلام والمناهج الاشتراكية) في وقت مبكر، حيث صدر سنة 1947م، وهو الكتاب الثاني له، وفيه فصح للاشتراكية، وفي كتابه مجموعة من الآراء والأفكار ربطها جميعا، فيناقش قضايا التمليك، ونظام الملكية، ويلمز الفساد السياسي، ويجري أدق بحوث الربا، ويسجل رأيه فيما يسمى بالخصخصة² الآن، والتأمين³، والعلاقة بين العامل وصاحب العمل، والمسكن الصحيح⁴.

والكتاب يعتبر صورة حية لموقف الإسلام من أوضاع أعلنها الملحدون حلا للفقير وقلّة الحاجة، حلا لأحوال طبقة معينة خاضعة لبعض الأنظمة المستبدّة، وهو صحيح وضبط

¹ الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005م، ص 3.

² الخصخصة: هي بيع موجودات تابعة للدولة إلى القطاع الخاص، مثل شركات النقل، والمواصلات، والاتصالات، والطاقة، وغيرها. عبد الناصر، جمال: المعجم الاقتصادي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2006م، ط1، ص162.

³ التأمين: هي وسيلة تهدف إلى حماية الشخص من أخطار معينة، وقد تحصل بصورة إرادية عن طريق التعاقد عليها مع شركات أو مؤسسات الضمان، كالتأمين ضد أخطار وحوادث السيارات، أو التأمين ضد السرقة، أو التأمين على الحياة، أو تحصل عن طريق تنظيم قانوني، كالتأمينات على المرض والعجز والبطالة. عيد، ادوار: التأمينات العينية، مطبعة المتنبي، بيروت، 1995م، ط2، ص5.

⁴ الغزالي، محمد: الإسلام والمناهج الاشتراكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط4، ص

وتعديل لتلك الآراء، وبيان لموقف الإسلام جليا بصورة كتب لها الخلود والاستمرار، ولم يقدر على تخليدها سوى الشيخ الغزالي¹.

والشيخ الغزالي نقد نفسه بكل شجاعة وتراجع عن تسمية الاشتراكية، وسجل ندم الدكتور مصطفى السباعي على استخدامه لفظ الاشتراكية، والسبب أن الاشتراكيين الشيوعيين تركوا رأي الإسلام ومنهجه الاعتدالي، واعتبروه دليل مشروعية لمناهجهم الاشتراكية، قال الشيخ الغزالي: "أذكر أن صديقي الأستاذ مصطفى السباعي² ألف كتابا عن اشتراكية الإسلام، ضمنه حقائق كثيرة لصرف الشباب عن الشيوعية، وقد ندم على العنوان الذي اختاره لكتابه، وأنا أعلم سر ندمه لأنني خضت مثله هذه المحنة، لقد ظهر لي أن هؤلاء الاشتراكيين العرب، يريدون كلمة الاشتراكية وحدها، ولا يهتمون بعد ذلك للعقائد والعبادات التي هي لباب الإسلام، إنهم كما قيل أفقرُوا الأغنياء، ولم يغنوا الفقراء، وتلك هي حدود اشتراكيتهم، ومبعث كراهية الجماهير لها³.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الغزالي كان من منهجه في الدعوة، أن لا يكتسب الأعداء، بل يرعى الود ما أمكن، لذلك رأيناه يقبل ما رفضه غيره من كلمات الديمقراطية، أو الاشتراكية (هذا قبل أن يتراجع ويندم كما ذكرنا سابقا).

وللشيخ الغزالي تجربة انخراط ودخول في الاتحاد الاشتراكي في مصر، فقد حاول الشيخ

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 5.

² (1233 - 1384هـ، 1915 - 1967م) مصطفى بن حسني السباعي، عالم إسلامي مجاهد، ولد بحمص في سوريا، وتعلم بها وبالأزهر، اعتقله الإنجليز في مصر وفلسطين، كان على رأس كتيبة الإخوان المسلمين في الدفاع عن بيت المقدس سنة 1948م، كان مراقبا للإخوان المسلمين في سوريا، كان عميدا لكلية الشريعة في جامعة دمشق، نشر من تأليفه 21 كتابا منها (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) وهو كتاب أطروحته، (هكذا علمتني الحياة) وغيرها، أصيب بشلل نصفي سنة 1957م وتوفي بدمشق. الزركلي: الأعلام، م.س، ج7، ص231.

³ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 101.

الغزالي أن يتخذ من دخوله للاتحاد الاشتراكي منبراً ووسيلةً يبلغ بها دعوته، حاول من خلاله خدمة الإسلام ونشر الدعوة¹.

وقد قام بوصف أطوار هذه التجربة التي أقدم عليها ونتائجها، فيقول: " دخلت الاتحاد الاشتراكي، وكانت تجربة شاقة، لا عهد لي بمثلها، فهناك لجنة أساسية، يُنتخب أعضاؤها بطريق القوائم في كل وزارة، أو حي، أو مصنع .. الخ، ثم يجتمع مندوبو اللجان الأساسية في كل قسم لينتخبوا لجنة القسم أو المركز، ثم يجتمع مندوبو المراكز أو الأقسام لينتخبوا لجنة المحافظة، ثم تجتمع لجان المحافظات لتختار ضعف الأعضاء المطلوبين للجنة المركزية، ومن اللجنة المركزية تكون اللجنة التنفيذية التي تدير شؤون الدولة تقريباً، لأن الوزراء منها، أو خاضعون لها.

ومن السهل إدراك أن هذه السلاسل الطويلة صنعت هكذا حتى لا يصل إلى القمة إلا أهل الثقة. والواقع أن هذا التنظيم صورة لتنظيم الحزب الشيوعي في أي بلد اشتراكي، فالقمة تصنع القاعدة أكثر مما تصنع القاعدة القمة.. وشاء الله أن أصعد هذه الدرجات، مستوى بعد مستوى، حتى بلغت اللجنة المركزية، فاخترت المسئولون أسماء ارتضوها، ورُد اسمي لأنه لا يوثق به، وأخذت اعلم مكاني، أحاول خدمة ديني، كان الجو موبوءاً، فالشيوعيون رتبوا صفوفهم لقيادة البلد، وغيرهم بين متملق يتسكع على أبواب الرؤساء، أو أناني لا تحركه إلا مآربه المكشوفة، وإذا جاء وقت صلاة فما يتحرك إلا قليل².

وحدث ذات مرة في أحد المؤتمرات، أن حاول أحد قادة الاتحاد الاشتراكي تمرير قانون جديد للأحوال الشخصية، دون أن يطلع عليه الأعضاء، هنا ثارت ثائرة الشيخ الغزالي، وأعلن رفضه لما يحدث، وانسحب من المؤتمر، مما جعل القيادة تعيد تنظيم لجنة الأسرة،

¹ الغزالي، محمد: قصة حياة، م.س، ص 200.

² الغزالي، محمد، م.س، ص 203-204.

وتضم إليها الشيخ الغزالي. وأمكن حجز الشر عن أن يتسرب إلى كيان الأسرة المسلمة ونظامها إلى حين¹.

والخلاصة فإن الشيخ الغزالي دعا إلى الاشتراكية في مرحلة من مراحل فكره، لكنه نقد نفسه فيما بعد وتراجع عن مصطلح الاشتراكية الإسلامية.

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 204.

المطلب الرابع: موقف الشيخ محمد الغزالي من الديمقراطية¹

الشيخ الغزالي لم يكن يتوقف عند مجرد المصطلحات والتسميات، إنما كان ينفذ دائما إلى جوهره، ويعقد المقارنة بينه وبين التوجيهات الإسلامية، وإذا كانت التعريفات الأشهر للديمقراطية، هي التي تثير الإشكالات لدى القارئ المسلم، وتستحضر لديه مفهوم الحاكمية، ذلك المفهوم القاضي بأن هناك تعارضا بين الإسلام والديمقراطية فيما يتصل بأمر التشريع، إلا أن التعريفات الأدق للديمقراطية، وهي التعريفات الأحدث، لا تثير ذلك الإشكال.²

العالم أبراهام لنكولن³ يعرف الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب للشعب، هذا التعريف يتحدث عن آليات الحكم والتأثير في القرار السياسي، فالديمقراطية بهذا الاعتبار هي " النظام السياسي الذي يتيح فرصا دستورية منتظمة لتغيير الفئة الحاكمة، وكذلك تهئ تنظيمات اجتماعية تسمح بأن يكون للسواد الأعظم من السكان تأثير في القرارات الهامة، وذلك عن طريق الاختيار بين المتنافسين على المراكز السياسية"⁴.

وهذا المعنى هو الذي يركز عليه فكر الشيخ الغزالي، ويحاول أن يؤصله إسلاميا، فقد أكد أن الوضع الطبيعي لاختيار الحكام في المجتمع المسلم هو الوضع الشوري، أي

¹ الديمقراطية: نظام سياسي اجتماعي، يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، أساس هذه النظرة يعود إلى المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية. الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، م.س، ج2، ص751.

² وقيع الله، محمد: ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص 114.

³ رأس الولايات المتحدة في عام 1861 - 1856، ولد في ولاية كنتاكي لأسرة فقيرة، لم يذهب غي طفولته للمدرسة إلا أنه كان شغوفا بالقراءة، تقلد عدة وظائف قبل أن يكون محاميا مشهورا فسياسيا بارعا ثم رئيسا للولايات المتحدة، وحد لنكولن البلاد ووضع أسس نظامها الديمقراطي وحرر العبيد هناك، قتل على يد رجل من الولايات الجنوبية. أبو الروس، أيمن: عظماء ومشاهير، دار الطلائع، القاهرة، 1428هـ، 2008م، ص172.

⁴ لبيست، ماتن لسيمور: رجل السياسة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 23.

الوضع الذي يختار فيه الناس حكامهم، غير مكثفين بمجرد مبايعتهم أئمة نافذين أو متغلبين، مستنتجا ذلك من وقائع اختيار الخلفاء الراشدين، وبتجربة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحكم.¹ أما فيما يتصل بمهمة الشعب في صنع القرار، فقد أبدى الشيخ الغزالي انزعاجه من الطريقة المغرضة التي حشدت بها مرويات الفتن، التي كرست دائما لأمر طاعة القائد ولزوم أمره، حتى بدا أن ذلك الوضع الذي يمكن أن يسمى وضع الطوارئ، هو الحالة الأصلية التي تصدر على الدوام حريات الشعب، وحقه في المناقشة وإبداء الرأي، والضغط في سبيل اتخاذ قرار ما، والوقائع النبوية المطردة أكدت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستشير صحابته في كل القضايا السياسية، ويقطع فيها على رأي الشورى الراجح، مثل اتخاذ الموقع الاستراتيجي في موقعة بدر، وقرار الخروج للقتال في أحد، وقرار حفر الخندق في غزوة الأحزاب... الخ²

وهكذا كان الرجل الذي تكلؤه السماء، ويؤيده الملا الأعلى، وتصلي عليه الملائكة، ويبلغ رسالته بعين الله، وبصحبه من أي القرآن قول الله له: *إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ* ³، لم يمنعه هذا من أن يلتقط الحكمة من أي إناء، وان يبحث عن الحق مع أولي الفطنة والفقهاء من صحابته⁴.

والشيخ الغزالي صرح بأن تكوين أحزاب سياسية في النظام السياسي الإسلامي أمر مباح ومشروع، بل إن له سوابق تاريخية في ظل الحضارة الإسلامية، وهو مبدأ تقترب به الديمقراطية الغربية من الإسلام وليس العكس، ويقرر أن من خصائص الديمقراطية أنها اعتبرت المعارضة جزءا من النظام العام للدولة، وأن للمعارضة زعيما يعترف به ويتفاهم

¹ وقيع الله، محمد: ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص 115.

² وقيع الله، محمد: م.س، ص 116.

³ سورة البقرة: 2 / 19.

⁴ الغزالي، محمد: الإسلام والاستبداد السياسي، م.س، ص 56-57.

معه دون حرج، ذلك أن مالك السلطة بشر، له من يؤيده وله من ينقده، وليس أحدهما أحق بالاحترام من الآخر، والواقع أن هذه النظرة تقترب من تعاليم الخلافة الراشدة¹.

وآراء الشيخ الغزالي كانت نتاج إيمان عميق، قديم ومتجدد بقيم الشورى والحريّة، دأب صاحبه على الذود عنه طوال سنوات جهاده الفكري، فقد أعلن الشيخ تأييده للدستور المصري سنة 1923، الذي كفل حق تكوين الأحزاب والجماعات السياسية، وكان يعجب ويسخط من تجاهل جمهرة المتدينين لأمر حماية الدستور، الذي هيا لهم حق التكتل والتنظيم، وقد انتقد ذلك مع الشيخ حسن البنا في حوار معه، يقول الشيخ الغزالي عن ذلك: "وأذكر أنني من ثلث قرن قابلت أستاذي الكبير الإمام حسن البنا، لأشكو إليه موقف المتدينين عامة من قضية الحريات الدستورية، وقد تحدثت يومها بصفتي مؤسساً في جماعة الإخوان، وكان حواراً عاصفاً قلت فيه: إن المركز العام لا يدافع عن الدستور كما ينبغي، وتمادى بي الغضب فقلت: كأني اسمع جرس الملكية يدق هنا، وكان الإمام الشهيد أحلم مني وأرزن، فرد اتهامي بلطف، وأصدر أمره إلى مجلة الإخوان أن تنشر لي ما أكتب ولو كان ضد سياسة الجماعة"².

ولقد كان إيمان الشيخ الغزالي بأن الاستبداد هو سر انحطاط المجتمعات المسلمة، وانكماش حركة الدعوة الإسلامية، بسبب ثورته العنيفة عليه فإن طريقة الإسلام في إدارة دفة الحكم بالشورى هي التي جعلت الشعوب تفتح ذراعيها له³.

¹ الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 164.

² الغزالي، محمد: الفساد السياسي في البلاد العربية والإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 115-116.

³ الغزالي، محمد، م.س، ص 55.

ورد الشيخ الغزالي على منتقديه، الذين عابوا عليه أخذه بالديمقراطية قائلاً: " إنني شعرت بجزع عندما رأيت بعض الناس يصف الديمقراطية بالكفر، فلما بحثت عما معه لكفالة الجماهير وكبح الاستبداد الفردي، وجدت عبارات رجراجة، يمكن إقارؤها من منبر الوعظ"¹.

كما أن الشيخ الغزالي يرد بلطف على المفكر والداعية الإسلامي محمد قطب²، وذلك بعد أن ينقل له كلاماً لا يقبل فيه الأخذ بكلمة الديمقراطية، فيقول: " إنني مع احترامي الكبير للأخ الداعية المخلص محمد قطب، أرى أن هذا الكلام يحتاج إلى ضوابط، الديمقراطية مثلاً ليست ديناً يوضع في صف الإسلام، إنها تنظيم للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، ننظر إليه لنطالع كيف توافرت الكرامة الفردية للمؤيد والمعارض على سواء، وكيف شيدت أسواراً قانونية لمنع الفرد أن يطغى، ولتشجيع المخالف أن يقول بملء فمه: لا، لا يخشى سجننا ولا اعتقالنا. إنها تنظيم سياسي لا يجعل إعلان الحروب مسلاة حاكم متفرعن يطلب المجد لشخصه، أو إنفاق المال العام هواية متلاف يطيع هواه، ولا يخشى حساباً."³.

يرى الباحث أن في الإسلام ما يغني عن الديمقراطية، وأن الإسلام له تصوره الخاص عن الحريات، وأن هذا التصور أرقى من التصور الديمقراطي، وأن من الظلم للشريعة وإحباط لتميزها أن نقول بأن الإسلام ديمقراطي، ففي الإسلام نظام الشورى الذي هو أكمل وأشمل وأفضل من أي نظام وضعي آخر، فالإسلام يأمر بتطبيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع، ويعطي العامة حق إبداء الرأي.

¹ الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، م.س، ص 155.

² محمد قطب إبراهيم، ولد في بلدة موشا من محافظة أسيوط بمصر سنة 1919م، تأثر بأخيه سيد قطب الذي أشرف على تربيته وتعليمه وتنقيفه، درس بالقاهرة المرحلتين الابتدائية والإعدادية، ثم التحق بجامعة القاهرة حيث درس اللغة الإنجليزية وآدابها، له مؤلفات كثيرة تتم عن فكر حي نابع من الرؤية الإسلامية، مثل كتاب (الإنسان بين المادية والإسلام) و (جاهلية القرن العشرين) و (دراسات قرآنية) وغيرها. المجذوب، محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، م.س، ج2، ص 275.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 157.

المطلب الخامس: موقف الشيخ محمد الغزالي من المرأة

بدا من خلال تتبع موقف الشيخ الغزالي للمرأة، نرى انطلاقه من نقطتين يجعلهما محورا لمعرفة حقيقتها ومكانتها وهما:

أولاً: وضع المرأة سيء للغاية، وسوءه بل شناعته حقيقة ساطعة، فلا ينبغي التهوين من حدثها، ولا التهوين من شأنها، ولا غض الطرف عنها، ولا تعقيم صورتها بإحاطتها بهالة من الغموض، كي لا تنكشف عن واقع مزر، ومثير للدهشة والحزن معاً، والغزالي يؤكد هذه الحقيقة، بعرض القيود التي فرضت على المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهي بداية كائن ناقص متهم، يحبس في البيت، محروما من العلم والارتقاء، ومن كل نشاط اجتماعي أو سياسي يمس حاضر الإسلام ومستقبله، فهي وفق ذلك:

- (1) لا ترى أحدا ولا يراها أحد.
 - (2) لا تعرف طريقا إلى مسجد، أو مدرسة.
 - (3) لا يسمح لها بعمل ذكي جاد، في أي أفق من آفاق الحياة.
 - (4) لا مجال لها في أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو جهاد عن الإسلام حين يغار عليه.
 - (5) عند الزواج لا يسمع لها رأي، وقد تبلغ مرحلة العنوسة ثم سن اليأس، وأولياؤها يرون أن الكفاء - في نظرهم - لم يتقدم لها، فتشيخ وتموت عذراء¹.
- ثانياً: هذا الوضع للمرأة الذي أضحى قدرا في مجتمعاتنا، هو في حقيقته امتداد، أو إحياء لعادات جاهلية، وتقاليد بالية. والإسلام بريء منها جميعا، ويخطئ بل يأتئم كل من يسول له فكره أن يحسب هذه الصورة إسلاما.

ويمضي الشيخ الغزالي في دعم قوله مستشهدا بما حفلت به الفترة الذهبية من التاريخ الإسلامي، فترة النبوة والخلافة الراشدة، من أحداث، ومواقف تعبر بصدق عن سمو المرأة، ورفعة مكانتها في المجتمع الإسلامي، ويحمل إلينا بعضا من نفحات الاحترام والتقدير والتوقير

¹ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهرة، 2007م، ط6، ص 66.

الذي ميز وضع المرأة في البيت، وفي المجتمع، مؤكداً أن شخصية المرأة ما ولدت، ولا قامت
إلا مع مجيء الإسلام، ويكفي قوله تعالى: M a b c d e g

h i j k l m n o p q r t

U V X Y Z¹، ليعلم المسلمون كيف أن الله عز وجل قد أنصف المرأة، وآخى

بينها وبين الرجل، ومنحها ما منح، واعتبرهما معا أساس قيام الأسرة والمجتمع، وقد تجسد
هذا الإنصاف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد أصحابه من بعده، وعن بعض ما
ميز وضع المرأة في تلك الفترة يقول الغزالي: "لقد كافأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة
خرجن وراء الجيش، للقيام بخدمات طبية ومدنية، وبأيع نساء تحت الشجرة، ومن قبل في
العقبة الكبرى، وسره أن بعضهن قاتل الكفار"²، كما أن صفوف النساء في المساجد بقيت طيلة
العهد النبوي، واستمرت أيام الخلافة الراشدة.

ولذلك يكون القول بأن صورة المرأة في العالم الإسلامي، وملامح حياتها، وموقعها الاجتماعي
الحالي، هو من تعاليم الإسلام، قول مردود، ومنكر، لأنه يسيء إلى الإسلام، ويقترف في حقه
ظلماً وجوراً، يقول الشيخ الغزالي في ذلك: "إننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا، وآرائنا،
إلى عقائد الإسلام وشرائعه، لتكون دينا مع الدين، وهديا من لدن رب العالمين، وبذلك نصد عن
سبيل الله"³.

وإذا كان الإسلام بريئاً مما لحق بالمرأة من التدني والتدهور، في شتى أمورها، فما هي
الأسباب التي جعلت وضع المرأة يؤول إلى هذا التدني الكبير؟

يعزو الشيخ الغزالي حرمان المرأة من مختلف الحقوق، والضرورات التي منحها إياها
الإسلام، وكفله لها منذ بعثته عليه الصلاة والسلام، إلى جملة من المرويات التي اعتمد عليه

¹ سورة التوبة: 9 / 71.

² الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 67.

³ الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 67.

بعض المسلمين، ثم روجوا لها، وهي لا تعدو في حقيقتها أن تكون حديثاً مكذوباً، أو متروكاً، أو مخالفاً للمتواتر، والصحيح من السنن، ومثال ذلك كما يوضح الشيخ الغزالي: " في حديث مكذوب رواه الحاكم أن المرأة لا يجوز أن تتعلم الكتابة¹، وفي حديث متروك آخر أن المرأة لا يجوز أن ترى أحداً ولا يراها أحد"²، ومثال آخر عن الحديث الذي " جاء في السنن الصحاح أن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تمنعوا إماء الله"⁴، فلما روى ابن عمر هذا الحديث، قال ولده: والله لنمنعهن، فاقبل عليه أبوه بسببه أشد السب، وقاطعه طول حياته، والغريب أن الأمة الإسلامية خلال القرون المتأخرة تبعت الابن العاق، وغضت الطرف عن الحديث الذي رواه أبوه"⁵. وهكذا خولف حديث صحيح ورد في السنن.

وبحثاً عن العلل الدافعة لهؤلاء المسلمين نحو هذه المسالك، والآراء المنتقصة من حقوق المرأة، قرر الشيخ الغزالي أن هؤلاء تعزيرهم أحد هذه الأمور:

" إما أنهم مصابون بسوء الظن، أو بشدة الغيرة، أو تصديق الأوهام، أو الإصابة بعقل الشيخوخة، أو أعراض الضعف الجنسي، أو أنهم أتباع الشائعات العلمية، والآثار التافهة"⁶.

¹ الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین مع تعلیقات الذهبی، تحقیق مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، 1990م، ط1، ج2، ص430، رقم الحديث3494.

² الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، 1412هـ، 1992م، ط1، ج5، ص103، رقم الحديث 2017.

³ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 71.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، م.س، رقم الحديث 900، ج1، ص 289. مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، رقم الحديث 442، ج1، ص 327.

⁵ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 56.

⁶ الغزالي، محمد: م.س، ص 72.

وفي مطلع الثمانينات من القرن الماضي أسس الشيخ الغزالي منهاجاً متكاملًا للتعامل مع الأصول - قرآن وسنة - وبدأ في عملية بلورة وتطوير أفكاره بشأن المرأة وبسياق أوسع، ففي كتابه (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) يدعو إلى العودة للمعيار الصافي للتحقق الوحدة بين المسلمين، وتياراتهم الفكرية والثقافية، في شتى القضايا ومنها قضية المرأة، هناك أحاديث ضعيفة تحكم المجتمعات الإسلامية، وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة، والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون ديناً قويمًا ولا صراطاً مستقيماً. أما الأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنن عموماً، فهو قصورهم الفقهي، وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم¹.

ثم يستكمل حديثه تحت عنوان (تقاليد المسلمين غير تعاليم الإسلام) قائلاً: "ولا يزال نفر من علماء الدين يكرهون وجه المرأة، ويحملونها مسؤولية خروج آدم من الجنة، كما زعم اليهود في كتبهم، ويرون إمساك النساء في البيوت حتى يتوفاهن الموت، وحرمانهن من أي نشاط عام، واعتقد أن هؤلاء العلماء القاصرين لو كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى، وقالوا له ما للنساء وهذه الشؤون؟، ولو كانوا موجودين عند فتح مكة لقالوا له حسبك بيعة الرجال وهم يعلمون نساءهم"².

لقد وضع الشيخ الغزالي يده على الداء، وأدرك من اشتغاله بالدعوة زمناً طويلاً، أن للإسلام أعداء من الداخل قصر فهمهم وضائق عقولهم، واستيقن أن ما أصاب الإسلام في عصرنا هذا وفي العصور الماضية لا يُسأل عنه أعداؤه بقدر ما يُسأل عنه أبنائهم³.

¹ الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، م.س، ص 25.

² الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، م.س، ص 134.

³ الغزالي، محمد: من معالم الحق في كفاحننا الإسلامي الحديث، م.س، ص 3.

ومع نهاية الثمانينات أصدر كتابه المهم (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) الذي يجمع فيه أفكاره وملاحظاته حول قضايا مختلفة في التراث، وقراءة بعضهم للسنة والسيرة، وكذلك قضايا المرأة.

ويبدأ الشيخ الغزالي في الجزء الثاني الذي أفردته للمرأة بقضية الحجاب، حيث يرى جواز كشف الوجه، ولا يرى نفسه بذلك مخالفا للجماعة، وفي ذلك يقول: " يعلم الله أنني ومع اعتدادي برأيي أكره الخلاف والشذوذ، وأحب السير مع الجماعة، وأتنازل عن وجهة نظري التي أفتتخ بها بغية الإبقاء على وحدة الأمة، فهل ما قلته رأي أنفردت به؟ كلا كلا إنه رأي الفقهاء الأربعة الكبار، ورأي أئمة المفسرين البارزين. إن الشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أكلها الجهل والاعوجاج، لما حكمت على المرأة بالموت الأدبي والعلمي"¹.

والشيخ الغزالي في الستينات كان يرى ويؤكد على أولوية عمل المرأة داخل بيتها، أما في الثمانينات فنجدته بعد طول خبرة واطلاع على أحوال المرأة المسلمة، وتقديره للمهمات التي نهضت بها صاحبات الأوائل، يسعى إلى إيجاد توازن بين مسؤولية المرأة داخل أسرتها ومسؤوليتها تجاه الأمة²، وفي الستينات كتب يقول: " لقد عرف عني أنني لم أهش لتوظيف المرأة في كل الأعمال، ولا لتسويتها بالرجل في كل الميادين، وقلت إن وظيفة ربة البيت هي أليق شيء لها، وقد تحتاج وظائف فنية كثيرة إلى النساء وحدهن، وقد تحتاج فتيات كثيرات إلى العمل قبل الزواج، ثم إن الأوضاع الاقتصادية لها أثر كبير في الطريقة التي يفهم بها الناس شؤون الحياة، ولست أحب نشر فتاوي جزئية في غياب الوضع

¹ الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 49.

² عزت، هبة رؤوف، الحق المر: الشيخ محمد الغزالي وقضايا المرأة، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص

الإسلامي الكبير عن هذه الحياة الصاخبة¹، ونجد الشيخ الغزالي بعد أن أدرك حاجة الأمة في عصرنا إلى نساء يخرجن يجاهدن في شتى المجالات بعد أن دخل العدو ديار المسلمين سياسة واقتصادا وإعلاما وتربية، قد صقل رأيه السالف وعدله، فيقول: " أكره البيوت الخالية من رباتها! إن ربة البيت روح ينفث الهناءة والمودة في جنباته، ويعين على تكوين إنسان سوي طيب، وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى دراسة ومراجعة. والى جانب هذه الحقيقة فإنني أكره وأد البنات طفلة ، ووأدها وهي ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها، فكيف نوفق بين الأمرين؟ يمكن أن تعمل المرأة داخل البيت وخارجه، بيد أن الضمانات المطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة، ومطلوب أيضا توفير جو من التقى والعفاف تؤدي فيه المرأة ما قد تكلف به من عمل، إذا كان هناك مائة ألف طبيب، أو مائة ألف مدرس، فلا بأس أن يكون نصف هذا العدد من النساء، والمهم في المجتمع المسلم قيام الآداب التي أوصت بها الشريعة، وصانت بها حدود الله، أعرف أمهات فاضلات مديرات لمدارس ناجحة، وأعرف طبيبات ماهرات شرفن أسرهن ووظائفهن، وكان التدين الصحيح من وراء هذا كله"².

ومن منطلق هذه الثقة في قدرات المرأة المسلمة، وإسهاماتها في تطوير مجتمعها، وحفاظها مع ذلك على أسرتها وبيتها، يقر الشيخ الغزالي بأن بين النساء من تجيد إدارة شؤون الجماعة المسلمة على مستوياتها المختلفة، وأنه أولى أن يتولى الإنسان الكفاء النقي، ذكرا كان أم أنثى، فيكتب قائلا: " ما دخل الذكورة والأنوثة هنا ؟ امرأة ذات دين خير من ذي لحية كفور!!"³.

¹ الغزالي، محمد: معركة المصحف في العالم الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط5، ص 247.

² الغزالي، محمد: السنة النبوية، م.س، ص 52، 53

³ الغزالي، محمد: م. س، ص 59.

ويتوج الشيخ الغزالي جهده ونظره في شؤون الأمة وحال نساؤها بكتابة قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة في أوائل التسعينات، ويكتب في مقدمته:

" الإسلام متهم بإهانة المرأة واستضعافها، فهل في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يبعث على التهمة؟ القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف، وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين، الرجل والمرأة معاً، وأن انكسار أحد الجناحين يعني التوقف والهبوط، فلننظر إلى السنة ولنستبعد ما التصق بها من الواهيات والمتروكات. إن مصاب الإسلام في المتحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها"¹.

وربما كان ذروة ما كتبه الشيخ الغزالي عن النساء هو ما ذكره في كتابه تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، إذ ينتقل خطوة أبعد من تكريم المرأة في ذاتها إلى تكريمها في كفاءتها ومشاركتها في صنع حضارة الإسلام وتراثه، وحمل أمانة هذا الدين، فيقول: " علوم السنة من أهم علوم الشريعة، والصدارة فيها تحتاج إلى ذهن ناقد مستوعب حفيظ، وقد كنت أظن النساء آخر من يشتغل بهذه العلوم بلّ أن يبرزن فيها ويبلغن مرتبة الإمامة، بل وجدت عالمات بالسنة لا يشق لهن غبار، ولسن نذرا يسيراً، بل عشرات من العالمات الثقات"².

ولقد تجاوز الشيخ الغزالي في مؤلفاته الأخيرة، أفراد المرأة بالحديث، وأضحى يضمناها خطابه عن الإسلام في مواضع شتى ومناسبات مختلفة، ليقر بذلك بعد مسيرته الطويلة أن حضارة الأمة بناها وبينها الرجال والنساء معاً³.

¹ الغزالي، محمد: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص 6.

² الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 158.

³ عزت، هبة رؤوف، الحق المر: الشيخ محمد الغزالي وقضايا المرأة، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، م.س، ص

وخالصة الأمر فان الباحث يؤكد أن قضايا المرأة شكلت في فكر الشيخ الغزالي إهتماماً واسعاً، وأتاح لها مساحات واسعة في كتاباته وخطبه ومحاضراته، وقد اهتم بتربية المرأة المسلمة، وأكد على أحقيتها في طلب العلم، منها إلى أهمية دورها في البناء والتحرير والتربية، كما حاول أن يصحح بعض المفاهيم الخاطئة والقاصرة، والتي تبناها بعض الإسلاميين المتشددين، الذين يروجون لنصوص واهية، كان لها أثرها في حرمان المرأة من التعليم والتربية وتولي بعض المناصب.

المبحث الثالث: الشيخ محمد الغزالي المربي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص المربي الناجح ومقوماته عند الشيخ محمد الغزالي

المطلب الثاني: أساليب التربية عند الشيخ محمد الغزالي

المطلب الثالث: الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

المطلب الأول: خصائص المربي الناجح ومقوماته عند الشيخ الغزالي

الفرع الأول: حسن الصلة بالله

الفرع الثاني: إصلاح النفس

الفرع الثالث: نكاء العقل ونقاء القلب

الفرع الرابع: الإخلاص

الفرع الخامس: الثقافة الواسعة

الفرع السادس: الجرأة والشجاعة

المطلب الأول: خصائص المربي الناجح ومقوماته عند الشيخ محمد الغزالي

الفرع الأول: حسن الصلة بالله

هي الصلة التي يستمد منها المربي ويقتبس، وإليها يفيء ويرجع، ولها يدعو ويبتهل، ويسميها الشيخ الغزالي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة والمربين، ولا يجوز عنده أن ينفك هذا الخلق عن داعية أو مرب، ويشهد التاريخ أنه ما من نبي أو داعية أو مصلح، إلا وكان له من حسن الصلة بالله النصيب الأوفر، وكانت الصلة بينه وبين الله قوية وحاضرة، وإذا كان حسن الصلة بالله ضرورة لكل مسلم، فكيف يكون حكمها في حق المربي؟ إن الداعية والمربي الذي يكرس وقته لله عز وجل، ولدفع الناس إلى سبيله، وصفهم في طريقه، لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدم، ورقابتهم له أقوى وأوضح. هذه الصلة هي أرقى ما في الحياة، وأهم أسباب النجاة، ولهذا حق على الدعاة والمربين أن لا يهنوا في الحياة، ولا يهنوا، وأن ينظروا إلى الحياة على أنهم أعلى منها¹.

ويوضح الشيخ الغزالي أن خشية الله هي من عناصر الإيمان الأولى، ذلك أن العديد من الآيات القرآنية، توثق الصلة بين الخوف والإيمان، كقوله تعالى ﴿M وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِالذِّكْرِ﴾²، كما أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿M وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ © مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾³ يدل على ارتباط الخشية والخوف من الله تعالى، بمقدار معرفة الإنسان، وإدراكه لمختلف العلوم والمعارف، وأن الإنسان كلما توثقت صلته بالمعارف، وازداد رسوخه فيها، كلما ازداد إيمانه بالله تعالى، وخشيته منه، " والخوف من الله

¹ الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ط6، ص 150.

² سورة النحل: 16 / 51.

³ سورة فاطر: 35 / 28.

عاطفة تتبع من حسن معرفته، وكمال العلم به، فهي ليست وجلا مبهما لا يدري مأتاه، أو نتائجه، بل الخوف شعور واضح بجلال الخلاق العليم"¹.

ولهذا ينبغي أن تكون أولى الأخلاق الملقنة للأجيال المسلمة هي الخشية لله تعالى، لأن ذلك سيكون طريقا لانتشار التقوى، ويقظة الضمير الإنساني بين المسلمين، كما أنه سيكون مفتاحا لتحقيق أهدافهم وآمالهم، فإن الله عز وجل عندما وعد المؤمنين بالنصر على الأعداء، ربط وعده بهذه الرهبة الضابطة لسلوكهم، فقال: M n ml j i h g Lq p o²، وهذه إحدى السنن الإلهية في الكون، والتي تقضي بان النصر يكون لمن يخشى الله تعالى ويخافه"³.

الفرع الثاني: إصلاح النفس

هو واجب على كل مسلم، وأوجب على المربي، وإصلاح النفس ومعالجتها أولى ثمرات حسن الصلة بالله تعالى، فمن ذكر الله تعالى وأحسن الصلة به، بصّره الله بعيوب نفسه، وجعلها منه على بصيرة، أما الذين نسوا خالقهم فهم يسيرون على غير هدى، ويخطون خبط عشواء، AM EDCB J I K G F⁴ LK

وإن من أخطر النقائص أن يدعو المربي إلى خلق وقلبه منه فارغ، أو ينهى عن خلق ويراه الناس عليه، إنه والحالة هذه لا يسيء إلى نفسه وحسب، بل يسيء إلى غيره من المربين، لا بل يسيء إلى الإسلام ذاته.

¹ الغزالي، محمد: الجانب العاطفي من الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2005م، ص 221.

² سورة إبراهيم: 14 / 14.

³ الغزالي، محمد: سر تأخر العرب والمسلمين، م.س، ص 64.

⁴ سورة الحشر: 19 / 59.

وفضلاً عن ذكر الشيخ الغزالي لنوع من المرابين يحسبون كل ما يقولونه لغيرهم ليس موجها إليهم بالدرجة الأولى، إنما هو أمر يخص المخاطبين فقط، إنهم أشرطة مسجلة، أو اسطوانات معبأة، تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها، وهي تهرف بما لا تعرف، ثم توضع في أماكنها لتدار مرة أخرى إذا احتيج إليها.

ومع أن هذا النوع أهون من سابقه فإن الشيخ الغزالي يقول عنهم: " هم آفة الإيمان، وسقام الحياة، وهم النقل الذي يهوي بالمثل العليا، ويمرغها في الأوحال"¹.

الفرع الثالث: ذكاء العقل ونقاء القلب

هذه فطرة يُفطر عليها المربي ويُخلق بها، تجعله يقدر الأمور بمقدارها، ويضع كل شيء بمكانه، ويزن كل شيء بالقسطاس المستقيم، وهي تعبر عنها كلمة الحكمة μM ﴿إِشَاءٌ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾².

والشيخ الغزالي يوضح مراده بذكاء العقل قائلاً: " ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة، يكفي أن يرى الأشياء كما هي دون زيادة أو نقص، قد رأيت بعض الناس مصابا بحول فكري لا تتضبط معه الحقائق، فقد يرى العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعا، ومن ثم يضطرب علاجه للأمور، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة"³. ويبين الشيخ الغزالي الحاجة الماسة للذكاء حيث يقول: " إن حاجة الإسلام إلى الذكاء، لا تقل عن حاجته إلى الإخلاص، أو بتعبير القدامى: لا بد من الفقه الواسع إلى جوار النية الخالصة"⁴.

¹ الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص 154.

² سورة البقرة: 2 / 269.

³ الغزالي، محمد، الحق المر: م.س، ص 135. وانظر خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج1، ص 17.

⁴ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 137.

كما يبين رأيه بنقاء القلب فيقول: " لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة، وإنما أنشد قلبا محبا للناس، عطوفا عليهم، لا يفرح لزلتهم، ولا يشمت في عقوبتهم، بل يحزن لخطئهم ويتمنى لهم الصواب"¹

والقدرة على هذا الأسلوب لا يُلقاها عند الشيخ الغزالي إلا من استجمع ثروة هائلة من نصوص الكتاب والسنة، تكون رصيذا عنده لأي داء وافد أو مرض عارض، وإحاطة تامة بطبيعة البيئة وأحوالها الخفية والجلية، وظروفها القريبة والبعيدة، ليكون ذا خبرة واعية بالميدان الذي سيعمل فيه، حتى يدرك كيف يصلح دنيا الناس بدين الله.²

ولأن هناك دعاة ومربون يعيشون في الماضي البعيد، وكأن الإسلام دين تاريخي، وليس حاضرا ومستقبلا، والغريب أنك قد تراه يتحامل على جماعات قديمة مذهبية، وهو محق بذلك، لكنه ينسى أن الخصومات التي تواجه الإسلام قد تغيرت وحملت حقائق وعناوين أخرى³

إن المربي الذي لا يجمع بين الذكاء والنقاء يثير مشكلات معقدة أمام انتشار الإسلام، فلا دين إذا لم يتكون القلب النقي والعقل المؤمن، فمن فقد الضمير الصاحي والفكر الذكي فلا خير فيه⁴.

الفرع الرابع: الإخلاص

لا عجب إذا ما تأخر الإخلاص إلى ما بعد حسن الصلة بالله، وإصلاح النفس، والذكاء والنقاء، فلا يغني الإخلاص شيئا إذا كانت الصلة بالله ضعيفة، بل هما متلازمان، وكذلك الأمر إذا كان مخلصا ولا يتعهد نفسه بالعلاج والمجاهدة، أو يخالف قوله فعله، وهل يغني الإخلاص عن ذكاء العقل ونقاء القلب شيئا؟

¹ الغزالي، محمد: الحق المر، م.س، ص 135. وانظر خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج1، ص 16.

² الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص156.

³ الغزالي، محمد: خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج1، ص16.

⁴ الغزالي، محمد: الحق المر، م.س، ص 136، 141، علل وأدوية، م.س، ص 208-210.

والإخلاص هو روح الدين ولباب العبادة، وشرط قبول العمل، فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه، وإذا كان الإخلاص هو فريضة على كل مسلم، فهو في حق المربي أفرض وأوجب، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من الآيات والأحاديث التي تحض على الإخلاص في العمل والعبادة، وتحذر من الشرك بالله وابتغاء غير وجهه تعالى بالعمل. إن المربي المرئي يقترب في فكر الشيخ الغزالي، جريمة مزدوجة، إنه في جبين الدين سُبّة متقلبة، وآفة جانحة، وتفقه الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأعداء، وقد رويت آثار كثيرة تفضح سيرتهم، وتكشف عقباهم، والذي يحصي ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدي أعداء التدين لا يستكثر ما أعد لهم في الآخرة من ويل، والعمل الخالص الطيب ولا يقبل الله إلا طيبا هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض، وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحرك لإجابة رغبة أو كبح رغبة¹.

الفرع الخامس: الثقافة الواسعة

فقر الثقافة للدعاة والمربين، يمثل في فكر الشيخ الغزالي خطرا أشد من فقر الدم، وأسوأ عقبى من الفقر المالي، والشعب الذي يعاني من الغباء والتخلف، لا يصلح للمعالي، ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة²، فغزارة الثقافة، وسعة الأفق، وروعة الحصيلة العلمية، خصال لا بد منها لأي داعية أو مُربٍ ناجح، فالمربي يواجه طبقات شتى، واهتمامات متعددة، تختلف باختلاف الناس، إنه يخاطب الطبيب والمهندس والأستاذ والمعلم والعامل والصانع والحائك والتاجر، والمتعلم والجاهل، والمؤدب وسيء الأدب، والعاقل والأحمق، إنه يحتاج إلى ثقافة تضم كل هؤلاء وتؤثر فيهم. ولهذا يطلق الشيخ الغزالي العنان في الثقافة أمام الداعية والمربي، يقول: "إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى أن يكون عارفا للكتاب والسنة والفقهاء الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملما بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات، ويحتاج

¹ الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص 161-165.

² الغزالي، محمد: كنوز من السنة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2001م، ص 12.

الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازلهم، سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية، أو كتابيين ينكرون الإسلام¹، كما يحتاج الداعية والمربي في نظر الشيخ الغزالي إلى علوم العربية والأدب شعرا ونثرا، ف " الداعية الذي يشعر بغربة في ميدان الأدب يجب أن يترك ميدان الدعوة لفوره، فإن الذي يحاول خدمة الرسالة الإسلامية دون أن يكون محيطا بأدب العربية في شتى أعصارها إنما يحاول عبثا، وأنى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم ديننا كتابه معجزة بيانية، ورسوله إمام للحكمة وفصل الخطاب"².

ويركز الشيخ الغزالي في الثقافة على فهم القرآن أولاً قبل السنة بالذات، لأن السنة مبينة له، وشارحة لغامضه، وموضحة لمبهمه، وقد قال الله تعالى: M 6 5 7 8 9 : ; < = > L³. فالنفس الإنسانية لا تدرك أطرافا من الكمال الأعلى يغرس في أعماقها أروع العفائد، وأرسخ الإيمان، إلا إذا اتصلت بهذا القرآن واستمعت إليه، وفتحت أنظارها لهديه"⁴.

الفرع السادس: الجرأة والشجاعة

فالداعية أو المربي على حق في مواجهة باطل، وهذه صفة يسقط عندها كثير من الدعاة والمربين إلا من عصم الله وسدد، ذلك أن فتن الحياة كثيرة، فهذه رغبة في مال، أو منصب يثني، وتلك رهبة عن طريق رزق أو ولد تصد، وهذا سلطان يخيف، وذلك جبار يقعد. إن الفتن من حول الإنسان كفيلا أن تقعد الداعية والمربي وتثنيه عن قولة الحق والصدع بها ما لم يكن معه من الإيمان وحب الحق والطهر ما يجعله يوضح معالم الهدى، ويعلي كلمة الله... والشجاعة في الجهر بالحق عند الشيخ الغزالي تنبعث من اجتماع خلقين عظيمين، امتلاك الإنسان نفسه، وانطلاقه من قيود الرغبة

¹ الغزالي، محمد: خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج1، ص16، مع الله، م.س، ص 175.

² الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص 180.

³ سورة النحل: 16 / 44.

⁴ الغزالي، محمد: هموم داعية، م.س، ص 83، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، م.س، ص 82-83.

والرهبة، وارتضاؤه لونا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع، وشهوة التمتع، فكم من داع يبصر الحق ويقدر على التذكير به، ولكنه يحتبس في حلقه فلا يسمع به أحد، لماذا؟ لأنه لو نطق به لحرّم من هذا النفع، أو لغضب عليه هذا الرئيس، فهو إيثار لمتاع الدنيا يلزم الصمت ويظلم اليقين¹.

والخلاصة فإن المربي الناجح عليه أن يتصف بصفات معينة بينها ووضوحها وركز عليها الشيخ الغزالي، ومن شأن هذه المقومات الهامة إذا ما توفرت في المربي والداعية أن يلقى كلامه إنصاتا من الناس، واستجابة لما يدعو له.

¹ الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص 172.

المطلب الثاني: أساليب التربية عند الشيخ محمد الغزالي

الفرع الأول: التربية بالقدوة الصالحة

الفرع الثاني: التربية بالقصة

الفرع الثالث: التربية بالوعظ والتذكير والتلقين الواعي

الفرع الرابع: الترغيب والترهيب

الفرع الخامس: التربية بالمواقف والأحداث

الفرع السادس: التربية بشغل أوقات الفراغ

الفرع السابع: أسلوب التدريب والممارسة العملية

الفرع الثامن: أسلوب التربية بالعادة

المطلب الثاني: أساليب التربية عند الشيخ محمد الغزالي

الفرع الأول: التربية بالقدوة الصالحة

الأصل في التربية الإسلامية أنها تربية عقديّة دينية نبوية، وأنها تربية نبيلة المقاصد والغايات، وأن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس، قال تعالى: **M لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ¹، والقدوة الصالحة الحسنة من أعظم الوسائل تأثيرا في النفس، وأقربها إلى النجاح، والمعلم لا بد وأن يتمثل المنهج الذي يدرسه ويربّي عليه " لن تصلح التربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيئ لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه، وتقتبس الإعجاب الخاص من خلاله، وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره، بل ليحصل التابع قدرا كبيرا من الفضل، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه مثلا أعلى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يخرس بين أصحابه هذا الخلق السامي بسيرته العطرة قبل أن يخرسه بما يقول من عبر وعظات ².

" ومن هنا نجد أن نجاح عملية التربية تتوقف على المربي القدوة، حتى تتأصل القدوة في نفوس النشء منذ نعومة أظفارهم، كما يوجه الإسلام الآباء والأمهات والمربين عموما حين يصبحون قدوة، ألا يثيروا التناقض بين ما يدعونه ويظهرونه لأولادهم وبين سلوكهم، لما يترتب على ذلك من آثار سيئة على تربيتهم ³.

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن حدة الذكاء وسعة العلم لا تغنيان عن طيب النفس وشرف الخلق عند المربي، وإلى أنه يمقت الذكي الشرير، وأن النفس الصغيرة لا تزيد المعرفة الكبيرة إلا قدرة على الأذى وطاقة على الإساءة ⁴.

¹ سورة الأحزاب: 21 / 33.

² الغزالي، محمد: خلق المسلم، م.س، ص 15-16.

³ الخطيب، محمد شحات: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص 107.

⁴ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 87.

الفرع الثاني: التربية بالقصة

والقصة من أنجح وسائل التربية، لأنها تؤثر في الوجدان تأثيراً قويا، تجعل الخيال ينتقل مع مشاهد القصة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بالعديد من القصص التاريخية واجتماعية وواقعية... الخ. " والقصة في القرآن الكريم للتوجيه والتربية والتعليم، وعلاج لبعض الأمراض النفسية كالتكبر والغرور

M لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ¹ ، وقد قص علينا القرآن الكريم أخبار الماضي، وسواء كانت القصص مفردة أو مكررة، فهي في السياق القرآني أداة تربية ومصدر توجيه ووعظ، يدعم الفرد والجماعة، قصص القرآن الكريم قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار، الإنسان قد يختلف في ريفه وحضره، وأميته وثقافته، ولكن ذلك الاختلاف يبدو في الوسائل إلى الأهداف، ولكن غرائزه أصلها ثابت².

فالتربية الإسلامية الصحيحة عند الشيخ الغزالي تقوم على فقه واسع في الحياة والأحياء، في الأرض والسماء، في كل ما يؤثر فينا ونؤثر فيه، حتى لكأن ذلك كله ديننا ودينانا، وأولانا وأخرانا، ثم تسخير ما بلغناه بعد ذلك لإرضاء ربنا وكسب آخرتنا³

الفرع الثالث: التربية بالوعظ والتذكير والتلقين الواعي

تتأثر النفس الإنسانية بما يلقي إليها من كلام، ولذا كانت الموعظة الحسنة من الوسائل التي تصل إلى النفس وتحرك الوجدان، والقرآن الكريم حافل بالمواعظ في شتى الأمور⁴.

¹ سورة يوسف: 12 / 111.

² الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، م.س، ص 89-90.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 91

⁴ قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص 187.

ولكي تؤدي التربية محاورها المرجوة فلا بد من:

- أ- أن تتجدد وأن تتكرر، لأن الإنسان ينسى، والتكرار يثبتها في الذهن.
- ب- أن تكون بأسلوب يناسب سن المتلقي.
- ت- أن تكون من مجرب، عالم حكيم.
- ث- "أن يكون المعلم مثلاً يُقتدى به، فالقدوة الحسنة أساس نجاح الموعظة"¹.
- ج- إشعار الأفراد محل توجيهه بالعطف والاهتمام.
- ح- "اتباع التدرج في النصح والإرشاد"²

ولا بد وأن يسخر الدعاة والمربون جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق والعالم، والداعية قد يشغل عن واجبه، وهنا يجيء دور التركيز في إبعاد الغفلة عنه، فالتركيز المستمر ضرورة إذا للناس جميعاً ما بقوا بشراً مطبوعين على النسيان³.

فالتربية عند الشيخ محمد الغزالي عمل يستغرق العمر كله، منذ بدء التكليف الى انتهاء الأجل، ومن الخطأ تصور أنها بناء يتطلب بضعة شهور أو بضع سنين يعقبه استجمام واسترخاء، المؤمن مع نفسه كقائد السيارة يظل يقظاً طول الطريق، وإلا فقد يهلك في ساعة إغفاء، إن المرء يجاهد نفسه بالغدو والآصال، سائراً إلى ربه بثبات، والسائر إلى الله يترضاه بفعل ما أمر أو ترك ما نهى⁴

الفرع الرابع: الترغيب والترهيب

تأتي هذه الوسيلة عندما تعجز الوسائل عن تحقيق الهدف المرجو منها، فهذه التربية-الثواب والعقاب-تأتي حين لا تفلح القدوة ولا الموعظة. وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقاب وترفض استخدامه، ولكن العلاج قد يكون علاجاً حاسماً يضع الأمور في نصابها الصحيح، فليس المطلوب من المربي أن يفكر في العقوبة كأول وسيلة ولا أقرب طريق، ولكن يبدأ بالثواب

¹ كامل، مصطفى: منهج الإسلام في التربية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص71.

² الخطيب، محمد شحات: أصول التربية الإسلامية، م.س، ص 119.

³ الغزالي، محمد: مع الله، م.س، ص 156.

⁴ الغزالي، محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص94.

والمكافأة وليس بالعقوبة، يبدأ بالترغيب وينتهي بالوعيد، والمربي الواعي هو الذي لا يلجأ إلى العقاب إلا عندما تفشل الأساليب الأخرى¹.

ويعبر الشيخ الغزالي عن ذلك بقوله: "الترغيب هو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات، جاء في القرآن الكريم والسنة مقرونا ببشريات كثيرة، وحكم جليلة، والدعاة عندما يقرون العامة والخاصة باتباع تعاليم الدين، لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة، وكما تقاد النفس عن طريق الرغبة، تقاد عن طريق الرهبة، فتكف عن الرذيلة خوفاً من العقوبة، وللتربية الحديثة رأي سيء في الترغيب والترهيب، ورأيها في توجيه الصغار والكبار يقوم على شرح الفضائل والرذائل، وما فيها من خير مجرد وشر مجرد، وقلما تلوح بأجزية على الأعمال إلا أن تكون أجزية معنوية أو مادية معجلة، إن التخويف بالعقوبة البدنية والتلويح بالمكافآت المادية أمران لا بأس بهما في مجال التربية"².

الفرع الخامس: التربية بالمواقف والأحداث

الحياة سلسلة من المواقف والأحداث، والإنسان في تفاعل مستمر معها، والمربي البارع لا يترك الأحداث تمر أمامه دون أن يستفيد مما فيها من عبر وعظات ودروس، فيقدمها لأبنائه وطلابه، والمنهج الإسلامي يستغل هذه الأحداث في التربية، ويصحح الخطأ إن وجد، وكذلك تعلم المسلمون من "أحد" و"حنين"، إن الرجل الذي لا يعي تجاربه الخاصة، ويتعلم منها كيف يتجنب المزالق، ويتقي الخصوم، رجل مقيد النظر ضعيف الإيمان، والأمة الإسلامية التي سلخت من عمرها هذه القرون، وخرجت بثروة طائلة من الأحداث الجسم، يجب أن تضع أمام عينيها الدروس التي تلقتها خلال هذه الأماد، حتى لا تقع في ذات الحفر التي وقعت فيها من قبل، أو تلدغ من الجحر القديم نفسه³. فالمربي الجاهل قد يسيء إلى الدين وإلى الناس، بعدم بصره بأسباب الداء وأصول الدواء،

¹ كامل، مصطفى: منهج الإسلام في التربية، م.س، ص 80-81.

² الغزالي، محمد: نظرات في القرآن الكريم، م.س، ص 81.

³ الغزالي، محمد: معركة المصحف في العالم الإسلامي، م.س، ص 138.

فيصف للإنسان المصاب بفقر الدم رياضة تقتله، ويصف للإنسان المصاب بضغط الدم علاجاً يزيد سوءاً على سوء، إن قراءة النصوص وخاصة السنن دون معرفة الملابس التي قيلت بها ليست باباً إلى العلم الصحيح، ولا وسيلة إلى التربية الجيدة¹

الفرع السادس: التربية بشغل أوقات الفراغ

تفريغ الطاقات في الإسلام يتم من خلال شغل أوقات الفراغ، حتى لا يشغله بالشر والفساد والتفاهة، ولعل ما يقع فيه شبابنا من انحلال وفساد، كان سببه الفراغ الكبير الذي يمتد في حياتهم، فراغ روحي وفراغ جسدي وفراغ عقلي وثقافي، فعندما يتم شغل أوقات الفراغ بطريقة مناسبة لتعاليم الإسلام، وتتفق مع أخلاقياته ومبادئه، نكون قد تخلصنا من واحد من أهم أسباب الانحراف في مجتمعنا.

ويؤكد الشيخ الغزالي على قيمة الوقت، الذي إن فقدته الإنسان فإنه لن يعود أبداً " إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل، هذا صحيح، فإن النفس لا تهدأ، إذا لم تدر في حركة سريعة من مشروعات الخير والجهاد والإنتاج المنتظم، لم تلبث أن تنهبها الأفكار الطائشة، وأفضل ما تصون به حياة الإنسان أن ترسم له منهاجا يستغرق أوقاته، وأحسب أن المجتمع يستطيع الخلاص من مفسد كثيرة لو تحكم في أوقات الفراغ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد، بل بخلق الجهد الذي يستنفد كل طاقة، ويوجه هذا وذاك إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده"².

الفرع السابع: أسلوب التدريب والممارسة العملية

لقد أكد الإسلام على العمل، ففي معظم آيات القرآن الكريم تجد " الذين آمنوا " مقرونة بقوله تعالى " وعملوا الصالحات "، هؤلاء لهم الفلاح فقد حكم الله على الإنسان بالخسارة إلا المؤمنين الذين

¹ الغزالي، محمد: من معالم الحق في كفاحننا الإسلامي الحديث، م.س، ص193.

² الغزالي، محمد: جدد حياتك، م.س، ص55-56.

يعملون الصالحات M ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z .

وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتتمية السلوك العلمي الرشيد، وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا مارسوا ما تعلموا من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة، ولذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، إن التربية لن تبلغ تماما ولن تستقيم على منهجها، إلا إذا خرجت بأصحابها من الصومعة التي يتحنثون فيها، والتقت بهم وجها لوجه مع مشكلات المجتمع ومفاتيح الدنيا، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا علم الناس الوضوء أو الصلاة، لم يفتح لذلك مدرسة تنظم حصصها، وتلقى فيها المحاضرات الطوال، بل كان توضحه وإقامة الصلاة الأسلوب المتبع في جمع الناس على الوضوء والصلاة، وإذا أراد نصرته دعوته لم يحدثهم طويلا عن أساليب الجهاد الناجح، وشرائط إحرار الثواب المأمول، بل قادهم فعلا إلى الساحات الحامية، إن أساليب التربية الحديثة تتفق مع هذه السنة النبوية في تكوين الأتباع وخدمة المبادئ². إن التربية ليست وضع البذور في أرض على رجا مطر يجيء أو لا يجيء، ولا جهد وراء ذلك، كلا، إنها بذر وسقي وتعهده، ومطاردة للحشرات والأوبئة، ومتابعة صاحبة حتى أوان النضج، والحق أن الصحابة والتابعين كانوا نتاج تربية نبوية مباشرة، جعلت منهم الجيل الذي حول الحضارة الإنسانية من حال الى حال³.

الفرع الثامن: أسلوب التربية بالعادة

إن الإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية، فيحول الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس في غير جهد، وكذلك يحول دون الآلية الجامدة في الأداء، والإسلام بدأ بالقضاء على العادات السيئة

¹ سورة العصر: 103 / 1، 2، 3.

² الغزالي، محمد: في موكب الدعوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005م، ص 221-222.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 96.

مثل وأد البنات، وشرب الخمر والربا والزنا، وكذلك العادات النفسية السيئة، مثل الكذب والغيبة والنميمة والغمز واللمز والكبر، ثم بذر الإسلام العادات الحسنة مثل الصلاة وتلاوة القرآن، وكذلك كل عادة من عادات الإسلام، تبدأ باستحياء الرغبة، ثم تتحول إلى عمل حي لا يكلف أداؤها شيئاً من الجهد، وهو مع ذلك رغبة واعية لا أداء مجرداً من الشعور¹.

" واعتبار الأعمال المعتادة عبادة، متى استجمعت شرف القصد، ونبل الغرض، حكم مقرر في الإسلام، لا نطيل بالتمثيل له، فالشواهد له فوق الحصر، وأكثر عبادات المؤمن من هذا القبيل، لأن دائرة هذا النوع من الأعمال تشمل الحياة كلها، ولا يتم الدين ولا يستقيم أمره إلا بها².

والخلاصة فإن الشيخ الغزالي اعتمد في التربية على وسائل متعددة، وتتعاون هذه الوسائل في إعداد الإنسان الصالح الجدير بخلافة الله في الأرض، وكل وسيلة منها تنفذ إلى النفس من أحد جوانبها، وتحرك بعض أوتارها، وتسايرها في اتجاهاتها، لتلتقي وقد تحقق الهدف المنشود بالتربية. ويرى الشيخ الغزالي أن الذي يهتم في مجال التربية، تكوين الأخلاق الحميدة بكل ما تفرضه العادة على ذوبها من نظام ورتابة، فإن انعدان الأخلاق، أو وجود بذرتها في حال بدائية رخوة لا يغني شيئاً، لأن الطباع السيئة في النفس تتحرك دون كبح قوي يصدّها³.

¹ قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية، م.س، ص 246 وما بعدها.

² الغزالي، محمد: هذا ديننا، دار الشروق، القاهرة، ط3، ص 105.

³ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 182

المطلب الثالث: الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

الفرع الأول: العدل الاجتماعي

الفرع الثاني: مقاومة الاستبداد السياسي

الفرع الثالث: توحيد الأمة

الفرع الرابع: محاربة الفهم غير الصحيح للدين

الفرع الخامس: المحافظة على التراث الإسلامي، وتنقية الثقافة الإسلامية

المطلب الثالث: الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد الغزالي

الفرع الأول: العدل الاجتماعي

في أربعينيات القرن الماضي بدأ الشيخ الغزالي معركته ضد الظلم والتفاوت الاجتماعي، فقد كانت الثقافة السائدة حينذاك ومعها الفن والإعلام، يتحدثون عن الريف المصري بأنه موطن الجمال ومسرح الخضرة، الشيخ الغزالي رفض هذا المبدأ ورد على هذا الزيف قائلاً: "إن نظرتي للأشياء واقعية اقتصادية، لا أثر فيها للخيال"¹.

ونادى بضرورة حل المشاكل الاقتصادية كضرورة لعمل المربين، يقول في ذلك: "لقد رأيت بعد تجارب عدة أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جداً أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان جسده عارياً، إنه يجب أن يؤمن على ضروراته التي تقيم أوده كإنسان، ثم ينتظر بعدئذ أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان.. فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع، والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين فعلاً في محاربة الرذائل والمعاصي والجرائم باسم الدين، أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين"².

كان عمر الشيخ الغزالي في الثلاثينات عندما بدأ الكتابة في هذا الجانب الفكري، وكان فيه رائداً بحق، وكانت كتاباته بمثابة صيحات توفيق النائمين، ومشاعل نور تضيء للسائرين، وإن كان ينقصها المنهجية الأكاديمية، فلم يكن ينقصها النظر السليم، والفكر القويم، والفقهاء المستقيم³. لقد أدرك الشيخ الغزالي أن الظلم الاجتماعي كان مخططاً له، ومستهدفاً، فالقلة التي تحتكر السلطان

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005م، ص 129.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 42.

³ القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 205.

السياسي كانت حريصة على عزل جماهير الأمة عن منازعتها هذا السلطان السياسي، وذلك بإيقائها أسيرة الفقر والعوز، يقول الشيخ الغزالي: " إذن فبقاء الناس صرعى الفقر والمسكنة والحق يقال هدف أكثر الحكومات المتتابعة، في العصور السابقة واللاحقة، إذ إن تجويع الجماهير بعض الدعائم التي تقوم عليها سياسة الظلم والظلام، ومن هنا انتشر الفقر في الشرق، وسُخر الدين ورجاله لحمل الناس على قبوله واستساغته، وفُسرت نصوص الدين المتصلة بهذا المعنى تفسيراً سقيماً، نسي الناس معه حقوقهم وحياتهم، وجهلوا دنياهم وأخراهم، وحسبوا الفقر في الدنيا سبيلاً إلى الغنى في الآخرة"¹.

يوضح الشيخ الغزالي فلسفة الإسلام في الأموال والثروات فالوسطية منهجه من حيث العدل والتوازن، وينادي بأن على الحكومات أن تحقق هذه الفلسفة في الممارسة والتطبيق، وأن تسهر على إعادتها إلى نصابها كلما لحق بها خلل أو حل الظلم محل العدل والتوازن والقسط، لذا يجب أن يحكم علاقات الناس بالثروات والأموال². فيقول: " إن هدف الديانات والرسالات هو قيام التوازن بين الناس بإقامة العدل الاجتماعي والسياسي فيهم، وقيام الناس بالقسط هو محور الارتكاز الذي لا يتغير أبداً، وللحكومة -من وجهة النظر الدينية- أن تقترح ما تشاء من الحلول، وان تبتدع ما تشاء من الأنظمة لضمان هذه المصلحة، وهي مطمئنة إلى أن الدين معها لا عليها، ما دامت تتحرى الحق، وتبتغي العدل وتتضبط بشرع الله فيما تصدره من اقتراحات وقوانين"³.

ويؤكد الشيخ الغزالي على أن فلسفة الإسلام في الأموال هذه، التي تقوم على التوازن إنما تقوم على مبدأ أن الملكية الحقيقية في الأموال هي لله عز وجل وحده، وان ملكية الإنسان في المال إنما هي ملكية مجازية، باعتباره مستخلفاً في المال، وليس مالكه على سبيل التحقيق، " فالمال الذي في أيدينا هو ملكنا على سبيل التجوز لا على الحقيقة، ونحن مستخلفون فيه لينظر الله ماذا نعمل به،

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، م.س، ص113.

² عمارة، محمد: الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 113.

³ الغزالي، محمد، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، م.س، ص 103.

فإما حكمت تصرفاتنا لنا أو علينا، ولهذا يشير القرآن الكريم ﴿M﴾ P O N M L Q
L¹ M e d f i h g j k l m n o p q r s t u v w x y z .² 3

وفي أول كتاب ألفه الشيخ الغزالي سنة 1366هـ، 1947م، وهو كتاب " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " تقدم ببرنامج للإصلاح الاجتماعي والمالي، كان من مقترحاته ما يلي:

(1) تأميم المرافق العامة، وجعل الأمة هي المالكة الأولى لموارد الاستغلال، وإقصاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن، أجنبية أو غير أجنبية، وعدم إعطاء أي امتياز فردي من هذا القبيل.

(2) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى، وتكوين طبقة من صغار الملاك، تؤخذ نواتها من العمال الزراعيين.

(3) فرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى، يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية.

(4) استرداد الأموال التي أخذها الأجانب، وإعادتها إلى أبناء البلاد، وتحريم تملك الأرض المصرية على الأجانب تحريماً مؤكداً.

(5) ربط أجور العمال بأرباح المؤسسات الاقتصادية التي يعملون فيها، بحيث تكون لهم أسهم معينة مع أصحابها في الأرباح.

(6) فرض ضرائب تصاعدية على التركات، تنفق في وجوه الخير، على النحو الذي أشار به

القرآن، إذ يقول: ﴿M 6 7 8 9 : ; < = > ? @

A B L⁴، ثم يختم حديثه عن هذا البرنامج بقوله: " ولو لم يبق لكل فرد من أفراد

¹ سورة النور: 24 / 33.

² سورة الحديد: 57 / 7.

³ الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، م.س، ص 102.

⁴ سورة النساء: 4 / 8.

الشعب لإقوته الضروري، لما جاز أن تتراجع الدولة في تحقيق هذا البرنامج، الذي تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار.¹

الفرع الثاني: مقاومة الاستبداد السياسي

يؤكد الشيخ الغزالي أن الفساد السياسي كان من أهم عوامل انهيار الحضارة الإسلامية، فمنذ زمن بعيد ونتيجة لانحراف سياسة الحكم عن مسارها، وفقدان الحكام لأسس القيادة الرشيدة لأممهم وشعوبهم أسفر ذلك عن سقوط تام للأمة الإسلامية، وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي: " إن الفساد السياسي عندنا، كان السرطان الذي أودى بحضارتنا ورسالتنا خلال قرون مضت، إن حكامنا كانوا القشرة العفنة في كياننا منذ زمن بعيد "².

وامتداد الاستبداد السياسي عبر التاريخ الإسلامي، يدل على أنه من الأخطاء القديمة، المتجددة باستمرار، مما يبرز خطورته الكبيرة في إدامة أخطاء الحكم، ومعاناة المجتمعات الإسلامية في ظلهم، ولعل ذلك هو السبب في اهتمام الشيخ الغزالي كثيرا بالحديث عن الفساد السياسي، ومنحه درجة كبيرة من الخطورة والمسؤولية على ما لحق بالأمة من هوان وإذلال أمام غيرها من الأمم، وإجلاء الصورة أكثر، يدعونا الشيخ الغزالي إلى تقصي التاريخ، وتتبع مختلف مراحل وأحداثه، للوقوف على الحقيقة الثابتة، وهي أن الحكم الذي ترسخت مبادئه الرفيعة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده كان قائما على محورين أساسيين هما:

(1) أن الأمر يوسد إلى أهله، فالحاكم يُختار لكفاءته، وقوته، وقدرته على تحمل منصب خطير كمنصب الخلافة، وتحمل أمانة عظيمة، هي تولى شؤون المسلمين كافة بما يضمن لهم الاستقرار، والأمان في شتى الميادين.

¹ الغزالي، محمد: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، م.س، ص 129.

² الغزالي، محمد: الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، م.س، ص 21.

(2) أن هؤلاء الحكام كانوا في إطار منصبهم حريصين على نيل رضوان الله عز وجل عنهم، بتفانيهم وإخلاصهم في حسن تسيير شؤون رعاياهم، أما نيل مطامع الدنيا وزينتها، فذاك الذي لم يعرف عن أحدهم انشغال به، أو حرص على إدراكه.

فكانت النتيجة أن سار المجتمع الإسلامي في ظل حكم راشد، لم تعرف البشرية مثيلا له قديما وحديثا، حكم نعمت في ظلله الرعية بحياة راقية، ومتطورة، ومستقرة في شتى الأصعدة. حاكمها يتعهد بالسهر على إسعادها، وتحقيق مطالبها، وهو متعاون معها على ضرورة بناء المجتمع وترقيته. فكانت بذلك سياسة الحكم متوازنة ومتوافقة بين الراعي ورعيته. أما فيما تلا تلك الفترة، فقد شهد الحكم سيرا بالاتجاه المعاكس، وأصبح نظام الحكم قائما على:

(1) أن الأمر لم يوسد إلى أهله، فإن الحكام الذين تولوا شؤون المسلمين كانوا بعيدين عن مستوى هذا المنصب، ذلك أن اختيارهم ما خضع لمعيار كفاءتهم، أو قدرتهم، ولكنه نحا منحى آخر بعيدا عن خطة السلف، هو توريث الخلافة.

هؤلاء الحكام البعيدون عن مستوى الحكم لم يحاولوا " أن يرتفعوا إلى مستواه، ولا قنعوا ماديا وأدبيا بالعيش في نطاقه المحدد"¹، ولكنهم حين تولوا منصب الحكم وقيادة الشعوب، اتخذوها مصيدة لدنيا عريضة، واستمتع مطلق، وكانت نتيجة ذلك وبالآ على الدولة، وسواد الأمة، ومستقبل الرسالة².

بهذه المخالفة الصريحة لخطة السلف في اختيار الأكفاء مني العالم الإسلامي بحكام " حفروا خنادق بينهم وبين جماهير الأمة، لأن أهواءهم طافحة، وشهواتهم جامحة، لا يؤتمنون على دين الله، ولا دنيا الناس"³. وكان وصولهم إلى منصب الحكم، وتولي شؤون المسلمين كما يرى الشيخ الغزالي إيدانا بفساد سياسي رهيب، لأنه اقترن بالمخالفات الدينية التالية:

¹ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 80.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 80.

³ الغزالي، محمد: هموم داعية، م.س، ص 111.

أولاً: إهمال الشورى

إن إهمال الشورى كان في نظر الشيخ الغزالي، أولى المخالفات التي قام بها الحكام المسلمون فيما تلا مرحلة الخلافة الراشدة، فكانوا بإهمالهم لها، وتخليهم عن إرسائها في دعائم حكمهم يتصلون من الحكم الرشيد، ويتبنون الحكم الفاسد والمستبد. والشيخ الغزالي يذهب إلى أن الشورى واجبة، وأنها فريضة شرعية، ولا مجال لاعتبارها معلمة لا ملزمة، بل إن الحاكم مطالب بالمشورة، وإعمال رأي أهل الخبرة، نظراً لوجود النص القرآني الصريح الموجب لها، وهو قوله تعالى:

M = > @ L¹، إضافة إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أثر عنه في عدة مواقف² احترامه للشورى، ونزوله على حكمها فيما لا وحي فيه، وهو ما أثر كذلك عن الخلفاء الراشدين الأربع من بعده. أما من جاء فيما بعد، وزعم أنها غير ملزمة، فإنه مسيء الفهم لمعنى الشورى، ومدعم للتحويل الذي عرفه الحكام، من رعاة إلى مستبدين، يأخذون برأيهم المفرد، ويتخلون عن النصيح، والمشورة التي يقدمها لهم من أهل الإدراك الأمور على حقيقتها، ويرفضون أية مشاركة لهم في اتخاذ القرار، خوفاً على منصبهم، وحرصاً على موقعهم. فأصبح الواقع السائد في ظل حكمهم " بيئة خصبة للرياء، والملق، والعبودية، ووسيلة فذة لتكبير الصغار، وتصغير الكبار، وغمط الكفايات، ورفع النقاهات"³.

لذلك أكد الشيخ الغزالي على ضرورة توفير الحرية، ومنحها للشعوب الإسلامية، بعودة الحكام إلى تعاليم الإسلام، وإرسائهم لمبدأ الشورى كقاعدة لا حياد عنها، ثم بلورة علاقتهم برعاياهم في نمط قائم " على التناصح، والتواصي بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون على

¹ سورة آل عمران: 3/ 159.

² كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في كل القضايا السياسية التي تعترضهم، ولم يرد فيها وحي، ومن أمثلتها: مشورته لهم في قرار الخروج للقتال في غزوة أحد، وفي حفر الخندق وفي غزوة الأحزاب... وغيرها من القضايا. الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 92.

³ الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، م.س، ص 124.

الخير، ورفض الإعجاب بالرأي، والافتيات على الجماعة¹، فإن هم قاموا بذلك، وجسده في أمهم، فإن المؤكد هو انطلاق الحضارة الإسلامية نحو مجدها المأمول، بعد أن فعلت الطاقات، وحررت المواهب التي طال كبتها وتقييدها، في ظل الاستبداد السياسي، والحكم الفردي، وبعد أن أعيدت الشورى إلى أداء وظيفتها، بإنشاء مجالس، ومؤسسات جادة وضخمة، ومنظمة لها، لا تعود فائدتها على دولة معينة، بل على كل العالم الإسلامي.

ثانيا: العجز الإداري

ويعتبره الشيخ الغزالي ثاني المخالفات الدينية التي اقترنت باختيار الحكام في العالم الإسلامي، وكانت وراء الأحداث السيئة الكثيرة التي حفل بها التاريخ الإسلامي، كانشطار بعض الدويلات عن الدولة الإسلامية، وإعلان بعضها العداء لها، خاصة ما ميز أواخر الخلافة العباسية. والعجز الإداري في نظر الشيخ الغزالي، هو ضعف الدولة، وعدم قدرتها على إدارة مختلف نواحي الحياة فيها، نتيجة لفقدانها عوامل القوة، والتحكم، والسيطرة المركزية على شتى الجوانب المنتمية إلى حدودها. ومن الأمثلة التي أوردها الشيخ الغزالي عن هذا العجز قديما، ما حدث على عهد الدولة العباسية، فقد عجزت عن استرداد الحجر الأسود الذي انتزعه دولة القرامطة² من مكانه، بعد أن فتكت بقوافل الحجيج لسنين عديدة، ولم تتم إعادة الحجر إلى مكانه إلا بتفاهم بين القرامطة والفاطميين³ 4.

¹ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 77.

² القرامطة هي فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك وهم ينتسبون إلى قرمط بن الأشعث، ويقال لهم الإسماعيلية، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، 1425هـ، 2005م، ج11، ص133.

³ الفاطميون من الشيعة الإسماعيلية، كانوا يبنون نظرية الحق الإلهي في الحكم، أسسوا دولتهم الفاطمية بالمغرب سنة 296هـ، فتحوا مصر وجعلوها مركزا لخلافتهم على يد جوهر الصقلي، بلغ عدد خلفاء الفاطميين أربعة عشر خليفة، كان يطلق على الفاطميين العبيديين نسبة إلى أول خلفائهم بالمغرب عبيد الله المهدي، كما كانوا يسمون العلويين نسبة إلى علي بن أبي طالب. أبو السعود، صلاح: الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية، دار طيبة للطباعة، الجيزة، مصر، 1428هـ، 2008م، ص206.

⁴ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص78.

وهذا العجز كما يذهب إليه الشيخ الغزالي دليل على فقدان الدولة لزام السيطرة، والتحكم في مختلف أقاليمها، نظرا لسوء السياسة الإدارية التي تتبعها في التعامل مع مختلف الأمور والقضايا، والفجوة الكبيرة بين الحاكم ومجتمعه وشؤون رعيته، فهو منهمك بشؤونه الخاصة، غارق في أموره الذاتية، أما الرعية فشأنها لا يعنيه، وأمرها لا يهمه.

إن هذا العجز الإداري الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ الإسلامي، لا يزال قائما إلى يومنا هذا، ويعد رواجاً كبيراً في العالم الإسلامي، ولكنه أنكى مما كان عليه سابقاً، والشيخ الغزالي يُحمّله مع ضعف الإنتاج مسؤولية كبيرة فيما لحق العالم الإسلامي من تخلف وانحطاط، ذلك أنهما "مرضان يورثان التخلف السياسي، والفشل الاقتصادي، بل هما وراء التخلف الإنساني الذي يوصم به العالم الثالث، ويحرمه كل تقدير"¹.

ومن مظاهر العجز الإداري القائمة في واقعنا الحالي، والتي كثيرا ما أثارت عجب الشيخ الغزالي ودهشته ما قال فيه: " هذا طلب لإنسان يشكو ضرا نزل به، لقد تحولت الورقة الواحدة إلى ملف كبير، وما انكشف ضرر، ولا تحققت مصلحة"².

ثالثا: فقدان الأجهزة المسؤولة عن الدعوة في الداخل والخارج

يرى الشيخ الغزالي أن الدولة الإسلامية التي انطلقت على أساس الإسلام، ونهضت برسالته، فازدهرت حضارتها، وامتدت حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها، كان بدهيا أن تضم " الأداة التي ترقب سير الدعوة في الخارج، وتشرف على كيانها في الداخل، وأن يكون هناك رصد يقظ

¹ الغزالي، محمد: الحق المر، م.س، ج1، ص 125.

² الغزالي، محمد: م.س، ج1 ص126.

للأرباح، والخسائر، والانتصارات، والهزائم¹. لكن الذي حدث غياب الأجهزة المسؤولة عن الدعوة الإسلامية، سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه. فقد كان الإسلام وقضاياه المختلفة آخر الأمور التي تسترعي اهتمام المسلمين، ولما كان زمام أمر كهذا في صنفين من أبناء العالم الإسلامي هما: العلماء، والحكام، فإن الفجوة الكبيرة التي نشأت بينهما، أي بين العلم والحكم، كانت كفيلة بان تصرف كليهما إلى قضايا جانبية، وإن بدا في أحيان اهتمام العلماء ببعض القضايا المتعلقة بمسار الإسلام، ووضع أمته، وموقف أعدائه منه، " فإن الحكام كانوا في واد، ولعلمهم آخر من يعلم، ويتحرك"².

الفرع الثالث: توحيد الأمة

في إطار القضايا التي عالجها الشيخ الغزالي، أكد أن وحدة الأمة الإسلامية ضرورة لا بد منها، وخطوة لا محيص عن القيام بها، وهو يرى " أن العالم الكبير أمسى مدينة واحدة، وتقارب الزمان والمكان، مع تقدم العلم المادي، فلا يسوغ أن يكون العالم الإسلامي مقطع الأوصال، يحيا كل قطر منه معزولاً علمياً وعملياً عن غيره من أقطار الإسلام القريبة والبعيدة"³. ويكفي المسلمين أن يحتكموا إلى الفترة الذهبية من تاريخهم الإسلامي، ليدركوا الأخوة الإسلامية في أسى صورها، ويعرفوا الوحدة الدينية التي جمعت صفوفهم، وقوت جبهاتهم، فحققت لهم النصر والتفوق، وكفلت لهم الحضارة والصدارة في ظل الحكم السديد، والرأي الرشيد الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو حين أسس أول مجتمع إسلامي، وضع ضمن قواعده الأولى إخاء بين أفرادها، ذلك " الإخاء الذي تمحى فيه كلمة أنا، ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة، ومصحتها وآمالها، فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا فيها، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته، وتقواه"⁴.

¹ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص78.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 78.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 154.

⁴ الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 138.

وانطلاقاً من الواقع الإسلامي، والوعي بجسامة الخسائر التي مني بها المسلمون بعد ضياع وحدتهم وأخوتهم، أكد الشيخ الغزالي أن المسلمين لن يتمكنوا من تحقيق نهضتهم المنشودة، ولا كسر قيودهم الثقيلة، إلا إذا عملوا بجد على إعادة وإحياء وحدتهم وأخوتهم من جديد. وقد حدد جملة من الخطوات الهامة لبلوغ ذلك، وهذه الخطوات هي:

أولاً: الإسلام هو نبض الوحدة

إن أول خطوة لتحقيق الوحدة كما يرى الشيخ الغزالي، هي عودة المسلمين إلى الإسلام، لأن العقيدة الإسلامية هي أساس التوحيد بين صفوفهم، والجمع والتوفيق بين اهتماماتهم وأهدافهم، وفي ذلك يقول: " ينبغي أن نعلم أنفسنا، أن نبض الوحدة بين العرب، وبين المسلمين كلهم هو الدين"¹. وإيضاحاً لمعنى أن يكون الدين أساساً لوحدة المسلمين، دعا الشيخ الغزالي إلى تحقيق أمرين اثنين، هما:

الأمر الأول: إذا كان من واجب المسلمين خدمة دينهم، وإعلاء رايته، فإن الواجب عليهم كذلك ألا يتفرقوا في هذا الدين مصداقاً لقوله تعالى: [M \] ^ _ ` 2 L ، وعدم الفرقة يستوجب عليهم الابتعاد قدر المستطاع عن الاشتغال بالقضايا الجزئية، والمسائل الخلافية، ويكرسوا وقتهم وجهدهم للمسائل والقضايا التي يتفوقون عليها، وهنا يتساءل الشيخ الغزالي: " لماذا ننسى القواعد التي تجمعننا، ونهش للدروب التي نتفرق فيها؟ الحق أن هذا الاهتمام بالأمر الخلافية لون من الطفولة الفجة، والزيغ الفار بأهله من ميدان الحق، لأنه كثير التكاليف، إلى ميدان آخر لا مشقة فيه، ولا تزحمه واجبات ثقال"³. وقد اهتم الشيخ الغزالي بهذه الخلافات المتفشية بين المسلمين، وكان دائم القلق من عواقبها، لإيمانه القوي أن لا جدوى منها سوى بعثرة الجهود الإسلامية، وتصدع جبهة المسلمين، وتوهين قوتهم، وإطالة عمر تخلفهم.

¹ قطب، عبد الحميد قطب: خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج2، ص 36.

² سورة الشورى: 42 / 13.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 6-7.

ولعل أهم صور الفرقة والخلاف التي استرعت انتباه الشيخ الغزالي، هي صورة الخلاف بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي. ولهذا فإنه دعا إلى ضرورة المصالحة بين الاتجاهين، وأكد أن ذلك هو أحد أهم مقومات الوحدة الإسلامية المنشودة، إذ لا يعقل أن تتحد كل القوى المعادية للإسلام، وتتفق على إيمانه، بينما تتفرق قوى الإسلام وتشرذم. وفي ذلك يقول: " لقد انفقت أحزاب أهل الكتاب، وأهل الوثنية، وأحزاب الماديين جميعاً على استئصال شأفتنا، فإلى متى نتفرق؟ لماذا يتباعد أتباع المذاهب الفرعية؟ لماذا تجتر خلافات بين السلف، وتمنح القدرة على الحياة والأذى"¹.

وعلى الرغم من قناعة الشيخ الغزالي بأنه لا يستطيع حل المشكلة القديمة القائمة بين السنة والشيعة، إلا أنه مقتنع بأهمية التنبيه إلى خطورة هذه القضية، ولفت الانتباه إلى ضرورة إزالتها، بإزالة الأوهام القائمة بين الطرفين. ولهذا قدم جملة من المقترحات التي من شأنها إنجاح المصالحة بين الفريقين، والمتمثلة في الآتي²:

1) يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الله المصون الخالد، والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقص، وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وأنه ليس هناك في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

2) السنة، هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنة ما، أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

¹ الغزالي، محمد: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، م.س، ص 110.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 109.

(3) ما وقع من خلاف بين القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي، والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمد من الناحية العلمية تجميدا تاما، ويترك حسابه إلى الله عز وجل وفق الآية الكريمة: **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**¹.

(4) يواجه المسلمون جميعا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، وهي كثيرة جدا وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية، ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

الأمر الثاني: انطلاقا من الفترة الذهبية فترة النبوة والخلافة الراشدة وما سادها من ازدهار وتقدم كبير، وما ميزها من أخوة وترايط وثيق بين المسلمين، يدعو الشيخ الغزالي مسلمي اليوم إلى الاقتداء بتلك الفترة. ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قائد الأمة الإسلامية، هو أول من نجح في تثبيت دعائم الأخوة بين المسلمين، فإن الشيخ الغزالي يرى أن قادة العالم الإسلامي وحكامه في هذه الفترة مطالبون بفرض الأخوة والوحدة على رعاياهم، إن لم يتبنوها عن طواعية، قائلا: " إن الحب كالنبيج الدافق يسيل وحده، ولا يتكلف استخراجة بالآلات والأثقال، والأخوة لا تفرض بقوانين ومراسيم، وإنما هي أثر تخلص الناس من نوازع الأثرة، والشح، والضعة، على أن تنويها بقيمة التسامي النفساني في تأسيس الإخاء، لا يمنع الحاكم من فرضه على الناس نظاماً يُؤخذون بحقوقه أخذاً، فإذا لم يؤديها طوعاً أدوها كرهاً، وذلك كما يجبرون على العلم، والجنديّة، وأداء الضرائب، وغير ذلك"². وهذا العمل إن أداه القادة والحكام المسلمون، فإنه سيكون دليلا على اهتمامهم برعاياهم، وتدرجهم في المراقبة، وصياغة الحلول لشتى المشكلات الطارئة عليهم.

ثانيا: إعادة الخلافة الإسلامية فرض عين

يذهب الشيخ الغزالي إلى إعادة الخلافة الإسلامية من جديد فرض عين على المسلمين، لأنهم بحاجة ماسة إلى قيادة ينضون تحتها، ويتحركون في حدود إمرتها، قيادة توحد شملهم على ما بينهم من

¹ سورة البقرة: 2 / 134.

² الغزالي، محمد: فقه السيرة، م.س، ص 139.

اختلاف في الأجناس، والأعراق، والأوطان، وتحدد موقفهم سيما في متابعة أحوال إخوانهم المضطهدين في كثير من بقاع العالم، ومجابهة أعداء الإسلام الذين كانوا خلف ضياع الخلافة الإسلامية وسقوطها. وسعيا منه لتحديد كيفية إعادة هذه الخلافة، حدد الشيخ الغزالي جملة من القواعد الكفيلة بذلك، وهي تتمثل فيما يأتي¹ :

إعادة النظر في مناهج تعليم الإسلام في شتى مراحل الدراسة العامة، وإعادة النظر في مناهج التعليم الديني نفسه لتخريج فئات أوسع دراية، وأحد بصرا.

اختيار الدعاة وفق مواصفات أدق، وأرقى مما يتبع الآن، وتوسيع آفاق الدعوة الإسلامية، أو الإعلام الإسلامي بحيث تستوعب ميادين النشاط الإنساني جميعا.

إقامة حلقات اتصال بين المجتمعات الإسلامية الموجودة الآن في عواصم الإسلام كلها لتبادل الخبرة، والمشورة العلمية والعملية.

عقد مؤتمرات دولية متصلة لبحث مشكلات الدعوة، ورصد الهجمات المنظمة ضد الإسلام، ووضع الخطط المناسبة لخدمة الرسالة الإسلامية.

بسط الرعاية الدينية على المسلمين المهاجرين إلى الخارج، والإفادة من مواضعهم الاجتماعية والثقافية حتى يكونوا معابر لرسالتنا العظيمة، بدل أن يذوب هؤلاء في دوامة الحياة الغربية.

التقاط الفارين من وجه الحكومات المعادية للإسلام في إفريقيا وغيرها، وتيسير التحاقهم بالمدارس والمعاهد العربية، ليعودوا أقدر على قيادة أممهم، ورد الفتن عنهم.

دراسة المؤتمرات التبشيرية المحلية والعالمية، واستكشاف المؤامرات المبيتة ضدنا.

¹ الغزالي، محمد: فذائف الحق، م.س، ص 126-127.

وبدهي أن ذلك كله لن يتحقق كله أو جزؤه إلا في ظل حكومات تحترم الإسلام، وترى نفسها مسئولة أمام الله عز وجل عن القيام بحقوقه، وليست كل الحكومات العربية كذلك، وعلى الشعوب أن تتحرك، وإلا تعرضت للفناء عقوبة من رب السماء.

وبعودة الخلافة الإسلامية من جديد ستمكن العالم الإسلامي من تحقيق التكتل الذي يجابه به مختلف التكتلات العالمية الضخمة، التي ملأت أفق العالم بأسره، وبذلك يستطيع استخدام واستغلال شتى الامتيازات والإمكانات التي يتمتع بها، بعد أن تتقارب وجهات النظر، وآفاق المستقبل بين أقطاره وشعوبه.

ودعماً لهذه الوحدة المنشودة يقترح الشيخ الغزالي أن "نرسم خريطة الوطن الإسلامي الكبير رسماً موضحاً بالنسب الصحيحة للسكان، مذيلاً بشروح موجزة عن العواصم والبلدان، ثم نجتهد في نشر هذه الخريطة في حجرات الدور، وفصول المدارس، وأمكنة العمل، وفي صدور الاحتفالات، المجتمعات، وبذلك نغالب النسيان أن يطغى، وروح الانفصال أن تسود، ونضع بذور الوحدة الكاملة التي نروينا بأعمالنا وجهودنا، حتى تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها"¹، وبهذا تتضح معالم إعادة الوحدة الإسلامية كما حددها الشيخ الغزالي، وسعى إلى تحقيقها في كل ميادين ومجالات الحياة الإسلامية العامة والخاصة.

ثالثاً: التحرر من النزعات القومية

إذا كانت النزعات القومية من النتائج السلبية لسقوط الخلافة الإسلامية، فإنها كما يرى الشيخ الغزالي "بعض ما أطفأ حماس العقيدة الدينية، وجعل الأخوة الإسلامية أثراً بعد عين"²، فقد أصبحت الدول العديدة منفصلة، لا تهتم الواحدة بما يحصل بالأخرى، ولعل قضية فلسطين هي الأكثر وضوحاً فيما يخص غياب الأخوة الإسلامية. إذ تحولت فلسطين إلى قضية عربية بعد أن

¹ الغزالي، محمد: تأملات في الدين والحياة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005م، ص

² الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، م.س، ص 134.

كانت إسلامية، ونتج عن ذلك أن المسلمين سكتوا عن ضياعها، ومختلف الجرائم والانتهاكات التي تمارس ضد أبنائها، واكتفوا بالتأمل والمشاهدة دون أن تستثيرهم أخوة الدين، أو تدفعهم وحدة العقيدة إلى النضال لأجلها ونصرتها، وحتى العرب الذين بقيت العروبة خطأ واهيا يربطهم بالقضية، فإن دورهم لا يكاد يذكر، وهذا دليل واضح على فشل القوميات في تحقيق الوحدة بين الدول الإسلامية.

وغير بعيد عن القومية العربية، استشرت في العالم الإسلامي نزعات قومية عديدة، بعضها قائم على التعصب لجنس معين، وهي على اختلافها وتنوعها أسهمت في تأجيج الكثير من الجرائم الدموية بين المسلمين، وإطالة العداة والفرقة بينهم. ولهذا ألح الشيخ الغزالي على المسلمين بأن يتركوا التعصب لهذه النزعات، وأن يتمسكوا فقط بالإسلام، لأنه يوحدهم ويقوي شأفتهم، قائلاً: " يجب في دعوتنا لإحياء وحدتنا، أن نميت صيحات الجاهلية، وأن نبرز العنوان الإسلامي وحده أساساً للنهضة، والبعث، والانطلاق إلى مستقبل أفضل"¹

رابعاً: الدور العربي الفعال في بناء الوحدة الإسلامية

مع تتبع خطة الشيخ الغزالي لإعادة الوحدة الإسلامية من جديد، تبرز للعيان نقطة مهمة، وهي أن الشيخ الغزالي يحمل العرب دوراً فعالاً في هذه المهمة، ويدعوهم إلى ضرورة القيام بالعبء الأكبر في سبيل توحيد المسلمين، تأسيساً بالعرب الأولين، واقتداء بهم، وفي ذلك يقول: " إن العمل للوحدة الإسلامية شرف باذخ، ومجد شامخ، ويجب على العرب قبل غيرهم من الأجناس التي تكون الأمة الإسلامية الكبرى، أن يدركوا هذه الحقيقة، وأن يربطوا ولاءهم بدينهم لا بجنسيتهم، وأن يستضيئوا بنهضتهم بشرائع الإسلام وشعائره، لا بالفضلات التي يلتقطونها من موائد الغرب أو الشرق"².

ولإبراز الطريقة التي تتم من خلالها خدمة العرب للوحدة الإسلامية، حدد الشيخ الغزالي أمرين اثنين، وألح على ضرورة قيام العرب بهما، وهذان الأمران هما:

¹ الغزالي، محمد: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟، دار الشروق، د.ت.ط، ص 93.

² الغزالي، محمد: سر تأخر العرب والمسلمين، م.س، ص 125.

أولاً: يرى الشيخ الغزالي أن العرب مطالبون بداية بخدمة اللغة العربية، لأنها لغة الوحي، ولأنها " الدعامة الكبرى للوحدة الإسلامية، ومع موت اللغة سيموت التعليم والتفاهم، والرباط الأدبي المشترك، وستنشأ أجيال منكرة لتراثها، وتقاليدها، بل عباداتها وشعائرها"¹. ولذلك يجب على العرب أن يدافعوا عن لغتهم، ويستमितوا في حفظ مكانتها الرفيعة، ثم عليهم بعد ذلك أن يتجهوا إلى المسلمين من غير العرب بغية " تعريب جماهير غفيرة من كل لون، ليشاركوا مع العرب أنفسهم في فقه الرسالة، وإبلاغ هداياتها"². ولإمداد جسور التآخي بين كافة المسلمين بإمداد علاقتهم بلغة الوحي التي يقدسونها جميعاً رغم اختلاف لغاتهم، وتنوع لهجاتهم.

ثانياً: وقد أضاف الشيخ الغزالي إلى ذلك اقتراحاً يقضي بمضاعفة " الجهد في وزارات الإعلام لجعل البرامج الموجهة على درجة من الكفاية الثقافية لتستطيع خدمة اللغة العربية، وتعليمها لمن يجهلونها، وكذلك لدعم القيم الدينية، ورد الشبهات التي تثار حولها"³. وهكذا تكون خدمة العرب للغتهم سبيلاً إلى خدمة أبناء الإسلام من غير العرب، وتمهيداً لإعادة الرباط القوي بينهم مهما اختلفت لغاتهم، أو تباعدت أوطانهم.

ونظراً لاستحالة تعريب كل مسلمي العالم، فإن الشيخ الغزالي يقترح على العرب، بل يوجب عليهم " نقل هدايات الإسلام نفسها إلى لغات، وآداب الأمم الأخرى"⁴. وهذا لتمكين المسلمين الذين لا يتقنون اللغة العربية من فهم تعاليم الإسلام، وإدراك شرائعه على حقيقتها باللغة التي يتقنونها. وهذا إنما يدعم الروابط بين المسلمين، ويبعد الانفصال عن صفوفهم، كما يبعد عن تصوراتهم استفراد العرب بالإسلام، لأنه جاء بلغتهم، فإن الإسلام جاء للناس كافة، وهو وإن جاء بلغتهم ويعتبر تشریفاً لهم فهو تكليف أيضاً، بتحمل مسؤولية تبليغه لسائر الأمم، ولهذا فإن العرب: " يجب عليهم أن يتقنوا

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 133.

² الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، م.س، ص 92.

³ الغزالي، محمد: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟، م.س، ص 97.

⁴ الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، م.س، ص 92.

كل اللغات الأجنبية، وما استطاعوا من اللغات المحلية، وأن يودعوا كل لغة خلاصةً كافيةً هاديةً من تعاليم الإسلام في مجال العقيدة والخلق والعبادة، وشتى أنواع المعاملات"¹. وهذا ليتمكنوا من إيصال الرسالة الإسلامية إلى كل الناس .

خامساً: الموقف تجاه الأقليات المسلمة

نبه الشيخ الغزالي إلى ضرورة الاهتمام بالأقليات المسلمة، وأخذها بعين الاهتمام لإتمام عملية الوحدة الإسلامية بنجاح، لأن الأقليات المسلمة تمثل جانبا مهما من العالم الإسلامي، وكيانا بارزا في عالم المسلمين، فلا يمكن أبداً مع تناسبها، أو إهمالها الشك في إمكانية قيام وحدة إسلامية ناجحة، بل لا بد من إشراكها، ومنحها حقها الطبيعي في هذه الوحدة، وفي حديث الشيخ الغزالي عن كيفية العناية بها، والاستفادة منها لدعم الصف الإسلامي، ورص جوانبه، أبرز ثلاثة أمور يجب على المسلمين - في البلدان الإسلامية - العمل على تجسيدها وهي:

أولاً: "إشعار الأقليات المسلمة، والجماعات الساعية لاستعادة الحياة الإسلامية الكاملة، أن التمزق الحالي للمسلمين هو محنة عارضة، سبق أن تعرض الكيان الإسلامي لها، ثم تغلب عليها ونجا منها، وأن الاستسلام للهزيمة خطأ، وفقدان الثقة في المستقبل إثم"². والشيخ الغزالي بهذا يدعو المسلمين إلى ضرورة التحلي بالعزم، والتفاؤل في مستقبل أحسن، وعليهم أن يعملوا في مقابل ذلك على ممارسة مختلف الأنشطة عبادات أو معاملات بشكل جماعي يدعم الأخوة بينهم، ويقف في وجه الفرقة والشتات.

ثانياً: من الأمور الخطيرة التي تواجهها الأقليات المسلمة عمليات التصير المكثفة، والموجهة بعناية ودقة لصدع عقيدتها، وتشويه صورة دينها، ولهذا يؤكد الشيخ الغزالي أن "واجبنا نحن المسلمين المتمتعين بالعافية أن نلقى هذه التيارات بتيارات أشد، وأن ندمغ الباطل بما أوتينا من

¹ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 145.

² الغزالي، محمد، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟، م.س، ص 95.

حق، وأن ننفذ الألواف المؤلفة من هذه الغارات المتتابعة"¹. فلا يجوز للمسلمين أبدا أن يفرطوا فيما حققه الإسلام من اكتساب أقلية كثيرة في شتى أنحاء العالم، بل عليهم أن يمدوا إليهم جسور الأخوة، ويحيطوهم بالاهتمام والرعاية.

ثالثا: دعما لمبدأ التقريب بين المسلمين، واستبعاد كل ما يدعو إلى تفريقهم، وإثارة الخلافات بينهم، يقرر الشيخ الغزالي أن هذا المبدأ يجب أن ينتقل إلى الأقليات المسلمة أيضا، وذلك من خلال جعل "ثقافتنا المذاعة والمنشورة، قائمة على التقريب لا المباعدة، والرتق لا الفتق"². ثم يدعو الشيخ الغزالي المسلمين إلى ضرورة التضامن مع المجاهدين في البلاد غير الإسلامية، وإرشادهم إلى أنجع الوسائل التي تساعد في أداء رسالتهم على أذق وأصح وجه.

رابعا: إضافة إلى ما سبق ذكره عن الدور الفعال الذي يجب على العرب أدائه لخدمة الوحدة الإسلامية، يذكر الشيخ الغزالي واجب العرب حيال الأقليات المسلمة، فيدعوهم إلى "إنشاء مكاتب في وزارات الخارجية العربية للعناية بالقضايا والأقليات الإسلامية، واتخاذ مواقف إيجابية فيها"³. وهذا سيعزز الروابط بين المسلمين من جهة، كما أنه سيخلصها من مشكلات كثيرة تعترضها هناك.

إن هذه الخطوات التي حددها الشيخ الغزالي كوسيلة فعالة لإعادة الوحدة الإسلامية من جديد، لا يجب أن تبقى رهينة الأفكار والمبادئ، أو حبيسة المشاعر والأحاسيس، فإن "المشاعر وحدها لا تكفي، وأن المبادئ وحدها لا تجمع، لكن لا بد من الإخلاص، والتضحية، وإنجاح الأطر والآليات التوحيدية التي تعيد لهذه الأمة تلاحمها المنشود. إن من واجب الحكومات، والجماعات الإسلامية، وفرقاء العمل الذين ينشطون في سبيل إقامة المؤسسات الوحدوية أن

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 95.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 96.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 97.

يقيموا مراكز دراسات الوحدة، وحينئذ يتعاضم الأمل بلم شمل الأمة، وجمع كلمتها¹. ويكفي إلقاء نظرة خاطفة على العالم الغربي لإدراك الخطوات الفعالة، والمجهودات المركزة والمنسقة بين شتى الإطارات، والمؤسسات الداخلية والخارجية، من أجل إدامة التكتلات، سواء على مستوى البلد الواحد، أو بين مختلف البلدان. ذلك أن إيمانها بقيمة الوحدة والتكتل دفعها إلى سلوك كل السبل المؤدية إليها تخطيطاً وتجسيدياً.

الفرع الرابع: محاربة الفهم غير الصحيح للدين

يؤمن الشيخ الغزالي أن الإسلام كل لا يتجزأ، وأنه الدين الشامل لكافة ميادين الحياة، والنظام الوحيد القادر على ضمان السير المتوازن والمعتدل لاحتياجات الجسم والروح معاً، فهو يقوم على إنصافهما ومنحهما الحق الطبيعي لنمو سوي ومتكافئ للوصول إلى الهدف المنشود، وهو عمارة الأرض، والسبيل إلى ذلك هو التدين الحقيقي الذي قال عنه الشيخ الغزالي: "التدين الحقيقي إيمان بالله عز وجل، وشعور بالخلافة عنه في الأرض، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة، أعني السيادة عن عناصر الكون وقواه، التدين الحقيقي ليس جسداً مهزولاً من طول الجوع والسهر، ولكنه جسد مفعم بالقوة التي تسعفه على أداء الواجبات الثقيل، مفعم بالأشواق إلى متاع الحياة، فإن كان حلالاً طيباً ارتفقه، وابتهج به، وإن كان كسباً خبيثاً ابتعد عنه وهو قادر عليه"².

وإذا كان دين الإسلام يكفل لأتباعه سموً ورقياً في مختلف جوانب الحياة إذا ما جعل منهاجاً، واتخذ نظاماً، فإنه قد نجح وبجدارة في صنع أعظم حضارة إسلامية، وكان سر ذلك أن أتباعه في الصدر الأول للتاريخ الإسلامي فهموا مبادئه وأسسها فهما صحيحاً، وجسدوا أحكامه وتعاليمه تجسيدا قويمياً، فهم أخذوا الإسلام كما هو، فطبقوه كما فهموه دون فصل بين أجزاءه، أو انتقاء لأحكامه، ولم يدعوا مجالاً للفرقة بينهم، ولم يستقرغوا جهودهم بجدال عقيم، حول تقديم جزء، أو ترجيح فرع، كما فعل مسلمو القرون المتأخرة، الذين أساءوا فهم الإسلام إما قصوراً أو تقصيراً،

¹ بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، 1420هـ، 1999م، ط 1، ص 129.

² الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 22-23.

فكان ديدنهم في الحياة متراوفاً بين حصرهم للإسلام في قضية أو مسألة معينة، وجعلها الأصل الذي يبنون عليه أحكامهم، بل ويحاكمون الناس جميعاً إليها، وبين من يجسم التوافه ويصورها بأنها الدين كله، وهؤلاء جميعاً كما يؤكد الشيخ الغزالي أساءوا للإسلام بدل أن ينفعوه، وأسأوا لأنفسهم لأنهم ابتعدوا عن الإسلام.

لقد كان إنكار الشيخ الغزالي لسلوك هذه الأصناف التي مني بها العالم الإسلامي بادياً في فكره، فهو لم يتوان لحظة عن التنديد بهذه النظرة الجزئية التي أصابت تصورهم للإسلام، وهذا الضمور والانكماش الذي اعتري فهمهم له ولقضاياه المختلفة، والذي جر على الأمة التقهقر والتراجع، لأنهم بتصرفاته تلك قد انسحبوا من ميدان الاتفاق والاتحاد إلى ميدان الاختلاف والفرقة، وهيئات للخلاف أن يسمح بالتقدم، وهيئات لمن لا يفهم الإسلام أن يتقدم، ذلك أن الإسلام دين كامل "والعدوان على الدين بالانتقاص من معالمه كالعدوان على الدين بالافتراء والتزديد، كلاهما بعد عن الحق وضلال عن الغاية، إن الوحي كله نظام إلهي متكامل يتسم بالقداسة والعصمة في جملته وتفصيله، فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب جانب آخر للاهتداء على درب الحياة، عندما يركب الطبيب دواء من عدة عناصر بمقادير معينة، فإن هذا الدواء يسمى عديم الجدوى إذا ذهبت منه بعض العناصر، أو اضطربت فيه نسب المقادير"¹. بهذا الوصف حدد الشيخ الغزالي طبيعة الإسلام، وضرورة فهمه السليم، بل إنه أضاف وصفاً آخر، قرب به المعنى أكثر، حين اعتبر بأن شعب الإيمان "تشبه السيارة المنطلقة، لها هيكل، وإطارات، وقيادة، ووقود، وكوابح، ومصابيح، وكراسي، وغير ذلك، وكل منهم له وظيفته وقيمه"².

من هنا أبرز الشيخ الغزالي أن شعب الإيمان في الإسلام متعددة ومتناسقة فيما بينها، وبعضها يكمل البعض الآخر، لكنها مع ذلك تتفاوت في درجة الخطورة والتأثير، فليست درجة الركن كدرجة النافلة، ولا خطورة ترك الأصل كخطورة ترك الفرع. ومن هنا بالذات يلفت الشيخ الغزالي الانتباه إلى ما وقع من بعض المسلمين، الذين دفعهم فهمهم وتصورهم الجزئي للإسلام إلى الاهتمام بجانب

¹ الغزالي، محمد: معركة المصحف في العالم الإسلامي، م.س، ص 110.

² الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 58.

معين، وإهمال باقي الجوانب، مما يحدث له امتداداً كبيراً، وطغياناً واضحاً، وهو ما نعتة الشيخ الغزالي بالتورم الذي لا فائدة ترجى منه، بل إنه السر الكامن وراء:

أولاً: وجود فقهاء لهم فكر ثاقب، وليست لهم قلوب العابدين، ومتصوفين لهم مشاعر ملتناعة، وليست لهم عقول الفقهاء.

ثانياً: وهو السر وراء محدثين يحفظون النصوص، ولا يضعونها موضعها، ولا يجيدون الاستنباط منها، وأصحاب رأي يلمحون المصلحة، ولا يحسنون مساندتها بالنص المحفوظ.

ثالثاً: وهو السر وراء حكام يعملون حسب المواصفات المقررة، رعاة للجماهير، وباعهم في تقوى الله قصير، وعامة يعكفون على العبادات الفردية، فإذا بلغ الأمر النصح، والزجر، والأمر، والنهي، والتعرض لغضب الحكام لأنوا بالصمت الطويل.

رابعاً: وهو السر وراء أناس يتقنون مراسم العبادة، ولا يفرطون ذرة في صور الطاعات الواردة، ومع ذلك لا يعون من حكمتها شيئاً، ولا يستفيدون منها خلقاً¹.

يرى الشيخ الغزالي أن الذي يكفل للمسلمين تصحيح وعيهم الديني، هو عودتهم للإسلام الحقيقي، لا إلى الأيام العجاف التي عرفها تاريخهم الإسلامي الطويل، وهذه العودة تتم من خلال أمرين، أولهما تلقي الإسلام من منابعه الأصلية، وثانيهما قيام العلماء بواجبهم في حمل رسالة الإسلام، وتنوير الجماهير الغفيرة بتعاليمه الكريمة.

الأمر الأول: العودة إلى المنابع الأصلية للإسلام

يلح الشيخ الغزالي على أن معرفة الإسلام الحقيقي منوطة بالعودة إلى منابعه الأصلية: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فهما مصدرا نشأة الإسلام وانتشاره في ربوع المعمورة، وهما

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 58-59.

أساس انتصاره على الأعداء، وصدده للضربات التي ما انفكت تهاجمه، وتغير على أتباعه. والإسلام بهما يمثل الدين الوحيد المحفوظ إلى الأزل، والقادر على مسايرة الزمن، دون عجز أو قصور، لأن الله عز وجل قد تعهده بالحفظ حين تعهد كتابه الكريم بالصون L m l k j i h g M¹، وجعله بذلك "دين الفطرة السليمة، ودين العقل الراشد، وهو بهذه الطبيعة الفطرية الفكرية مفتوح لجميع الثقافات، ومفتوح أمام جميع الحضارات والأجناس"².

ولهذا أكد الشيخ الغزالي باستمرار على حاجة المسلمين إلى القرآن الكريم والسنة النبوية قائلًا: "إن الإسلام يقوم يقيناً على الكتاب والسنة، وقد اتفق العلماء على أن القرآن الكريم هو الأصل الأول، وأن السنة مبينة ومفصلة، وعلاقة المسلمين بقرآنهم هي أسمى العلاقات وأرسخها، ولذلك يجب أن ندع نفوسنا للقرآن الكريم يشكلها بتوجيهاته وهداياته، ويضبط اهتمامها بشعب الإيمان، فلا يطغى فرع على أصل، ولا يموت فرع بإزاء أصل"³.

وإضافة إلى ضرورة هذه العودة، فإن الشيخ الغزالي يجعلها مشروطة بأمرين كي تكون صحيحة وموفقة، وهذان الأمران هما⁴:

أولاً: لا بد من رد الروح إلى العقائد والأخلاق الإسلامية، وإزالة الركाम الكثيف من الجهل والتخبط الذي ترزح تحته أمتنا، ورفع المستوى الثقافي المنحدر في كل مكان، فإنه من المستحيل إقامة إسلام صحيح وسط جماهير استهلكتها الخرافة والفوضى.

ثانياً: ولا بد من رد الروح إلى النظم السياسية الإسلامية، وجعل الأوضاع الاقتصادية متفقة مع مناهج الإسلام وأهدافه.

¹ سورة الحجر: 9 / 15.

² قطب، عبد الحميد: خطب الشيخ الغزالي، م.س، ص 31

³ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 202.

⁴ الغزالي، محمد: الاستعمار أحقاد وأطماع، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2005م، ص 244.

والشيخ الغزالي بذلك يبين للمسلمين ضرورة احتكامهم إلى القرآن الكريم في شتى أمورهم، مستنيرين بهدي السنة النبوية الشريفة، وشروحها وتفصيلاتها التي لا تتناقض أبداً مع القرآن الكريم ولا تعارضه، ولكنها تفصل مجمله، أو تخصص عمومه، وعلى المسلمين أن يفهموا حقيقة ما تضمنه هذين المصدرين من أصول وفروع وكليات وجزئيات، فيكون عملهم بها جميعاً وفق ما تقتضيه الظروف والأحوال. وقد أوضح الشيخ الغزالي جزءاً مهماً من هذه العودة إلى القرآن والسنة، من خلال عرضه لدعائم الحكم الإسلامي، وقواعد النظام الاقتصادي في الإسلام، كما قررها وحددها أستاذه حسن البنا¹.

وقد اقترح الشيخ الغزالي مجموعة من النقاط التي يتم من خلالها خدمة الإسلام، وفهمه على الوجه الصحيح بين تابعيه ومعتقيه، ومن أهمها ما يأتي:

أولاً: يجب على المسلمين أن يستفيدوا من علوم العصر، ومعارفه المتنوعة والمتطورة في خدمة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهذا لإحداث التواصل والاستمرارية مع جهود أسلافنا في خدمة القرآن الكريم، فإن "المسلمين الأولين اخترعوا علوم المعنى، والبيان، والبدیع، والنحو، والصرف لخدمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، خدمة هذا الكتاب تحتاج إلى جانب ذلك حاجة ماسة إلى علوم الأحياء، والفيزياء، والكيمياء، والفلك، وطبقات الأرض... الخ، والجهالة بهذه العلوم خيانة مخزية للإسلام وكتابه الضخم، وهي - مع كونها خيانة دينية - خيانة إنسانية عامة لرسالة أبينا آدم الذي ألهم الأسماء كلها، وجعلت له الأرض ذلولا، وساد فيها البر والبحر"².

ثانياً: إذا كان أعداء الإسلام قد بذلوا جهوداً جبارة لمحاربة الإسلام، فحاولوا زعزعة القرآن الكريم في نفوس المسلمين، ومحو السنة النبوية من قلوبهم، وجعلهم يحيون بعيداً عن الإسلام، بل ومنتكرين له، فإن المسلمين مطالبون بالتحرك السريع، واليقظة الفائقة لما يحاك ضدهم، وفي ذلك

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 245-248.

² الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 25.

يلح الشيخ الغزالي قائلاً: " يجب أن تردم الفجوة التي بيننا وبين الإسلام، وأن تقف فوراً الحرب الفاجرة المعلنة على تعاليمه وأشياعه"¹.

ثالثاً: موازاة مع الجهود العدائية التي وجهها خصوم الإسلام ضده، كانت هناك جهود هدامة تعمل من الناحية الأخرى، وهي ناحية الإسلام، إذ أن بعض أبنائه ممن ينعتهم الشيخ الغزالي بالأصدقاء الجهلة، كانوا يهدمون الإسلام من حيث لا يعلمون، ويحاربونه وهم يظنون أنهم ينصرونه، فهؤلاء قد اهتموا كثيراً بإثارة القضايا الخلافية، ومنحها حيزاً كبيراً، وصورة ضخمة لم يجن منها الصف الإسلامي إلا الفرقة والتشتت والتصدع. وهو ما دفع الشيخ الغزالي، وفي كثير من المواضع إلى إنكار هذا المسلك، وتأكيد أنه " الدعوة إلى الإسلام لا يقبل فيها عرض القضايا الخلافية مهما كانت مهمة عند أصحابها"²، لأن عرضها يسيء إلى الإسلام، ويهدد أمنه بالتمزق، كما أنه نادى " المسلمين أجمعين، والدعاة منهم خاصة، أن تكون نظرتهم إلى الإسلام نظرة كلية شاملة"³، وأن ينحصر الخلاف الفقهي " في حدود الفكر العلمي الإسلامي، والضمير الراغب إلى الله، الحريص على مرضاته"⁴.

رابعاً: يؤكد الشيخ الغزالي على ضرورة محاربة التدين الفاسد الذي يعطل العمل في الدنيا، ويرفض تسخير الكون لخدمة الإنسان، ويدعو المسلمين إلى التدين الحقيقي الذي يقوم على العمل والبناء، وتأمل الكون، وتسخير لخدمة البشرية. كما أنه يقوم على إدراك عظمة الخالق بإدراك عظمة مخلوقاته. وقد تحدث الشيخ الغزالي عن حقيقة التدين الصحيح وفائدته، فبين أنه " إيمان بالله

¹ الغزالي، محمد: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، م.س، ص 163.

² الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 59.

³ الغريب، رمضان خميس: محاور المشروع الفكري لدى الشيخ الغزالي، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م، ص 36.

⁴ الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، م.س، ص 105.

العظيم، وشعور بالخلافة عنه في الأرض، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة، التي تعني السيادة على عناصر الكون، وقواه"¹.

وهكذا اتجه الشيخ الغزالي إلى " تصحيح الفكر الديني، والقصور الديني لدى المسلمين، خاصتهم وعامتهم، وكان هذا بارزا بينا في كتبه الأولى: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية... وغيرها، ثم ازداد بعد ذلك بروزاً وتأكداً في كتب المرحلة الأخيرة: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، وما بعده"².

الأمر الثاني: الدور الفعال لحملة الإسلام

في الجانب الموازي لعودة المسلمين إلى منابع الإسلام الأصلية، يضيف الشيخ الغزالي الأمر الثاني، والمتمثل في الدور الكبير الذي يمثله حملة الإسلام، والعاملون تحت لوائه، والمساعد على تحقيق العودة إلى الإسلام الحقيقي، نظرا لما يمتلكونه من قدرة على توجيه الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية... الخ، وترشيدها نحو الأهداف المرجوة، والأغراض المسطرة.

ويؤكد الشيخ الغزالي أننا بحاجة إلى علماء ودعاة تتوفر فيهم شروط معينة، وخصائص محددة، " كثير من الدعاة إلى الإسلام تنقصهم خصائص معينة لينجحوا في إبلاغ رسالته، وإدخال أكبر عدد من الناس فيها، ولولا أن في الإسلام طبيعة الانتشار والتمدد لسهولة تعاليمه، وتجاوبها مع الفطرة لوقف حيث بدأ، أو لانكشمت رقعتة وزالت، وسبب ذلك أن أغلب الطرق التي يعرض بها يحتاج إلى مزيد من المهارة والحنكة والإخلاص والتضحية، وهي الآن خصال نادرة"³. ولهذا فإن الشيخ الغزالي حرص على إيراد بعض الخصائص التي لا بد من توافرها في حملة الإسلام، والعاملين في ميادينها المختلفة، ومنها ما يأتي:

¹ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 22.

² القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته، م.س، ص 226.

³ الغزالي، محمد، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2005م، ص 26.

أ- إرادة الله والآخرة

يرى الشيخ الغزالي أن العاملين في مجال خدمة الإسلام، والمشتغلين في سبيل نهضة قضاياها المختلفة، مطالبون بإخلاص نواياهم لله عز وجل، وتجردهم للرسالة التي يحملونها، بعيدا عن الأطماع الدنيوية، أو الأغراض الشخصية التي لا تخدم الإسلام، ولا تعز أمتهم، ويؤكد ذلك بقوله: " إن استغلال الدين للدنيا جريمة الجرائم"¹، لذا ينبغي على الدعاة والعلماء والفقهاء، أن يتحلوا بمجموعة من الصفات والأخلاق² المؤكدة مدى صلتهم بالله تعالى، وارتباطهم به، واستحضار رقابته في كل أعمالهم.

إن الشيخ الغزالي ينشد من كل داعية إلى الله وخادم لدينه " أن يتجرد لرسالته التي يؤديها، وأن يكون شغله الشاغل، وأن يعامل الناس بقلب مفتوح، فلا يكون أنانيا، ولا حاقدا، ولا تحركه النزوات العابرة، ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص، فهو يخاطب الآخرين، وينبغي أن يلتمس الأعداء للمخطئين، وألا يتربص بهم بل أن يأخذ بأيديهم إذا تعسروا، كما ينبغي أن يكون على بصر بأساليب الأعداء على اختلاف منازلهم، سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية، أو كتابيين ينكرون الإسلام"³.

ب- سعة المعرفة

يعتبر الشيخ الغزالي أن من أهم الخصائص الواجب توفرها في الدعاة إلى الله، والعاملين في الحقل الإسلامي، سعة المعرفة، وغازرة الثقافة الإسلامية والإنسانية، أي أن يجمعوا بين شتى العلوم والمعارف، وأن لا ينحصروا في مجال دون آخر، أو يؤثروا

¹ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 153.

² للمزيد حول صفات الدعاة، انظر: الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، م.س، ص 149 وما بعدها.

³ قطب، عبد الحميد: خطب الشيخ الغزالي، م.س، ج1، ص16.

كفة على أخرى، لأن ذلك يعتبر " مصيبة، خصوصا مع التصدر للفتوى، والحكم، والقضاء، والدعوة"¹.

ولهذا ألح الشيخ الغزالي في كثير من مؤلفاته على أن " الدعوة إلى الله تتطلب من المنتصب لها اطلاعا غزيرا على القرآن الكريم، وعلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بوصفها التطبيق العملي الرشيد لروح القرآن، ثم سير الخلفاء والأصحاب في جهادهم المادي والأدبي لإرساء دعائم الإسلام وإبلاغ رسالات الله، فإذا استكمل الداعية هذا النصيب الواجب، بقي عليه أن يدرس عالمه الذي يعيش فيه دراسة فحص واستقصاء"². ودراسة الداعية لعالمه إنما هي مرتبطة بكل ما يعج به هذا العالم من علوم، ومعارف، ودراسات كثيرة ومتنوعة، ولهذا فإن " تدريس الفيزياء والكيمياء، والأحياء والجغرافيا، وبعض الأولويات في الجيولوجيا والفلك، أمر يحتاج إليه المشتغلون بالدعوة، حتى لا يصعد مجنون منبرا، ويكذب باسم الإسلام وصول الأمريكيين إلى القمر"³.

ت - التوازن الاجتماعي

يرى الشيخ الغزالي أن الدعوة، والعاملين في مجال الفكر والعمل الإسلامي، عليهم أن لا يفقدوا التوازن الاجتماعي وهم بصدد علاجهم للأخطاء، والانحرافات السائدة بين الجماهير، ويبين الشيخ الغزالي أنهم إذا فقدوه فستكون مواقفهم متباينة وغير قائمة على الفقه الصحيح لسنن الله الكونية، المبينة لكيفية نضج الحقائق واستوائها في المجتمع، وبعيدة عن التقنيات والأساليب المدروسة، والمضبوطة لسير الدعوة الإسلامية، وستكون هذه المواقف موزعة بين خيارين اثنين، أحدهما هو رفض المجتمع وتأثيمه، ومن ثم الخروج عليه لتغييره رغبة في تحقيق نتائج عاجلة، والآخر هو الانسحاب من المجتمع واعتزاله، والهروب منه بسبب

¹ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 153.

² الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، م.س، ص 160.

³ الغزالي، محمد: مستقبل الإسلام خارج أرضه، م.س، ص 56.

إحباطات عدم الحصول على هذه النتائج العاجلة¹. وعليه يجب على الدعاة والمهتمين بإصلاح المجتمع " أن يكونوا أصحاب إيمان، وأصحاب غيرة على حرمان الله، وأصحاب رغبة في التغيير إلى ما هو أفضل"² وفي الوقت نفسه عليهم أن يكونوا مطلعين على التجارب الماضية، ومدركين لحقيقة السنن الكونية في تغير المجتمعات، والتي تضبطها مشيئة الله تعالى.

ث - استخدام العقل

يضيف الشيخ الغزالي خاصية أخرى للعاملين في ميدان خدمة الإسلام، وهي ضرورة استخدامهم للعقل، وإمعانهم للفكر، قائلاً: " العقل لا بد منه، إنه أثنى هدية أعطاه الله خلقه، وقد أحصيت كلمة (أولي الألباب) في القرآن الكريم فوجدتها تكررت في ستة عشر موضعاً، ومعنى هذا أن الذين يخدمون الإسلام يجب أن تكون لهم عقول كبيرة"³.

ويوضح الشيخ الغزالي كيف أن العقل يمكن من دقة التخطيط، وصحة التصميم، لأنه يحرك الإنسان إلى التأمل، والتفكير، والإبداع، ومن ثم تحقيق الرسوخ في شتى العلوم والمعارف، وإحراز التفوق والنبوغ. وإذا كان الغرب نموذجاً رائداً لاستخدام العقل، وحسن توظيف ملكاته، فإن الأولى بذلك هم المسلمون الذين يملكون ديناً يحثهم باستمرار على استغلال هذا العقل لامتلاك زمام الأمور، والقدرة على تسخير الكون بأسره لخدمة أنفسهم، وتلبية احتياجاتهم.

ج - دور المرأة

لفت الشيخ الغزالي انتباه القارئ على ميدان الدعوة إلى الدور الفعال التي تحتله النساء المتعلمات والمعلمات في دفع العالم الإسلامي نحو التقدم، وهذا بالنظر إلى ما مثله

¹ الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، م.س، ص 117.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 118

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 121.

المرأة المسلمة المتعلمة عبر التاريخ الإسلامي، من مصدر إشعاع انتفع منه الكثيرون، ممن أصبحوا فيما بعد علماء راسخين، ومفكرين جهابذة.

وقد دعا الشيخ الغزالي إلى تحرير المرأة المسلمة من التقاليد الجاهلية التي حكمت بحبسها في البيت، وحرمانها من التعليم، ومنحها الحق الذي كفله لها الإسلام في التعلم والتعليم لخدمة أمتها، والمساهمة في إعداد الأجيال الناشئة على الأسس الإسلامية السوية، تربيةً، وخلقاً، وعلماً، وفي ذلك يقول: "وددت لو أن مساجد العواصم الكبرى في عالمنا الإسلامي المعاصر يدرس بها مثل هذا الصنف¹ من الواعظات القانتات المحيدات، إن الحاجة إليهن ملحة مع الغزو الحضاري الفتان الذي نتعرض له"².

ح - فقه الواقع

بالإضافة إلى الخصائص السابقة، يرى الشيخ الغزالي أن العاملين في ميدان خدمة الإسلام، مطالبون بفقه الواقع الذي يعملون فيه، ويوجهون إليه مجهوداتهم الدعوية، وخدماتهم الإصلاحية، إذ من غير الممكن لهم أن يحققوا إذا كانوا جاهلين بما يضمنه هذا الواقع من طبائع، وسلوكيات، وأنماط فكرية أو معيشية، غالباً ما تكون مرتبطة بالبيئة، أو الأجناس. إذ أن الجهل قد يوقعهم في مناقضة أفكار المدعوين، أو مصادمة قناعاتهم، ورؤاهم المختلفة.

وقد أورد الشيخ الغزالي مثالا عن ذلك، يتعلق ببعض الدعاة إلى الإسلام في إنجلترا يرفض فيه تصرفهم ذلك، وفيما قاله لهم هذه العبارات: " ما معنى أن تذهبوا إلى إنجلترا حيث تملكها امرأة، وتحكمها امرأة، ويسودها ازدهار رائع، فلا يكون لكم كلام إلا أن

¹ تحدث الشيخ الغزالي عن بعض هؤلاء النسوة المتعلمات، واللاتي تخرجن على أيديهن الكثير من العلماء، وذكر من بينهن: شمس الضحى، وضوء الصباح، وشهده، وبلقيس.... الغزالي، محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 158 وما بعدها.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 160.

ولاية المرأة لا تجوز!¹. فهؤلاء الدعاة كان جديراً بهم أن يعوا جيداً الواقع الذي يحيا فيه الإنجليزيون، وأنهم في ظل امرأة حاكمة بلغوا شأناً حضارياً رفيعاً، وحققوا ما لم تحققه بلدان كثيرة يحكمها رجال، فلا مجال لهم وهم يدعون إلى الإسلام أن يتطرقوا لمثل هذه القضايا - ولاية المرأة - بل الأولى لهم أن يشرحوا للناس هناك عقيدة التوحيد، ويبينوا لهم آثارها النفسية والاجتماعية، أو أن يحدثوهم عن الكمال الإلهي، والضعف البشري، والجزاء الأخروي² ليسهموا في ضبط تصوراتهم العقديّة التي تقاسمتها تيارات الإلحاد، والنصرانية المضللة.

وما يقال عن إنجلترا يقال عن باقي دول العالم الأخرى، بل على الدولة الإسلامية، التي كثيراً ما تنتشر فيها عادات أو تقاليد تستوجب من الداعية أن يعيها جيداً ليحسن عرض رسالته، دون الوقوع في مثرات الخلاف، أو النزاع بسببها، وعليه إذن أن يمتلك "إحاطة تامة بطبيعة البيئة، وأحوالها الجلية، والخفية، وظروفها القريبة، والبعيدة"³.

الفرع الخامس: المحافظة على التراث الإسلامي، وتنقية الثقافة الإسلامية

دعا الشيخ الغزالي إلى غربلة التراث الثقافي الإسلامي الضخم، بعد تراكمه طيلة قرون عديدة من الزمن. هذا التراث الذي يحمل موروثات ثقافية متراوحة بين الصحة والخطأ، ويجمع بين الأفكار والتصورات القيمة، والبدع والخرافات الخطيرة، مما يستلزم ويوجب على مسلمي القرون الأخيرة غربلته وتنقيته، من أجل الانتفاع من الموروثات النقية، والاستبعاد للموروثات المشوهة والخاطئة، والتي تحمل وزراً كبيراً فيما لحق بالمسلمين من تخلف وانحطاط " لأنها خلال القرون الطوال

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 175.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 175.

³ الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، م.س، ص 156.

تضمنت جملة من التصورات والأحكام المعيبة، ولأن ما بها من حقائق ما زال يعرض العرض المنفر، أو يفسر التفسير الناقص"¹.

والغريب في هذه الموروثات أنها تلقى رواجاً كبيراً بين المسلمين رغم أنها بعيدة عن الكتاب والسنة ولا صلة لها بهما، ذلك أن " بعضها عادات لا عبادات، والبعض الآخر وجهات نظر فقهية غير ملزمة، أو طبائع شعوب لا تعاليم دين، وقد تكون اعوجاجاً فكرياً أو أخلاقياً، أطال عمره التهاون فتلقاه الرعاع بالقبول، ونشأت عنه فوضى واسعة النطاق"².

إن هذه الموروثات الآسنة لم تقتصر على ميدان معين، ولكنها امتدت فشملت العقيدة، والسيرة، والتفسير، والأخلاق، والتربية، والفقه، والتشريع، والتاريخ الإسلامي، كما امتدت أيضاً في مجال الأداء الأدبي. وانطلاقاً من ذلك رفض الشيخ الغزالي القول الذي يذهب إلى حصر الأخطاء والشوائب في ميدان التصوف لوحده قائلاً: " الأخطاء في ثقافتنا التقليدية ليست حكرًا على كتب التصوف وإن نالت هذه الكتب نصيباً جليلاً منها فإن الأخطاء تطرقت إلى كتب التفسير، والفقه، والسيرة، واندس في صحائفها ما يؤذي الله ورسوله"³.

لهذا أكد الشيخ الغزالي على حاجة التراث الثقافي الذي ورثه المسلمون إلى جهاد علمي كبير، يقوم بنتقيته والتمكين من الاستفادة منه علماء المسلمين بكثير من الحرص والاهتمام، وقد سعى الشيخ الغزالي إلى توضيح معالم هذه التنقية، فكشف من خلال فكره عن عملية متكاملة، ومتكونة من مراحل عديدة تتعاضد جميعها، لتفضي في الأخير إلى علاج هذا التشويه بإزاحته واستبعاده، وإيقاء ما يصلح فقط. هذه المراحل كما تبين لي من خلال تتبع فكر الشيخ الغزالي تتمثل فيما يأتي:

¹ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 141.

² الغزالي، محمد: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط، ص 115.

³ الغزالي، محمد: الجانب العاطفي من الإسلام، م.س، ص 7.

أولاً: محاكمة التراث الثقافي إلى الإسلام

يرى الشيخ الغزالي أن الثقافة الموروثة، أو التقليدية كما يسميها أحياناً تمثل عنصراً هاماً للحضارة الإسلامية، فهي " تصنع عقيدة الأمة، ومزاجها، وشخصيتها، ووجهتها " ¹. وقد لعبت هذه الثقافة دوراً فعالاً إبان الفترة الذهبية، حين تمكنت من صنع عقول من الطراز العبقري، ثم نجحت بمعية العلم الإسلامي من مساندة الحضارة الإسلامية حتى بلغت شأنها عظيماً، لكنها حين اختلطت بالخرافات والأوهام، وتسربت إليها جهالات الدهماء.

ولهذا دعا الشيخ الغزالي إلى ضرورة إعادة المسلمين لثقافتهم الإسلامية الأولى التي تتفق مع الكتاب والسنة، قائلاً: " إنني أطلب من أمتنا الإسلامية أن تحاكم تقاليدنا إلى الإسلام، فما وافقه بقي، وما خالفه ترك " ²، أي أن تعرض موروثاتها على القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فإن حدث التوافق قبلت، ووجهت للاستفادة منها، وإن حدث التعارض والمخالفة استبعدت وأزيحت عن حياة المسلمين، وفي ذلك يقول: " نريد العودة بأمتنا إلى ينابيعها العلمية الوثيقة، ونناشدها ألا تقبل من التوجيهات إلا ما اعتمد على الوحي الصادق، ولدينا والله الحمد كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة توافر الحفاظ والفقهاء على ضبطها على نحو لم يقع نظيره لتراث بشر " ³. وإذا نجح المسلمون في هذه العملية - التنقية - فإنهم سيتمكنون من استعادة الثقافة الإسلامية الصحيحة، الثقافة الإسلامية التي تحارب التعطل وتحث على العمل، وتدعو المسلمين إلى العمل لكلتا الدارين، لأن عبادة الله تستلزم ذلك، وتتطلب من الإنسان أن يعبد ربه وهو يصلي ويصوم، كما يعبد وهو يعمل ويجد ويبدع، أما تحقير العمل، والزهد في الدنيا، وازدراء الأئمة... الخ، فإنها من مخلفات التقاليد الجوفاء التي ابتلي بها المسلمون على مر السنين.

¹ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 141.

² الغزالي، محمد: مستقبل الإسلام خارج أرضه، م.س، ص 32.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 61.

ثانياً: دراسة التاريخ الإسلامي

يذهب الشيخ الغزالي إلى التأكيد على أهمية الدراسات التاريخية بالنسبة للمسلمين، فهي تساعدهم على تتبع مسيرة ثقافتهم، وتمكنهم من رصد مختلف الأنماط والأشكال الثقافية التي شهدتها تاريخهم الطويل، فهي إذن جسر يربط مسلمي القرون المتأخرة بماضيهم القريب والبعيد، ويعينهم على رسم صورة لأبعاد موروثاتهم المتركمة عبر القرون.

ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت الشيخ الغزالي إلى التساؤل قائلاً: "إن آثار التاريخ في صناعة الأجيال المقبلة لا يمكن إنكارها، فهل نترك تراثنا، وأبناءنا للخراصين، والحاقدين؟"¹، إن ذلك غير معقول، ولا مقبول بداهة، فعلى المسلمين أن يستفيدوا من التاريخ، وأن يبتعدوا عن تجاربه الناجحة، ويتفادوا تجاربه الفاشلة.

وبناء على الضرورة الواجب على المسلمين القيام بها، اقترح الشيخ الغزالي تفعيل دور التاريخ في حفظ ونقل التراث الإسلامي إلى الأجيال المقبلة من خلال "إعادة كتابة التاريخ الإسلامي حتى القرن الخامس عشر للهجرة، يتعاون فيها جملة من العلماء الثقات، والمحققين المهرة"². فتكون هذه الكتابة بمثابة جمع للتراث الإسلامي، وحفظ له من ناحية، ومن ناحية أخرى ستكون فرصة لتقديم التاريخ الإسلامي الصحيح للأجيال المقبلة، فتنشأ وهي واعية بماضيها، ومدركة لحقائقه وأحداثه على حقيقتها البعيدة عن الأغلاط والأوهام.

ثالثاً: إعادة ترتيب العقل المسلم

بين الشيخ الغزالي أن التراث الثقافي الإسلامي في حاجة ماسة إلى نظر فاحص، واختيار لبيب، وأوضح أنه معجب بالعبارة القائلة بضرورة إعادة ترتيب العقل الإسلامي من جديد. ثم ذكر الشيخ

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 107.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 105

الغزالي رأيه في هذا الترتيب بأنه قائم على أساس :

أ- تنسيق شعب الإيمان، في سلم يكشف أدها وأعلاها، وبإحصاء شؤون الدنيا التي لا يقوم الإيمان إلا بها، وتوزيع قوى الجماعة عليها، والتعريف بالقطعيات والظنيات في آفاق التشريع، ومواطن التقليد والاجتهاد، والمحاكمة المستمرة لأعمال السلطات الإسلامية، وتبيين الخطأ والصواب في مسيرتها، والمراجعة الواعية لأرباحنا وخسائرنا طوال القرون الماضية¹. إن هذا الأساس الذي وضعه الشيخ الغزالي، هو محاولة لإعادة التصور الكلي والمتوازن للإسلام، عن طريق تحقيق التوازن في عرض قضاياها المختلفة، كلاً حسب درجتها وتقادي حدوث أي امتداد لجزء على حساب جزء آخر، أو فرع على حساب فرع آخر، ولهذا طلب الشيخ الغزالي " في ميدان الدعوة أن تعرض الحقائق المسلمة الثبوت، وأن تطوى جانباً خلافات الفقهاء، ووجهات النظر العائمة، وقبل ذلك كله أن تطرح المرويات الشاذة، والسخافات العلمية"²، وهو إنما يطلب بذلك إعادة ترتيب العقل الإسلامي، بإعادة ترتيب شعب الإيمان.

ب- " ينضم إلى ذلك كله، درس مستمر لأحوال العالم من حولنا، ومبلغ تأثرنا به، وتأثيرنا فيه، فإننا لم نحتكر الحياة على ظهر هذا الكوكب، ويستحيل أن نؤدي رسالتنا فيه، ونحن جهال به"³، والشيخ الغزالي بهذا التوجيه، يحث المسلمين على ضرورة وعيهم للآفاق المحيطة بهم، وإدراكهم لحقيقة ما يجري على ظهر هذه الأرض، لأن ذلك يسهل لهم أداء رسالتهم العالمية، بعد أن يسهل لهم عملية اختيار أساليب ووسائل تبليغها للناس، وهذه دعوة أخرى لعدم تفوق المسلمين، وانغلاقهم على ذاتهم، لأنهم مكلفون بتبليغ رسالة عالمية.

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 173.

² الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 178.

³ الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، م.س، ص 173.

رابعاً: إقصاء الدعاة القاصرين

ينبه الشيخ الغزالي إلى أن وزراً كبيراً من الثقافات المغشوشة التي أساءت إلى الإسلام يعود إلى بعض الدعاة، الذين أساءوا التعامل مع التراث الثقافي الإسلامي، فهم كما يقول الشيخ الغزالي: " قرؤوا كتباً ألفت في عهود الاضمحلال، أو حفظوا آراء قالها قوم عديمو الفقه، وقد يتعصبون لأوضاع جرت على الإسلام البلاء، أو تمر بهم أحداث حافلة بالعبء، فما يفيدون منها عبرة، أما علمهم بما جد في أرجاء العالم من أطوار، وما يستتبعه ذلك من أفضية ذكية فصفر"¹. وبذلك عمد هؤلاء الدعاة إلى التراث الثقافي ينهلون منه، وينقلون الأفكار والتصورات بخطئها وصحيحها إلى العوام، متسببين في علل كثيرة للعالم الإسلامي، وهذا الذي دفع الشيخ الغزالي إلى استشعار خطر هؤلاء، مبيناً لكافة المسلمين أن " الأوان قد آن لإقصاء الدعاة الذين لا فقه لهم، أو الذين يريدون إلباس الإسلام عقلاً بدوياً، أو تقليده سيفاً تركياً، ثم يعرضونه في عواصم الغرب والشرق التي ازدحمت بأذكي المبادئ وأمكرها"². وهذا إنما يدل على إدراك الشيخ الغزالي لخطورة هذا الصنف من الدعاة على مستقبل الإسلام، ليس داخل العالم الإسلامي فحسب، بل حتى في باقي دول العالم الأخرى.

وأمام مختلف التحديات والعوائق التي يضعها أعداء الإسلام وخصومه لمواجهة انتشاره، والحد من مداه، يقترح الشيخ الغزالي حلاً لتخليص الدعوة الإسلامية من المأساة التي تعانيها، وهو عقد مجمع علمي إسلامي لبحث الكثير من القضايا والأحداث والوقائع التي يزخر بها التراث الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، كبحث الضياع الإسلامي في الأندلس، أو الفلبين، أو السقوط الأول لبيت المقدس في أيدي الصليبيين، أو سقوط بغداد في أيدي التتار، وانتفاض النصارى يومئذ على الكثرة المدحورة، وكبحث قضية انحلال عروة الحكم في العالم الإسلامي منذ القديم، ومدى إسهامها فيما لحق بالمسلمين من تخلف.³

¹ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 180.

² الغزالي، محمد: م.س، ص 179.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 179.

خامسا: مواجهة الغزو الثقافي

أكد الشيخ الغزالي أن الغزو الثقافي بشقيه الصليبي والشيوعي، قد عمل بجد على تشويه الثقافة الإسلامية، كما أنه عمل على تشويه صورة العلماء والمفكرين المسلمين العاملين بجد طوال حياته من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، ورفع لواء الإسلام ورايته. ولهذا رأى الشيخ الغزالي أن " الجهود المجنونة التي تستبيح قادتنا، وكبراءنا في ميدان العلم، والأدب، والسياسة، لها غاية يجب فضحها، والتحذير من مغبتها. إنها تريد القضاء على تاريخ أمة، وعندما تكون أمتنا بلا تاريخ فلن تكون أمة، ما قيمة أمة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخي العصور؟ إنه لا بد من استنقاذ تراثنا من أيدي المسعورين الهدامين، والواقفين على مبعدة ينبحون القوافل المارة"¹.

سادسا: إعادة الصلة بين الاتجاهين الثقافي والسياسي

يطرح الشيخ الغزالي خطوة أخرى لتنقية التراث الثقافي الإسلامي، وهي ضرورة إعادة العلاقة بين الاتجاه الثقافي، والاتجاه السياسي، والعمل على توثيقها من جديد، نظراً لما تمثله من أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين، وفي ذلك يقول: " يجب أن نعقد صلحاً بين الاتجاهين، بين الاتجاه الثقافي والاتجاه السياسي، ويمكن أن نعتبر أن التخلف والارتكاس يمكن أن يكرس ويستمر، طالما أن هذا الافتراق حاصل بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية، وسيبقى التخلف حتماً². وهذا راجع إلى كون العالم الإسلامي قد شهد منذ أمد طويل اتساعاً في الفجوة بين العلماء والحكام، أي بين القيادتين الفكرية والسياسية، فكثيراً ما لقي العلماء العنت، وكابدوا التعذيب على أيدي القادة والحكام، بسبب الاختلاف حول قضايا مختلفة تتعلق أغلبها بأمور التشريع، وأساليب الحكم، وشروطه، وغيرها، مما أنتج علماء لاذوا بالصمت، وآثروا الانقياد، وعلماء آخرين آثروا الانزواء، واكتفوا بتغيير المنكر بأضعف مراتب الإيمان، وعلماء آخرين أدوا واجبههم بشموخ ورسوخ³.

¹ الغزالي، محمد: م.س، ص 93.

² الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، م.س، ص 62.

³ الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 73-74.

ولذا يجب أن تزول هذه الخلافات، وأن تختفي معها هذه الجفوة، كي يتم صهر المجهودات من كلا الطرفين، وتوجيهها لإعادة الثقافة الإسلامية الصحيحة، فتقبيد العلماء وتطويرهم بمختلف وسائل الضغط والاضطهاد، تحول دون إبداعهم الفكري، وإخلاصهم في ميدان الدعوة الإسلامية.

سابعاً: التعاون بين مدرستي الأثر والرأي

مواصلة لمراحل الغربلة والتنقية المنصبة على التراث الثقافي الإسلامي، يضيف الشيخ الغزالي مرحلة أخرى، وهي ضرورة تفعيل التعاون بين مدرستي الأثر والرأي في ثقافتنا الإسلامية، قائلاً: "أريد أن اقترح تعاوناً مستمراً بين مدرستي الأثر والرأي في ثقافتنا الإسلامية، فإن استباحة أحد الفريقين للآخر، وخيم العقبي على أمتنا المنهكة المحاصرة"¹. فالشيخ الغزالي يرى أن الظروف التي يحيا فيها المسلمون لا تسمح بهذا الاختلاف، وهذا الانفصال بين المدرستين، بل إنها تتطلب لم الشمل، وتستوجب توحيد الصفوف، والمجهودات من أجل إعلاء كلمة الله تعالى بعد أن نجحوا في تمزيق وحدته.

والشيخ الغزالي يرى أن المسلمين، وعلى رأسهم هاتين المدرستين، مطالبون بإعادة وحدتهم، بإعادة الثقافة التي تؤكد وحدتهم العاطفية والفكرية²، وهو يولي عناية كبيرة للثقافة الإسلامية، ويؤمن بمدى قدرتها على إعادة المسلمين إلى الفهم الصحيح، والكلي للإسلام، ومن ثم القدرة على استعادة مجدهم الغابر. والشيخ الغزالي إنما ينشد هذه الثقافة في كل الاتجاهات، لأنه مقتنع بضرورتها جميعاً. فهو ينشد ثقافة الوحدة بين المسلمين، وينشد ثقافة التنشئة السليمة للعقل المسلم، والضمير المسلم، والسلوك المسلم، كما أنه ينشد ثقافة تسمو بشؤون الدنيا، فتجعل عبادة الله سواء في المسجد، أو المصنع³. فإن تحقق كل ذلك واستعادت الثقافة الإسلامية نقاءها، وصفاءها، بعد تخلصها من الشوائب والجهالات، فليستبشر المسلمون خيراً.

¹ الغزالي، محمد: علل وأدوية، م.س، ص 77.

² الغزالي، محمد: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، م.س، ص 227.

³ الغزالي، محمد: م.س، ص 227.

ثامنا: نقد شامل لمسار العالم الإسلامي

المرحلة الأخيرة في إطار تنقية الثقافة الإسلامية الموروثة، تتمثل في دعوة الشيخ الغزالي إلى ضرورة تقديم " نقد عليم بريء للطريقة التي سار بها العالم الإسلامي من قرون خلت في المعترك العالمي، ومحكمة لهذه الطريقة من الناحيتين: العلمية، والعملية، دون تهيب للساسنة أو للعوام " ¹. والقيام بهذا النقد على وجه الدقة والصدق كما يرى الشيخ الغزالي، سيكفل لمسلمي القرن الخامس عشر الاطلاع على كل الحقائق والأحداث التي مر بها العالم الإسلامي دون أية مغالطات أو تجاوزات من شأنها تشويه الصورة الحقيقية، أو تعميمها، وسيتيح لهم فرصة إدراك مواطن القوة والضعف، وأسبابها التي كانت تثيرها وتؤثر فيها باستمرار.

¹ الغزالي، محمد: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، م.س، ص 8.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، ومن لأثره اقتفى وبعد:

فهذه دراسة قدمها الباحث تحت عنوان (الفكر التربوي عند الشيخ الغزالي)، هذا البحث يتناول الحديث عن فكر تربوي لإمام جليل في علمه، كبير في قدره، أسهم في مجالات متعددة من صروح العلم والمعرفة، إنه الشيخ محمد الغزالي، أسأل الله عز وجل أن تكون هذه الدراسة قد أحاطت بالموضوع بشكل مقبول.

وإذا كان من تقصير أو نقص في جانب من جوانب هذا البحث فالكمال لله وحده، والعصمة لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وأرجو أن تسهم هذه الدراسة مع الدراسات التي سبقتها بإعطاء الفكر التربوي الإسلامي أهميته، والاستفادة من التراث الهائل الذي خلفه لنا المفكر الشيخ محمد الغزالي.

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثل خلاصة البحث مع بعض التوصيات.

نتائج البحث

1. يؤكد الباحث على أهمية التعرف على الفكر التربوي الإسلامي، والحاجة الماسة للتعرف على مصادر وأسس الفكر التربوي الإسلامي.
2. لا يتوقف دور العلماء على مجرد وجودهم في مجتمعاتهم، بل إنهم يؤدون دور المربين للناس بعد موتهم، وذلك من خلال تراثهم ومؤلفاتهم.
3. مع تعدد وتنوع المواضيع التي شغلت اهتمام الشيخ الغزالي، ونالت منه حظاً وافراً من الدرس والتحليل، فإن الفكر التربوي وأهمية التربية كانت من القضايا الهامة، مبرزاً إياها ضمن أفكاره وآرائه.
4. ترك الشيخ الغزالي تراثاً ضخماً، وفكراً تجديدياً، عبرت عنه مؤلفاته الكثيرة، وخطبه، ومحاضراته، وندواته.
5. دعا الشيخ الغزالي إلى احترام العقل، وإلى تدبر الكون التدبر الصحيح، ودعا المسلمين إلى تصحيح موقفهم السلبي اتجاه الحياة.
6. نادى بضرورة علاج أمراض المجتمع العلاج السليم، بتناول الكليات والابتعاد عن الفرعيات.
7. دعا إلى الوسطية، وهو يعتبر رائداً في المنهج الوسطي.
8. امتاز فكره بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وجهده البذل بهذا الجانب كان كبيراً.

9. للمربي الناجح في نظر الشيخ الغزالي، خصائص ومميزات ينبغي له الاتصاف بها، حتى تؤتي تربيته النتائج المرجوة، مثل: حسن الصلة بالله تعالى، وإصلاح النفس، وذكاء العقل ونقاء القلب، وإخلاص المربي، وثقافته الواسعة، وجرأته وشجاعته.
10. حارب الشيخ الغزالي التدين المغلوط أو الفاسد كما كان يسميه، ودعا المسلمين إلى التدين الحقيقي الذي هو صنو الفطرة السليمة.
11. تنوعت أساليب التربية عند الشيخ الغزالي، داعياً المربين للأخذ بها، والتعامل معها.
12. عاش الشيخ الغزالي يكتب بقلمه، ويخطب بلسانه، يدافع عن الطبقات الضعيفة، ينادي بالعدل الاجتماعي، يناصر المرأة ويدعو إلى إعطائها حقوقها التي كفلها الإسلام.
13. وقف الشيخ الغزالي طول عمره منادياً بالإصلاح، داعياً للتجديد، منوها بالشورى، مقاوماً للطغيان والاستبداد، عاملاً لوحدة المسلمين بالعالم.
14. وصف الشيخ الغزالي الفساد السياسي بأنه السرطان للأمة، داعياً إلى محاربته لأنه وراء تخلف ونكوص الأمة والحضارة الإسلامية.
15. اهتم الشيخ الغزالي بالتراث الإسلامي، داعياً للمحافظة عليه، وبنفس الوقت تنقية الثقافة الإسلامية مما علق بها من خرافات وأساطير وأكاذيب.
16. أحدث الشيخ الغزالي جدلاً واسعاً بطرح بعض الأفكار الجريئة، مدافعاً عنها بكل قوة.

التوصيات

1. ضرورة العناية بدراسة سير عظماء المسلمين، والاقتداء بهم.
2. ضرورة العناية بمؤلفات الشيخ الغزالي والاستفادة منها، وذلك بتضمين بعض محتويات مؤلفاته في المناهج الدراسية.
3. الاهتمام بالجهد الذي قدمه الشيخ الغزالي، وأن يتم الاستفادة من مختلف الإصلاحات التي عالجها بفكره، فهو بحق يمثل أحد أهم وأبرز المصلحين في القرن العشرين، نظرا للمجهود الكبير الذي زخرت به كتبه، والذي تناثرت أفكاره وجزئياته بين ثناياها.
4. إجراء دراسة مقارنة بين الفكر التربوي عند الشيخ الغزالي، وأحد أهم أعلام الفكر التربوي الغربي.
5. إجراء دراسة عن المستشرقين، وجهود الشيخ الغزالي في الرد عليهم، وبيان ما لهم وما عليهم.
6. إجراء دراسة حول جهود الشيخ الغزالي للتصدي للفكر اليهودي، واهتمامه بالقضية الفلسطينية.
7. تنسيق جهود الشيخ الغزالي حول مؤلفاته عن القرآن الكريم، في دراسة تستهدف الجانب التربوي.

والحمد لله أولا وآخرا أن وفقني لإتمام هذا البحث

مسرد الآيات

| رقم الصفحة | رقم الآية | السورة | الآية |
|------------|-----------|----------|---|
| 1 | 102 | آل عمران | L ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 M |
| 1 | 1 | النساء | L O / . - , + *) (' & % \$ # " ! M |
| 1 | 71-70 | الأحزاب | L ~ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } { z y x w v u |
| 18 | 276 | البقرة | L _ ^] \ [Z X W V U T M |
| 18 | 10 | الحاقة | L - , + *) (M |
| 18 | 5 | الحج | L اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ M |
| 19 | 2 | الفاحة | L) (M |
| 23 | 50 | المائدة | L أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ M |
| 24 | 26 | الفتح | L j i h g f e d c b M |
| 25 | 72 | الأحزاب | L إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى μ |
| 25 | 65 | النساء | L μ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا |
| 26 | 1 | العلق | L O N M L K M |
| 27 | 30 | البقرة | L) (' & % \$ # " ! M |
| 48:27 | 56 | الذاريات | L H G F E D C M |

| | | | |
|-----------|-----|----------|---|
| 27 | 13 | الحجرات | L O N M L K J I H G F E M |
| 27 | 61 | هود | M هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا L |
| 28 | 51 | التوبة | L] \ [Z Y X W V M |
| 33 | 32 | النجم | L مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } { z M |
| 33 | 33 | الرحمن | L } { z M |
| 34 | 38 | المائدة | L 2 1 0 / M |
| 34 | 11 | النساء | L k j i h f e d c M |
| 36 | 71 | يونس | L 6 5 M |
| 39 | 109 | الأنعام | L وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ M |
| 42 | 30 | الروم | L فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا © اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تُبَدِّلُ لِحَاقِ ل |
| 269,45,42 | 9 | الحجر | L m l k j i h g M |
| 43 | 6 | الإنشقاق | L H G F E D C B A M |
| 43 | 14 | الملك | L 2 1 0 / . - , M |
| 43 | 53 | فصلت | L سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ M |
| 44 | 7 | المزمل | L J I H G F E M |

| | | | |
|--------|-----|----------|---|
| 44 | 91 | الأنعام | L / . - , + *) (' & % \$ # " ! M |
| 46 | 110 | الكهف | L é è ç اَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ M |
| 48 | 110 | آل عمران | L 2 1 0 / . M |
| 49 | 122 | التوبة | L م لَيْسَ فَهْوَ فِي الَّذِينَ وَلِيْنَاذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ |
| 49 | 179 | الأعراف | L - , + *) M |
| 50 | 8 | الصف | L [Z Y X W V U T M |
| 50 | 177 | البقرة | L) (' & % \$ # " ! M |
| 50 | 158 | الأعراف | L y x w v u t s r M |
| 54,52 | 24 | فاطر | L T S R Q P O N M |
| 52 | 25 | الأنبياء | L / . - , + *) (' & % \$ # " ! M |
| 54 | 36 | النحل | L L K J I H G F E D M |
| 57 | 53 | الأنفال | L / . - , + *) (' & % \$ # " ! M |
| 203,57 | 11 | الرعد | L { ~ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمِهِ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } M |
| 58 | 43 | فاطر | L م فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا |

| | | | |
|-----|-------------|----------|---|
| 123 | 145 | الأنعام | L w v u t s r q p o n m l k j i M |
| 178 | 7 | هود | L ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 M |
| 179 | 5,4,3 | الجاثية | L 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + * M |
| 179 | 13,12 | الجاثية | ل ﷻ اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ الْفُلُوكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ M |
| 182 | 9,8,7 | السجدة | L } ~ { z x w v u t M ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ سُلَالَتِكَ |
| 183 | 20,19,21,22 | المعارج | L Y X W V U T S R Q P O N M L K J M |
| 184 | 85 | الاسراء | L مَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ M |
| 185 | 89,88 | الشعراء | L G F E D C B A @ ? > = < ; : M |
| 185 | 9,8,7,10 | الشمس | L D C B A @ ? > = < ; : 9 8 M |
| 185 | 28 | الكهف | L A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 M |
| 193 | 77 | المائدة | L , + *) (' & % \$ # " ! M |
| 198 | 29 | ص | L J I H G F E D C B M |
| 202 | 141 | آل عمران | L وَمَتَّكِ الْأَيْمَانَ تَوْأَمَهَا بَيْنَ ۖ ﴿١٤١﴾ ءَأَمِنُوا M |
| 202 | 251 | البقرة | L وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ M |

| | | | |
|-----|-------|---------|--|
| 202 | 32 | إبراهيم | M وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ۚ L |
| 203 | 7 | محمد | M إِنَّ ۙ اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ۙ L |
| 206 | 8 | النساء | M ! " # \$ % & ' () * + , - L |
| 211 | 28 | النجم | M + , - . 1 0 3 2 4 5 6 7 8 9 : ; < L |
| 219 | 19 | البقرة | M إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۙ L |
| 223 | 71 | التوبة | M a b c d e f g h i j k L |
| 232 | 51 | النحل | M ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ أُولَئِئِذَا هُمْ فِي السَّمَاءِ آلِهَةً ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۚ L |
| 232 | 28 | فاطر | M وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ ۗ ﴿ مُحَمَّدٌ أَلْوَنُهُ ۗ كَذَلِكَ ۙ L |
| 233 | 14 | إبراهيم | M g h i j k l m n o p q L |
| 233 | 19 | الحشر | M A B C D E F G H I J K L |
| 234 | 269 | البقرة | M ﴿ يَسْأَلُ ۙ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ L |
| 237 | 44 | النحل | M 5 6 7 8 9 : ; < = > L |
| 240 | 21 | الأحزاب | M لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۚ L |
| 241 | 111 | يوسف | M لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا ۙ L |
| 245 | 3،2،1 | العصر | M ! " # \$ % & ' () * + , L |

| | | | |
|-----|-----|----------|--|
| 250 | 33 | النور | L R P O N M L K M |
| 250 | 7 | الحديد | L p o n m l k j i h g f e d M |
| 250 | 8 | النساء | L > = < ; : 9 8 7 6 M |
| 253 | 159 | آل عمران | L @ > = M |
| 257 | 13 | الشورى | L ` _ ^] \ M |
| 259 | 134 | البقرة | L تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ M |

مسرد الأحاديث

| رقم الصفحة | طرف الحديث |
|------------|---|
| 49،34 | صلوا كما رأيتوني أصلي |
| 34 | أتي بسارق فقطع يده من مفصل الكف |
| 34 | نحن معاشر الأنبياء لا نورث |
| 34 | لا يرث القاتل |
| 35 | هل لك من إيل؟ |
| 35 | إئذن لي بالزنا |
| 49 | إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين |
| 54 | إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة |
| 121 | الكلب الأسود شيطان |
| 124 | نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن كل ذي ناب |
| 224 | لا تمنعوا إماء الله |
| 224 | لا تنزلهن الغرف ولا تعلموهن الكتاب |
| 224 | لا ترى أحداً ولا يراها أحد |

مسرد الأعلام

| | |
|-----|----------------------|
| 19 | الإمام البيضاوي |
| 62 | محمد بن محمد الغزالي |
| 67 | حسن البنا |
| 69 | محمود شلتوت |
| 69 | عبد الله دراز |
| 70 | عبد العظيم الزرقاني |
| 70 | محمد أبو زهرة |
| 71 | محمد أحمد الغمراوي |
| 71 | أمين الخولي |
| 71 | عبد الوهاب عزام |
| 71 | عبد الوهاب خلاف |
| 71 | محمد الخضر حسين |
| 71 | محمد البهي |
| 72 | محمد يوسف موسى |
| 72 | محمد الأودن |
| 103 | ديل كارنيجي |
| 114 | جولد تسيهر |
| 126 | جمال عبد الناصر |
| 127 | محمد أنور السادات |
| 131 | عمر عبید حسنة |
| 151 | هنري مكماهون |
| 151 | ريد جنالد ونغت |

| | |
|-----|--------------------|
| 152 | سعد زغول |
| 153 | مصطفى كمال أئتاورك |
| 159 | محمد علي باشا |
| 215 | مصطفى السباعي |
| 218 | أبراهام لنكولن |
| 221 | محمد قطب |

مسرد المصادر والمراجع

- 1- أباطة، نزار، المالح ، محمد رياض، إتمام الأعلام، دار الفكر، سوريا، ط2، 1424هـ - 2003م.
- 2- إسماعيل، محمد محمد، قراءة في كتاب الفكر الاسلامي، تحقيق عز الدين هشام الموصللي، دار السلام ودار الكتاب الثقافي، الأردن، 1425هـ - 2005م.
- 3- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.ط.
- 4- الألباني ، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ - 1992م.
- 5- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ - 1995م.
- 6- الأمدي، علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 7- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به وأعدده للنشر محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط2، 1430هـ - 2009م.
- 8- بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 9- البناء، حسن، مجموعة رسائل الشهيد حسن البناء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، د.ت.ط.
- 10- البيانوني، محمد أبو الفتح، بحث بعنوان تحول العبادات إلى عادات وأثره في حياة المسلمين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد2، 1395هـ - 1396هـ، 1974م - 1975م.
- 11- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1375هـ - 1955م.
- 12- البيطار، فراس، الموسوعة السياسية والعسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ج1، 1423هـ - 2003م.

- 13- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1414هـ - 1994م.
- 14- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
- 15- البيومي، محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 16- البيومي، محمد رجب، شجون وذكريات عن الشيخ الغزالي، مجلة الأزهر، عدد ذو الحجة، 1416هـ - إبريل مايو 1996م.
- 17- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ - 1996م.
- 18- تيمية، محمد بن أحمد، العبودية، المكتب الإسلامي، ط2.
- 19- الجابي، بسام عبد الوهاب، معجم الأعلام، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ - 1987م.
- 20- جريدة الشروق العربي الجزائرية من 23-30 إبريل 1996م، عدد 259.
- 21- الجزائري، أبو بكر، التربية في الإسلام، محاضرة من كتاب محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مطبوعات الجامعة الإسلامية، 1399هـ - 1979م.
- 22- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين مع تعليقات الذهبي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ - 1990م.
- 23- حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ - 1993م.
- 24- حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.
- 25- الخطيب، محمد شحات وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجين للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ - 1995م.
- 26- الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، ط3، 1395هـ - 1975م.

- 27- الدليمي، طه علي حسين، الثُمري، زينب حسين، أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1423هـ - 2003م.
- 28- راجي، محمد، معالم منهج حضاري في التفسير عند الشيخ الغزالي، مجلة رؤى، باريس، مركز الدراسات الحضارية، عدد18، 2003م.
- 29- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1398هـ - 1967م.
- 30- الرازي، محمد بن عمر، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412هـ - 1992م.
- 31- الراوي، محمد، الدعوة الإسلامية دعوة عامة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1415هـ - 1995م.
- 32- رضا، محمد عبد الجواد، التربية الإسلامية أصولها وإعلامها ومستقبلها، تساؤلات في جدلية الإسلام والحداثة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ - 1997م.
- 33- رفاعي، فتحية عمر، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المدينة المنورة، كلية التربية، قسم طرق التدريس، 1414هـ - 1993م.
- 34- الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط1، 1407هـ - 1986م.
- 35- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، مطبعة الحلبي، مصر، د.ت.ط.
- 36- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تعليق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 37- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 1425هـ - 2005م.
- 38- زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.ط.
- 39- زيدان، عبد الكريم، نظرات في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 40- السحار، سعيد جودة، موسوعة أعلام الفكر العربي، مكتبة مصر، د.ت.ط.

- 41- السعود، صلاح، الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية، دار طيبة للطباعة، الجيزة، مصر، ط2، 1428هـ - 2008م.
- 42- سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، د.د.ن، ط2، 1395هـ - 1975م.
- 43- الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، شرح وضبط محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، لبنان، د.ت.ط.
- 44- شلبي، أحمد، الشيخ الغزالي ومعركة المصحف في العالم الإسلامي، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1408هـ - 1987م.
- 45- شلبي، محمد أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1411هـ - 1990م.
- 46- شهبة، محمد محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار الكتب، القاهرة، ط2، د.ت.ط.
- 47- شومان، عباس، مصادر التشريع الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 48- الشيباني، عمر محمد، الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 1406هـ - 1985م.
- 49- الشيخ محمد الغزالي حياة وآثار وشهادات ومواقف، جمع وإعداد دار الأمة، الجزائر، ط1، 1418هـ - 1997م.
- 50- الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، دار الصابوني، ط2، 1407هـ - 1987م.
- 51- الصالح، صبحي، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1403هـ - 1982م.
- 52- الصلابي، علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، دار البيارق، بيروت، ط1، 1419هـ - 1999م.
- 53- طرابيين، أحمد، تاريخ مصر والسودان، الحديث والمعاصرة، "دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- 54- عبد الجواد، صلاح العرب، اتجاهات جديدة في التربية الصناعية، دار المعارف، القاهرة، ط1383هـ - 1962م.

- 55- عبد العزيز، جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط5، 1419هـ - 1999م.
- 56- عبد العزيز، صالح، طرق التدريس، دار المعارف، مصر، ط1، 1400هـ - 1979م.
- 57- عبد الناصر، جمال، المعجم الاقتصادي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ - 2006م.
- 58- علي، سعيد أحمد، أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 1427هـ - 2007م.
- 59- العلي، عبد المنعم صالح العلي، أصول العقيدة الطحاوية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، دولة الإمارات، ط1، 1410هـ - 1981م.
- 60- عمارة، محمد، الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1430هـ - 2009م.
- 61- عمارة، محمد، معالم المنهج الاسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ - 1992م.
- 62- العمري، نادية شريف، الاجتهاد في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ - 1985م.
- 63- العودة، سلمان بن فهد، حوار هادئ مع الشيخ الغزالي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، ط3، 1410هـ - 1999م.
- 64- عويس، عبد الحليم، الشيخ الغزالي حياة وآثار وشهادات ومواقف، جمع وإعداد دار الأمة، الجزائر، ط1، ص176، 1418هـ، 1997م.
- 65- عويس، عبد الحليم، الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراءه، دار القلم، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 66- العيادي، أحمد صبحي، المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 1427هـ - 2007م.
- 67- عيد، إدوارد، التأمينات العينية، مطبعة المتنبى، بيروت، ط2، 1415هـ - 1995م.
- 68- العينين، علي خليل، فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1987م.

- 69- غريب، رمضان خميس، الشيخ الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم. دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 1425هـ - 2003م.
- 70- الغريب، رمضان خميس، محاور المشروع الفكري لدى الشيخ الغزالي، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 1425هـ - 2003م.
- 71- الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، دار صادر، بيروت، ط1، 1416هـ - 1995م.
- 72- الغزالي، محمد، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 1425هـ - 2005م.
- 73- الغزالي، محمد، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1423هـ - 2005م.
- 74- الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 1425هـ - 2005م.
- 75- الغزالي، محمد، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 76- الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ - 2005م.
- 77- الغزالي، محمد، الإسلام والمناهج الإشتراكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 78- الغزالي، محمد، الجانب العاطفي من الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1425هـ - 2005م.
- 79- الغزالي، محمد، الحق المر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1425هـ - 2005م.
- 80- الغزالي، محمد، الحياة الأولى، حققه وكتب مقدمته مصطفى الشكعة، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 81- الغزالي، محمد، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، دار الشروق، القاهرة.

- 82- الغزالي، محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1410هـ - 1989م.
- 83- الغزالي، محمد، الطريق من هنا، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 84- الغزالي، محمد، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 85- الغزالي، محمد، الفساد السياسي في البلاد العربية والإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ - 2005م.
- 86- الغزالي، محمد، المحاور الخمسة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 87- الغزالي، محمد، تأملات في الدين والحياة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1425هـ - 2005م.
- 88- الغزالي، محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، ط6، 1427هـ - 2007م.
- 89- الغزالي، محمد، توجيهات الدعاة، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، رمضان 1395هـ.
- 90- الغزالي، محمد، جد حياتك، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 1425هـ - 2005م.
- 91- الغزالي، محمد، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1425هـ - 2005م.
- 92- الغزالي، محمد، خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، إعداد قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.ط.
- 93- الغزالي، محمد، خلق المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط10، 1425هـ - 2005م.
- 94- الغزالي، محمد، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 95- الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1425هـ - 2005م.
- 96- الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.

- 97- الغزالي، محمد، سر تأخر العرب والمسلمين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1425هـ - 2005م.
- 98- الغزالي، محمد، صيحة تحذير من دعاة التنصير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1425هـ - 2005م.
- 99- الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 100- الغزالي، محمد، علل وأدوية، دار الشروق، القاهرة، ط2، د.ت.ط.
- 101- الغزالي، محمد، فقه السيرة، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 102- الغزالي، محمد، في موكب الدعوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 103- الغزالي، محمد، قذائف الحق، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.ط.
- 104- الغزالي، محمد، قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ محمد الغزالي، مجلة إسلامية المعرفة، ماليزيا، رمضان 1417هـ - يناير 1997م، السنة الثانية، العدد7.
- 105- الغزالي، محمد، قضايا المرأة بين التقاليد الوافدة والراكدة، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 106- الغزالي، محمد، قلت لنفسي، خواطر وتأملات الشيخ الغزالي، تجميع متولي، محمد متولي، غراس للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1428هـ - 2007م.
- 107- الغزالي، محمد، كفاح دين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1425هـ - 2005م.
- 108- الغزالي، محمد، كنوز من السنة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1421هـ - 2001م.
- 109- الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1425هـ - 2005م.
- 110- الغزالي، محمد، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1425هـ - 2005م.
- 111- الغزالي، محمد، ليس من الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط6، د.ت.ط.

- 112- الغزالي، محمد، مائة سؤال عن الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 113- الغزالي، محمد، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 114- الغزالي، محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1425هـ - 2005م.
- 115- الغزالي، محمد، مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 1425هـ - 2005م.
- 116- الغزالي، محمد، معركة المصحف في العالم الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 1425هـ - 2005م.
- 117- الغزالي، محمد، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2005م.
- 118- الغزالي، محمد، من هنا نعلم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 1425هـ - 2005م.
- 119- الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، ط2، 1413هـ - 1993م.
- 120- الغزالي، محمد، ندوة أسس التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1400هـ - 1979م.
- 121- الغزالي، محمد، هذا ديننا، دار الشروق، القاهرة، ط3، دار المعرفة، الجزائر، د.ت.ط.
- 122- الغزالي، محمد، هموم داعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 1426هـ - 2006م.
- 123- الفرحان، إسحق، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، 1403هـ - 1982م.
- 124- فلوسي، مسعود بن موسى، الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1424هـ - 2003م.

- 125- فيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1419هـ - 1998م.
- 126- فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب النجيجي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1403هـ - 1982م.
- 127- القاسمي، محمد جمال، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1399هـ - 1979م.
- 128- القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 129- القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1419هـ - 1998م.
- 130- القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1397هـ - 1977م.
- 131- القرضاوي، يوسف، تفسير سورة الرعد، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ - 1998م.
- 132- القرضاوي، يوسف، مدخل لمعرفة الإسلام، مقوماته خصائصه أهدافه ومصادره، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1996م.
- 133- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، ط7، 1418هـ - 1980م.
- 134- قطب، محمد، مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، ط3، 1408هـ - 1988م.
- 135- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، د.ت.ط.
- 136- القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، حققه وكتب هوامشه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- 137- كامل، مصطفى، منهج التربية في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1412هـ - 1992م.
- 138- كثير، محمد بن جرير، البداية والنهاية، تحقيق مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، ط1، 1425هـ - 2005م.

- 139- كرّيم، سامح، موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1431هـ - 2010م.
- 140- كلينتون، جراتان، البحث عن المعرفة، ترجمة عثمان نويه، مكتبة الإنجلوالمصرية، 1383هـ - 1962م.
- 141- الكندري، لطيفة حسين، ملك، بدر محمد، تربية المرأة من منظور الشيخ الغزالي، د.ت.ط.
- 142- الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1410هـ - 1989م.
- 143- لعرايه، نصر الدين، محمد الغزالي حياة وآثار وشهادات ومواقف، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 144- أيبست، ماتن لسيمور، رجل السياسة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.ط.
- 145- المبارك، محمد، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396هـ - 1975م.
- 146- متولي، مصطفى محمد، المدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1413هـ - 1992م.
- 147- مجذوب، محمد، الشيخ محمد الغزالي السقا، ضمن محاضرات الشيخ الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع، جمع وإعداد قطب عبد الحميد قطب، مكتبة البشير للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.ط.
- 148- مجلة المجتمع الكويتية، عدد 1192، 29 شوال 1416هـ، 19 مارس 1996م، والعدد 1992، 7 ذوالقعدة 1416هـ، 26 فبراير 1996م.
- 149- محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، مؤسسة علوم القرى، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1408هـ - 1987م.
- 150- محمد، عبد رب الرسول سليمان، الآراء التربوية في كتابات الشيخ محمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية التربية، 1419هـ - 1998م.
- 151- مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط1، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1412هـ - 1991م.

- 152- مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط.
- 153- ملكاوي، فتحي حسن، العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، ط1، 1417هـ - 1996م.
- 154- منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، بيروت، د.ت.ط.
- 155- المودودي، أبو الأعلى، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، دار القلم، الكويت، 1395هـ - 1974م.
- 156- ناصر، إبراهيم، التربية الدينية المقارنة، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، 1417هـ - 1996م.
- 157- ناصر، إبراهيم، مقدمة في التربية، دار عمار، ط8، 1417هـ - 1996م.
- 158- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط1، 1399هـ - 1979م.
- 159- النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1403هـ - 1982م.
- 160- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفور البنداري وسيد كروان حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.ط.
- 161- يوسف، محمد خير رمضان، تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م.
- 162- الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت).

- 1- الابتسامة على الشبكة العنكبوتية <http://www.ibtesama.com>
- 2- جزايرس على الشبكة العنكبوتية <http://www.djazairss.com>
- 3- حياني جيران على الشبكة العنكبوتية <http://hayani77.jeeran.com>
- 4- الغزالي على الشبكة العنكبوتية <http://www.alghazaly.org/>
- 5- الفيصل على الشبكة العنكبوتية، وبينتن، مصطفى بن الناصر، القرآن الكريم في فكر الشيخ الغزالي، <http://www.alfisal.com>

- 6 - مجلة الغرباء الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية <http://www.alghoraba.com/index.php>
- 7 - ويكيبيديا الإخوان المسلمين على الشبكة العنكبوتية <http://www.ikhwanwiki.com>
- 8 - يوسف القرضاوي على الشبكة العنكبوتية <http://www.qaradawi.net>



المفكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

مسرد المحتويات

| | |
|----|---|
| أ | الإهداء |
| ب | الإقرار |
| ج | شكر و عرفان |
| د | ملخص |
| هـ | ملخص باللغة الانجليزية |
| 1 | مقدمة |
| 12 | فهرس الرموز |
| 13 | الفصل الأول: الفكر التربوي الإسلامي |
| 14 | المبحث الأول: مفهوم الفكر التربوي الإسلامي |
| 15 | المطلب الأول: الفكر لغة واصطلاحا |
| 18 | المطلب الثاني: معنى التربية لغة واصطلاحا |
| 22 | المطلب الثالث: معنى الفكر التربوي |
| 25 | المطلب الرابع: أهمية التربية في الإسلام |
| 30 | المبحث الثاني: مصادر الفكر التربوي الإسلامي |
| 32 | المطلب الأول: القرآن الكريم |
| 34 | المطلب الثاني: السنة النبوية |
| 36 | المطلب الثالث: الإجماع |
| 39 | المطلب الرابع: الاجتهاد |
| 41 | المبحث الثالث: أسس الفكر التربوي الإسلامي |
| 42 | المطلب الأول: ربانية المصدر والوجهة |

| | |
|-----|--|
| 46 | المطلب الثاني: مفهوم العبادة الشامل |
| 50 | المطلب الثالث: شمول الإسلام لكل زمان ومكان |
| 52 | المطلب الرابع: كمال الإسلام وختمه للرسالات السماوية |
| 54 | المطلب الخامس: تجديد أمر الدين بتجديد متغيرات الحياة |
| 57 | المطلب السادس: تغيير ما في الواقع بتغيير ما في الأنفس |
| 60 | الفصل الثاني: تعريف بالشيخ محمد الغزالي وحياته العلمية |
| 62 | المبحث الأول: ميلاده ونسبه ودراسته ووظائفه ووفاته |
| 62 | المطلب الأول: مولده وتسميته |
| 63 | المطلب الثاني: نسبه وأسرته |
| 67 | المطلب الثالث: شيوخه |
| 73 | المطلب الرابع: دراسته |
| 84 | المطلب الخامس: الوظائف التي تولاهما |
| 86 | المطلب السادس: وفاته |
| 88 | المبحث الثاني: آثاره العلمية |
| 88 | المطلب الأول: المطبوعات |
| 138 | المطلب الثاني: الخطب |
| 146 | المطلب الثالث: المحاضرات والدروس |
| 149 | المطلب الرابع: اللقاءات |
| 151 | المبحث الثالث: الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الشيخ محمد الغزالي |

| | |
|-----|---|
| 151 | المطلب الأول: الحالة السياسية |
| 156 | المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية |
| 159 | المطلب الثالث: الحالة الثقافية |
| 163 | المبحث الرابع: الشيخ محمد الغزالي وحركة الإخوان المسلمين |
| 164 | المطلب الأول: الدعوة من خلال حركة الإخوان المسلمين |
| 170 | المطلب الثاني: الشيخ محمد الغزالي والإمام حسن البنا |
| 173 | المطلب الثالث: الشيخ محمد الغزالي وحسن الهضيبي |
| 175 | الفصل الثالث: معالم الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي |
| 176 | المبحث الأول: المنطلقات الفكرية عند الشيخ محمد الغزالي |
| 177 | المطلب الأول: نظرتة للكون والحياة |
| 182 | المطلب الثاني: نظرتة للإنسان |
| 186 | المطلب الثالث: نظرتة للمجتمع |
| 190 | المطلب الرابع: الوسطية |
| 194 | المطلب الخامس: الأصالة والمعاصرة |
| 196 | المبحث الثاني: مواقف الشيخ محمد الغزالي الفكرية |
| 197 | المطلب الأول: موقف الشيخ محمد الغزالي في التعامل مع القرآن الكريم |
| 205 | المطلب الثاني: موقفه من حديث الآحاد في السنة النبوية |
| 213 | المطلب الثالث: موقف الشيخ محمد الغزالي من الاشتراكية |
| 218 | المطلب الرابع: موقف الشيخ محمد الغزالي من الديمقراطية |
| 222 | المطلب الخامس: موقف الشيخ محمد الغزالي من المرأة |

| | |
|-----|---|
| 230 | المبحث الثالث: الشيخ محمد الغزالي المربي |
| 231 | المطلب الأول: خصائص المربي الناجح ومقوماته عند الشيخ محمد الغزالي |
| 232 | الفرع الأول: حسن الصلة بالله |
| 233 | الفرع الثاني: إصلاح النفس |
| 234 | الفرع الثالث: ذكاء العقل ونقاء القلب |
| 235 | الفرع الرابع: الإخلاص |
| 236 | الفرع الخامس: الثقافة الواسعة |
| 237 | الفرع السادس: الجرأة والشجاعة |
| 239 | المطلب الثاني: أساليب التربية عند الشيخ محمد الغزالي |
| 240 | الفرع الأول: التربية بالقدوة الصالحة |
| 241 | الفرع الثاني: التربية بالقصة |
| 241 | الفرع الثالث: التربية بالوعظ والتذكير والتلقين الواعي |
| 242 | الفرع الرابع: الترغيب والترهيب |
| 243 | الفرع الخامس: التربية بالموافق والأحداث |
| 244 | الفرع السادس: التربية بشغل أوقات الفراغ |
| 244 | الفرع السابع: أسلوب التدريب والممارسة العملية |
| 245 | الفرع الثامن: أسلوب التربية بالعادة |
| 247 | المطلب الثالث: الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد الغزالي |
| 248 | الفرع الأول: العدل الاجتماعي |
| 251 | الفرع الثاني: مقاومة الاستبداد السياسي |

| | |
|-----|---|
| 256 | الفرع الثالث: توحيد الأمة |
| 266 | الفرع الرابع: محاربة الفهم غير الصحيح للدين |
| 277 | الفرع الخامس: المحافظة على التراث الإسلامي وتنقية الثقافة الإسلامية |
| 286 | الخاتمة |
| 287 | نتائج البحث |
| 289 | التوصيات |
| 290 | مسرد الآيات |
| 296 | مسرد الأحاديث |
| 297 | مسرد الأعلام |
| 299 | مسرد المصادر والمراجع |
| 312 | ملحق / صورة الشيخ محمد الغزالي |
| 313 | مسرد المحتويات |